الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية قسنطينة-

كلية أصول الدين
قسم: العقيدة و مقارنة الأديان

مطبوعة موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر مقارنة الأديان (ل.م.د) LMD

في مقياس:

الديانات في شمال افريقيا

السداسي الأول

إعداد الدكتور : مسعود بودربالة

السنة الجامعية: 1440-1441هـ / 2019/2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى مُحَمَّد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

شرف الله أمة مُحَمَّد ﷺ بدين الإسلام وجعله خاتم الرسالات لتخرج البشرية في ربوع الأرض من ظلمات المعبودات الوثنية الوضعية، ويبطل عقائد الأديان المنحرفة ويرفع ظلمها عن البشرية الذي ساد قرونا من الزمن.

وبعد:

يعد مقياس " الديانات في شمال أفريقيا " من المقاييس المهمة لتخصص مقارنة الأديان، وتكمن أهميته في تعريف الطالب بالمسار التاريخي للتدين في هذه المنطقة عموما، و وطننا الجزائر على وجه الخصوص، حيث نلاحظ أن البرامج الدراسية أهم هذا الجانب، ولا تتحدث إلا عن تاريخ الأديان في المشرق وكأن هذه المنطقة لم تعف التدين عبر العصور، وهو ما فتح الباب أمام التأويلات والتخمينات عند كثير ممن يريدون تبرير أغراضهم وتوجهاتهم، ولأجل هذه الأهمية أدرجنا في مقرر مرحلة الماستر تخصص مقارنة الأديان هذا المقياس، ليتمكن طلبة هذا التخصص من معرفة تاريخ الأديان في منطقة

شمال أفريقيا، والمراحل التاريخية لتلك الأديان، إلى أن استقر الإسلام فيها كدين رسمي منذ ما يقارب أربعة عشر قرنا.

إن محتوى محاور المقياس وردت أغلبها في كتب التاريخ، لكن في دراستنا هذه سنوجه المادة التاريخية توجيها يخدم تاريخ الأديان بما يتلاءم وتخصص مقارنة الأديان، وقد استخدمنا المنهج الإنثروبولوجي لقراءة تاريخ الفكر البشري لسكان المنطقة، لمعرفة الأديان التي تدينوا بها، والمعتقدات التي آمنوا بها، والطقوس التعبدية التي ماسوها، والعوامل البيئية التي ساعدتهم على ذلك.

محاور المقياس

المحور الأول: مفاهيم ومصطلحات

أولا: الدين

ثانيا: شمال إفريقيا

المحور الثاني: الأديان في مصر

أولا: الديانة المصرية القديمة

ثانيا: الديانة اليهودية

ثالثا: الديانة المسيحية

المحور الثالث: الأديان في بلاد المغرب

أولا: الدين في المغرب القديم

ثانيا: الديانة اليهودية

ثالثا: الديانة المسيحية

المحور رابعا: الإسلام في شمال أفريقيا

أولا: الفتوحات الإسلامية لمصر

ثانيا: الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب

ثالثا: شمال أفريقيا تحت الحكم العثماني

مصادر ومراجع المقياس

المحور الأول: مفاهيم ومصطلحات

أولا: الدين والتدين

1- الدين في مصطلح اللغة

أ- في المعاجم والقواميس العربية

الدين

قال أحمد بن فارس في معجم مقاييس اللغة : الدال والياء والنون أصل واحد إليه ترجع فروعه كلها. وهو جنس من الانقياد والذل.[1]

معاني كثيرة للدين في اللغة والشرع ومن هذه المعاني-:

1- القهر والاستعلاء والغلبة من ذي سلطة عليا: يقال: دِنتهم فدانوا أي قهرتهم فأطاعوا، والديّان القهار من دان القوم: إذا ساسهم وقهرهم فدانوا له، ومنه قول ذي الأصبع العدواني:

+++ لاه ابنُ عمك لا أفضلتَ في حسب ... فينا ولا أنت ديّاني فتخزوني+++

أي لست بقاهر علي فتسوس أمري، وفسرت كلمة دان بقول الرسول صل الله عليه وسلم عند الترمذى: "الكيس من دان نفسه" بالقهر أي قهر نفسه وذللها، ومن ذلك أن يقال: ديان للقاهر الغالب على قطر أو أمة أو قبيلة والحاكم عليها، كما قال الأعشى الحرمازي مخاطبًا النبي ﷺ: يا سيد الناس وديان العرب.

ومنه سمى الله الديّان؛ لأنه يقهر الناس على الطاعة ويحكمهم، قال ابن منظور "الديّان من أسماء الله عز وجل معناه: الحكم القاضي، والديّان القهار.[2]

2 - وتطلق كلمة الدين لغة كذلك على الطاعة والانقياد والخضوع والذل، يقال: دان له يدين دِينًا: إذا أصحب وانقاد له وأطاعه وخضع وذل له، قال الزبيدي: "والدين الطاعة وهو أصل المعنى وقد دنته ودنت له أي أطعته"[3] .

والدين لله: إنما هو طاعته والتعبد له، ودانه دِينًا: أي أذله واستعبده يقال: دنته فدان وقوم دِين: أي

---

1 - معجم مقاييس اللغة أحمد بن فارس بن زكريا المحقق: عبد السلام مُحَمَّد هارون دار الفكر بيروت، لبنان. 1979. ج 2، ص 319.

2 - انظر مُحَمَّد ابن مكرم "ابن منظور"لسان العرب. ط3. دار صادر – بيروت. 1994. ج13، ص170.

3 - مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق مصطفى حجازي. ط2. طبعة الكويت. 2008. ج9، ص 208.

دائنون مطيعون منقادون قال الشاعر:

+++ ويوم الحزن إذ حشَدتْ مَعدٌّ ... وكان الناس إلا نحن دِينا +++

يعني بذلك مطيعين على وجه الذل.[1]

وقد فسر الخطابي كلمة الدين بحديث الرسول ﷺ المتفق عليه من حديث على ﷺ "يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية". بالطاعة والخضوع: أي أنهم يخرجون من طاعة الإمام المفترض الطاعة وينسلخون منها ولا يخضعون له.[2]

ومن النظر في المعنيين السابقين نرى أن كلمة الدين استعملت في الضدين العزة والقهر والاستعلاء, وضدها الذل والطاعة والخضوع.

3 –وتطلق كلمة الدين لغة كذلك على الجزاء والمكافأة والحساب، ومنه دنته بفعله دَينا "بفتح الدال وكسرها": أي جزيته، يوم الدين يوم الجزاء، وفي المثل: كما تدين تدان: أي كما تجازي تجازى، ودانه دِينا: أي جازاه وحاسبه، ومن ذلك قول الشاعر: واعلم وأيقِن أن ملكك زائل ... واعلم بأنك ما تدين تدان

قال القرطبي: "الدين، والجزاء على الأعمال والحساب بها.. يدل عليه قوله تعالى: {يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمْ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَق}[3] : أي حسابهم ... ومنه: الديّان في صفة الرب تعالى: أي المجازي. وفي الحديث: "الكيس من دان نفسه": أي حاسبها.

وقوله تعالى: {أَئِنَّا لَمَدِينُون}[4]: أي هل نحن مجزيون محاسبون، وقوله تعالى: {وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِع}[5].

4 –وتطلق كلمة الدين في اللغة كذلك على العادة والشأن والسيرة والطريقة, يقال: دِينَ: أي عُوِّد, ويقال: ما زال ذلك ديني وديدني، أي دأبي وعادتي, وعدّه الزبيدي بأنه هو أصل المعنى، وكان ﷺ على دين قومه: ليس معناه على الشرك وعبادة الأصنام, إنما معناه: على عادتهم من الكرم والشجاعة وغير ذلك من أخلاقهم الحميدة.

فكأن الدين أطلق على العادة؛ لأن النفس إذا اعتادت شيئًا مرنت معه وانقادت له.

5 –وتطلق كلمة الدين في اللغة أيضًا على ما يتدين به الرجل، ومنه: دان بالإسلام دِينًا وتدين به: أي تعبد به واتخذه دينا، ودَيّن: مثل سيد أي صاحب دين وديّنته: بالتثقيل: وكلته إلى دينه وتركته وما يدين به، قال الزبيدي: "والدين: اسم لما يتعبد الله عز وجل به عباده, والدين الملة، يقال اعتبارًا بالطاعة والانقياد للشريعة،

1 – ابن فارس، المرجع السابق. ج 2، ص319.

2 – ابن منظور، المرجع السابق. ج13، ص170.

3 – سورة النور، الآية: 25

4– سورة الصافات، الآية: 57

5 – سورة الذاريات، الآية: 6

قال الله تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلام}[1].

وقد ذكر الزبيدي عدة معان لكلمة الدين في اللغة منها: الجزاء، والمكافأة والإسلام، والعادة والشأن، والعبادة، والطاعة والذل، والانقياد، والحساب والقهر، والغلبة، والاستعلاء، والسلطان، والملك والحكم والسيرة والتوحيد والدين اسم لما يتعبد به، والدين الملة, والدين الورع، والمعصية، والإكراه، والحال، والقضاء.

هذه المعاني الكثيرة التي تدخل تحت مفهوم الدين، متقاربة حسب ارتباط بعضها ببعض, ونستطيع حصرها حسب اشتقاقات الكلمة، وبالنظر إلى تعديتها بالباء أو باللام أو بنفس الكلمة بثلاثة وجوه.

1 –إذا كانت متعدية بنفسها كقلنا: "دانه دينا": شملت معاني: الملك والحكم والقضاء والقهر والمحاسبة والجزاء والأمر والإكراه والغلبة والاستعلاء والسلطان وما في معناها.

2 –وتأتي متعدية باللام كقلنا: "دان له" شملت معاني: الطاعة والخضوع والعبادة والذل والانقياد وما في معناها.

ونلاحظ هنا أن بين المعنيين تلازمًا، وكلاهما مرتبط بالآخر: فقولنا: "دانه فدان له": أي قهره فخضع له وأطاع وذل.

3 –وتأتي متعدية بالباء فقلنا: "دان به"، شملت معاني: العادة والشأن والملة والطريقة والسيرة وما في معناها، لأن كل من دان بشيء فقد اتخذه مذهبًا ودينًا واعتاده وتخلق به، وعلى هذا فكل طريقة يسير عليها المرء في حياته نظرية كانت أو عملية تسمى دينًا، وهذا المعنى الأخير مرتبط بما قبله كذلك، لأن من دان بالشيء يكون قد خضع له وانقاد والتزم طاعته واتباعه.[2]

ب– دين وأديان في الاشتقاق اللاتيني

وفقا لأفكار "لوكريس Lukrès " الأبيقوري (محب اللذات) في كتابه " De Natura Rerum " يتوجس الإنسان من قدرة الآلهة التي تصوّر أنها أصل النظام في العالم، وقد أظهر من خلال الطقوس، وطقس التضحية على وجه الخصوص، إشارات إلى التبعية والخضوع، بدلا من أن يكتسب المعرفة الفلسفية الحقيقية.

أما سيسرون الزنوني (متبع مبدأ العقلانية) فيعرفه "بأن الدين عبادة الآلهة الذين هم المنظمون الحقيقيون للعالم". ويرى أن الدين مشتق عن اللفظ " Relegere " أي التأمل بدقة، والاهتمام وهو نقيض للفظ " Meglegere" أي الإهمال، وأما عن الاشتقاق المزعوم عن اللفظ " Religare " والذي معناه يعيد الربط، فهو معنى من صياغة مسيحية لاحقة أعدها "Tertullienو Lactance " من المدافعين عن

1 – سورة آل عمران، الآية: 19

2 – مرتضى الزبيدي، المرجع السابق. ج9، ص 208.

العقيدة المسيحية في القرنين الثالث والرابع الميلاديين، أين كانت تنطبق صفة "متدين " فقط على المعمدين، والنساك، والرهبان، الذين نذروا أنفسهم للرهينة.[1]

وذهب فريق آخر أن الكلمة "Religion" قصد بها أن تكون مصطلحا يضم اهتمامات إنسانية خاصة في جميع أنحاء العلم ، ويختل الباحثون منذ القدم حول معناها الأصلي فمن الكتاب الرومانيين من اعتقد أنها أُخذت من الأصل الاشتقاقي "Leg" لتدل على الأخذ والجمع، أو العدل، أو الملاحظة، أي ملاحظات علامات الاتصال بما هو إلهي ، أي قراءة أمارات الفأل أو الطيرة . ومنهم من رأى أن أصلها الاشتقاقي هو " Lig " بمعنى يربط أو يعلق "Religio " تعني العلاقة بين ما هو إنساني وما هو فوق إنساني "Superhumen "، وقد حملت الكلمة المعنيين على أثر ذلك، ويظهر أن المنى الأول هو الأصل لأنه الذي يقابل بكل دقة الكلمة الإغريقية "Paratérèssis" التي تعني"العناية " بملاحظة علامات الفأل والتطير وأداء الشعائر[2]، فيتنوع مدلول اللفظ الأوروبي"Religion" المقابل للفظ العربي.

ج- الدين في الاصطلاح:

في تعريف علماء المسلمين القدامى هو " هو وضع إلهي سائق لذوي العقول السلمية باختيارهم إلى الصلاح في الحال، والفلاح في المآل"[3]

عرفه دراز بقوله الاعتقاد بوجود ذات علية غيبية لها شعور واختيار ولها تصرف في تدبير شؤون التي تعني الإنسان، اعتقادا من شأنه أن يبعث على المناجاة لتلك الذات السامية في رغبة ورهبة وفي خضوع وتمجيد وبعبارة مختصرة: هو الإيمان بذات إلهية جديرة بالعبادة والطاعة [4]

أما إذا نظرنا من الناحية الخارجية (خارج النفس) فهو جملة النواميس النظرية التي تحدد صفات تلك القوة الإلهية وجملة القواعد العملية التي ترسم طريق عبادتها.[5]

1- كلود ريفيير، الأنثروبولوجيا الاجتماعية للأديان. ترجمة أسامة نبيل. ط1. المركز القومي للترجمة. القاهرة. مصر. 2015 .ص 31

2- A.C. Bouquet,Comparative Religion. Apelican book, Library of Constructive Theology; Nisbet, London, 1958.P 11.

3 – محمد عبد الله دراز، دار القلم، بيروت، لبنان، دط، ص33

4- محمد عبد الله دراز، المرجع نفسه ، ص52

5 – محمد عبد الله دراز، المرجع نفسه، ص53

وهذا التعريف رغم وضوحه في معانيه إلا أنه ليس جامعا للأديان الأخرى التي لا تعتقد بذوات أخرى غيبية كالبوذية وغيرها.[1]

كما عرفه الدكتور إبراهيم تركي: أنه نظام له قوانينه وتقاليده وتعاليمه الخاصة ويشمل هذا النظام مجموعة من القضايا والتصورات النظرية الاعتقادية إلى جانب مجموعة الشعائر والطقوس التعبدية.[2]

يرى "فيورباخ" أن المفهوم الأساسي للدين هو الأنثروبولوجي الذي يمثل سر اللاهوت " أي أن جوهر وحقيقة الدين ومعناه الباطني العميق هو الجوهر الإنساني، فالدين له مضمون خاص في ذاته، فمعرفة الله هي معرفة الإنسان لذاته، وهي المعرفة التي لم تع بعد، فالدين هو الوعي الأول وغير المباشر للإنسان، وهي كذلك الوسيلة الأولى التي يتخذها الموجود البشري في البحث عن تفسه، لذلك يرى أن الدين انطلاقا من المسيحية هو سلوك الإنسان تجاه ذاته.[3]

أورد مُحَمَّد كمال جعفر مجموعة من التعريفات لـ " دين " ، تنوعت تبعا للمدارس المختلفة التي حاولت ربط معنى هذا اللفظ بمذهبها الخاص الذي تدعو إليه ، سنورد بعض التعريفات المقترحة للدين ، بغية التمكن من التقاط بعض اللمحات السريعة عن بعض جوانب هذه الظاهرة الفريدة الرائعة.

1- يُعرف الدين بأنه " التأمل الصامت ، والسيطرة التامة على البدن لنيل السكينة النفسية والوصول إلى جوهر النفس المطلق ، اللا محدود " ، وهذا التعريف أنسب بالتلاقي مع المذاهب الهندية التي يغلب عليها الطابع المعرفي والتأمل الفلسفي.

2- ويعرف الدين بأنه " المشتمل على الاعتراف بواجباتنا كأوامر إلهية " وهذا هو رأي " كانت " الذي اعتبر الدين مقدسا ومدعما للأخلاقية، وذلك يتفق تماما مع نظام " كانت " الأخلاقي.

3- أما جون ستيوارت مل ، فيرى " أن جوهر الدين هو الاتجاه القوي المتحمس للعواطف والرغبات نحو هدف مثالي يعتبر أسمى وأشرف من كل غرض أناني ورغبة ذاتية".

---

1 - مُحَمَّد أحمد الخطيب، مقارنة الأديان، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 2008، ص25

2- إبراهيم تركي، علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ط1، 2002، ص19

3 - لودفيغ فيورباخ، أصل الدين. ترجمة: أحمد عبد الحليم عطية.ط1.المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان.1991.ص 10.

4- يقول شيلر ماخر "إن الدين هو " أن تطلب وأن تجد اللانهائي القديم في كل ما يحيا ويتحرك ، في كل نمو وكينونة ، في كل عمل ومعاناة ، وأن تمتلك وتعرف الحياة نفسها عن طريق إحساسك المباشر بهذا الموجود، لأن تجد اللانهائي هو أن ترضي النفس التواق، وإذا احتجب اللانهائي، غدت النفس في قيد الأسى والكآبة والموت"[1].

في الفكر الغربي شهد مدلول كلمة " دين " عبر القرون تنوعا، ولم يستقر إلا في عصر النهضة عندما أكد "Nicolas de Cues " عالمية الوضع الديني (ورع وشعائر) والتنوع الأنثروبولوجي للأديان طبقا للثقافات في آن واحد، وقد أثبتت الدراسات أن عند شعوب كثيرة لا يوجد مقابل أو مرادف لكلمة "دين" على الرغم من وجود الممارسات الدينية، لكن ليس من الضروري أن تكون هذه الممارسات الدينية منفصلة عن المؤسسات الاجتماعية الأخرى، وفي القرن 17 ميلادي تم إبراز التعارض بين الدين السماوي والدين الوضعي بتأكيد سمو شأن الوحي الذي يقر عبادة الكائن الأسمى والإيمان بخلود النفس والأمل في الخلاص.[2]

يقول عبد الله دراز أنه رغم التنوع والتباين في العريفات المختلفة للدين التي حاول الباحثون بمختلف توجهاتهم إبرازها لتقديم معنى شاملا له، فهي لا تكفي لتحديدها فكرة الاعتقاد بإطلاق أو فكرة الخضوع من حيث هي، لذلك كان من الضروري إضافة قيود أخرى من أجل إبراز الحقائق الجوهرية للدين.[3]

وقد حاول تقديم ملخ إجمالي لمفهوم هذا الاصطلاح بأنه: (" الاعتقاد بوجود ذات- أو ذوات – غيبية، علوية لها شعور واختيار، ولها تصرف وتدبير للشؤون التي تعني الإنسان، اعتقاد من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة ورهبة وفي خضوع وتمجد" ويلخص هذا المعنى بقوله بأنه " الأيمان بذات إلهية جدير بالطاعة والعبادة" هذا إذا نظرنا إلى الدين من حيث هو حالة نفسية بمعنى التدين، أما إذا نظرنا إليه من حيث هو حقيقة خارجة، فنقول " هو جملة النواميس النظرية التي تحدد صفات تلك القوة الإلهية، وجملة القواعد العملية التي ترسم طريقة عبادتها")[4].

1- محمد كمال جعفر، الإنسان والأديان دراسة مقارنة، ط1. دار الثقافة، الدوحة، قطر. 1985. ص 19

2- كلود ريفيير، المرجع السابق.ص 32

3 – محمد عبد الله دراز. المرجع السابق. ص 37

4 – محمد عبد الله دراز. المرجع السابق. ص 52

د- أهم نظريات نشأة الدين

نظر القدامى إلى الدين بأنه صناعة إنسانية، فالدين عندهم هو مجموعة من الأساطير والخرافات، وسحر وافتراءات سواء أكان صانعه الفرد أم الجماعة، رافضة بذلك أن يكون الله هو المصدر، إلا أن وجه الخلاف بين نظرة القدامى للدين وبين النظريات الحديثة أن القدامى لم يبحثوا في تعليل ذلك، خلاف لأصحاب النظريات الحديثة، وهو ما تبينه آيات القرآن الكريم،[1] ومن ذلك:

قول قوم النبي صالح عليه السلام:{ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَاۖ أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ}[2]، وكذلك قولهم { قالُوا إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ، ما أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ }[3].

وقول قوم شعيب عليه السلام:{ قالُوا إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ، وَما أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكاذِبِينَ}[4].

وقوله تعالى على لسان الكفار: { وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَراهُ وَأَعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جآءُو ظُلْمًا وَزُورًا، وَقالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا }[5].

بالنظر إلى الزخم الهائل من النظريات التي اهتمت بموضوع الدين يتأكد لنا مدى ضرورته بالنسبة للإنسان، وكثرة النتاج الفكري في الوقت الراهن دليل على راهنيته وقوته في المجال العام، ولا شك أنه القوة الحاسمة والنهاية، للعديد من المشكلات الاجتماعية الإنسانية يبنى بناء صحيحاً في نفوس الأفراد والمجتمعات، ومن هذه النظريات التي لاقت رواجا كبيرا في الفكر الإنساني، نجد نظريتين مهمتين:

---

1 – حسن علي مصطفى، نشأة الدين بين التصور الإنساني والتصور الإسلامي. ط1. مؤسسة الإسراء للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر. 1991. ص 36.

2 – سورة هود، الآية: 62.

3 – سورة الشعراء، الآيات: 153، 154

4 – سورة الشعراء، الآيات: 185، 186

5 – سورة الفرقان، الآيات: 4، 5

- **النظرية الأولى: التطورية؛**

وما أصبح يُعرف بالمذهب الحيوي، الذي يتزعمه " تيلور- Taylor" في كتابه " La Civilisation Primitive" ومن بعد " سبنسر- Spencer " في كتابه " Principes de Sociologie "، وتذهب هذه النظرية في تفسيرها لنشأة إلى أن أقدم دين في الوجود هو الاعتقاد في الأرواح وعبادتها انطلاقا من مسائل جوهرية؛ نشأة النفس الإنسانية وتكونها باعتبارها الفكرة الأساسية للدين البدائي، وكيف أصبحت هذه النفس موضوع العبادة؟ وكيف أصبحت عبادة الطبيعة عبادة للأرواح؟[1]

بحسب هذه النظرية؛ أن الدين من عمل الإنسان، حيث وُجدت فكرة الله في المجتمعات البدائية على شكل عقائد انبثقت إما من الأفراد وإما من الجماعة، ومنها وُجد الدين في صورة جماعية أو فردية، و تقوم النظرية عند التطوريون على ضوء تحليلهم لتطور الحياة الإنسانية نفسها، من الأدنى إلى الأعلى، فكما أن التطور يسود الحياة البيولوجية للإنسان، فإنه يسود أيضاً الحياة العقلية، فالكائن ينتقل – طبقا لقانون التطور – فعقلية البدائي تشبه عقلية الطفل، حيث يغيب عنه التميز بين الكثير من المسائل، ومع نموه وتطور مدركاته العقلية يميز ذلك شيئا فشيء، فعقل البدائي كذلك تتطور من ماهية أدنى إلى ماهية أسمى، ومن نوع منحط إلى نوع راقي، ومن الأولى أن يتطور في حياته الفكرية، وأن تنتقل من طور إلى طور حتى تصل إلى كمالها النسبي، والدين عندهم ناحية من النواحي الإنسانية الفكرية، بدأ مع الإنسانية في سذاجتها، وتطور معها في سلم الحياة حتى وصل إلى كماله الحالي.[2]

- **النظرية الثانية: الفطرية**

وتسمى كذلك نظرية الوحي الأول، وتذهب إلى أن فكرة الله أو الدين وُجدت في عقل الإنسان وقد أوجدها فينا مُوجد يفوق كل الموجودات، وهنا تظهر فكرة الفطرية للتدين، وتدعو هذه الفكرة إلى أن للدين حقيقة خارجية هي الله، منفصلة عن الجماعة، وعن الكون كله. وقد استند أصحاب هذه النظرية إلى البحث الإثنولوجي لإثبات أطروحته، وتوصلوا إلى أن فكرة الله موجودة عند كافة المجتمعات البدائية، وأنكروا بذلك إنكاراً باتاً نظرية التطور، وقد دعموا بحوثهم بوثائق عن الحياة البدائية الأولى، وهذه البحوث قائمة على الواقع

1 – علي سامي النشار، نشأة الدين: النظريات التطورية والمؤلهة، ط1، دار السلام، القاهرة. 2009. ص، 38، 39.

2 – علي سامي النشار، المرجع نفسه. ص 40- 45

من ناحية، وعلى ما ندركه في أنفسنا من ناحية أخرى نحو هذه الفكرة الجليلة النبيلة "الله"، وقد أبطلت هذه النظرية؛ نظرية التطور ولم يعد ثمة مكان لتطور الدين من ماهية إلى أخرى، كما لم يعد مكان في كثير من الأبحاث الفيزيولوجية والبيولوجية لتطور كائن من ماهية ونوع إلى كائن من ماهية ونوع آخر.[1]

ثانيا: شمال أفريقيا:

تمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى البحر الأحمر شرقا، ومن سواحل البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى الصحراء الكبرى جنوبا.

وقد قُسمت شمال إفريقيا عبر التاريخ إلى منطقتين رئيستين؛ منطقة مصر، ومنطقة المغرب، وسنتناول هذه الدراسة وفق هذا التقسيم.

1 – علي سامي النشار، المرجع السابق. ص 9– 11

المحور الثاني: الأديان في مصر منذ القدم

تمهيد:

سميت "مصر" نسبة إلى مصر بن مصرايم بن حام بن نوح عليهما السلام. وذكرها القرآن الكريم في مواضع عدة، منها: قوله الله تعالى: {وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِيۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ}[1]، وقوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا}[2]، وقال تعالى: {فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ}[3]، وهي من فتوح عمرو بن العاص في أيام عمر بن الخطاب ﷺ.[4]

الإقليم الجغرافي لمصر القديمة

نقصد بها الجزء الشمال الشرقي مم إفريقي، حدودها من جهة الشمال بحر الروم "البحر الأبيض المتوسط" ومن الشرق خليج السويس والبحر الأحمر" بحر القازم، أو بحر السويس"، ومن الغرب صحاري ليبيا "لوبية"، ومن الجنوب بلاد النوبة.[5]

التاريخ المصري القديم حافل بالأحداث و الوقائع لا يتسع المقام لذكرها في هذا المقام، لكنه يمكن تقسيم المراحل الزمنية لمصر القديم في شكل موجز تقريبي استنادا لما تذكره المصادر التاريخية وموسوعات الحضارة، كالتالي:

- المملكة القديمة في الفترة 2613-2181 ق.م ظهرت الهندسة المعمارية وتطورت بشكل ملحوظ حيث شُيّدت أكثر المعالم شهرة في مِصْر مثل الأهرامات وتمثال أبو الهول، فقد بني هرم سقارة في 2570 ق.م في عهد الملك زوسر، وبنيت الأهرامات الثلاث أيضاً وهي خوفو، وخفرع، ومنقرع، بحيث تشير إلى قوة وثروة الحُكام الهائِلة في تلك الفترة.
- الفترة المتوسطة الأولى في الفترة 2181-2040 ق.م حدث فيها انحدار في قوة مصر وثروتها، وظهرت قوتان مركزيتان هما: هيراكونبوليس في مصر السفلى وطِيبة في مصر العليا.
- المملكة الوسطى في الفترة 2040-1782ق.م سمي العصر بالعصر الكلاسيكي، وأنشئ أول جيش في عهد الملك "أمنمحات"، إلى أن غزاها شعب "الهكسوس".

---

1 – سورة الزخرف، آية: 51.

2 – سورة يوسف ، آية: 21.

3 – سورة يوسف، آية: 99.

4 – عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم البلدان. ط2. دار صادر، بيروت، لبنان. 1995. ج5، ص 137

5 – مُحَمَّد أمين فكري، جغرافية مصر. ط1، مطبعة واد النبل، القاهرة، مصر. 1976. ص 3

- الفترة المتوسطة الثانية في الفترة 1782- 1570ق.م بدأت بسيطرة الهكسوس على مصر، إلى أن نجح الأمير "أحموس الأول" في استعادتها، وتوحيدها من جديد تحت حكم طيبة.
- المملكة الجديدة في الفترة 1570-1189 ق.م بدأت بعد توحيد مِصْر تحت حُكْم طيبة من جديد، حيث كان الحاكِم في السّابق يُعرف باسم مَلِك، وفي الفترة 1504-1492ق.م، وفي عهد الملكة حتشبسوت توسعت التّجارة مع الدول الأخرى، ثم خلفها في الحكم الملك "تحوتمس الثّالث"، والذي سار، في 1353ق.م وَصَل الفرعون أمنحوتب الرّابع إلى العرش، وغيَّر اسمه إلى أخناتون، وتعدّدت الآلهة مثل أمون، وإيزيس، واوزوريس إلّا أنّ عِبادة أمون كانت الأكثر شعبيَّة، ولكنّ أخناتون ونيفرتيتي تخلّيا عن تِلك المعتقدات وقاما بإصلاحات دينيَّة اقتضت بإقامة دين جديد قائم على عبادة إله واحد فقط.
- وفي الفترة 1353-1336ق.م انتقلت العاصِمة إلى العمارنة، ثمّ تلاه في الحُكم ابنه توت عنخ أمون، الذي أعاد العاصمة إلى طيبة، وحَكَم بعده رمسيس الثّاني، وفي عهده حدثت معركة قادش في 1274ق.م، وعلى الرّغم من انتهائها بالتعادل إلا أن رمسيس اعتبره انتصاراً واحتفل بنفسه كبطل وإله، وفي عهده تمّ توقيع أول معاهدة سلام وهي "معاهدة قادش" في 1258ق.م.
- الفترة المتوسّطة الثّالثة 1189-525ق.م حكم رمسيس الثالث في الفترة 1186-1155ق.م، ومع مرور الوقت استولى كهنة الإله أمون على السلطة، وبحلول عهد "رمسيس الحادي عشر" انهارت الحكومة المركزية وبدأت الفترة المتوسطة الثالثة.
- ثم غزاها الفرس، وبقيت تحت الاحتلال الفارسي حتّى مجيء ألكسندر الأكبر في 332ق.م، فقد سيطر على مِصْر من دون أيّ حملات قتاليّة، وأسَّسَ مدينة الإسكندرية، ثم انتقل إلى قهر الإمبراطوريّة الفارسيّة، وبعد وفاته في 323ق.م نقل بطليموس الأول جثته إلى الإسكندرية، وأسَّسَ سلُالة البطالمة في الفترة كانت آخر سُلالة البطالمة المِلكة كليوبترا الّتي قَتَلت نفسها في 30ق.م 323-30ق.م.[1]

1 – أنظر المصادر التالية:

– شارل سنيوبوس، تاريخ حضارات العالم. ترجمة: مُحَمَّد كرد علي. ط1. العالمية للكتب والنشر، الجيزة.2012 .

– تاريخ الحضارات العام. مجموعة من المؤلفين.إشراف موريس كروزي. منشورات عويدات، بيروت. 1989

– ول وايرايل ديورانت، قصة الحضارة. ترجمة: زاكي نجيب محمود.دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع.بيروت. 1988.

– جيمس هنري برستيد. تطور الفكر والدين في مصر القديمة. ترجمة زاكي سوس. دار الكرنك للنشر والطبع. 1961

– سعدون محمود الساموك، موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة. ط1. دار المناهج للنشر والتوزيع. عمان، الأردن. 2002

أولا: الدين في مصر القديمة

1- العقائد الدينية والعبادات

إن العقائد المرتبطة بأشكال مادية غير حية هي ظاهرة " فتيشية "بالغة القدم في تاريخ الديانة المصرية حالها في ذلك حال الأديان القديمة في الغبر، وهو ذات الشأن الذي نلحظه بخصوص العقائد الحيوانية والنباتية، حيث ارتبطت هذه الأشياء المادية المقدسة بالمعابد أو بالملك الحاكم، وهو ما يبدو عند قدامى المصريين في العصور المبكرة جدا، فالإنسان المصري القديم حال فكره الديني حال بقية أهل الأرض، هو في عالمٌ ملئ بالآلهة! ففي كل ركن من أركان مصر القديمة ينبثق توجد مجموعة من الآلهة المحلية (الصغرى) الخاصة بها، والتي يمكن جمعها عموما في ثلاثة أنواع:

الأول هو عبادة الأشكال الحيوانية، والطيور، و التي اختار بعضها ليقدسها؛ بسبب اعتقاده أن تلك الحيوانات أو الطيور تحوي شيئًا من القوة الإلهية أو الحكمة الخالدة، وقد قدس المصري القديم القوة المجهولة في الحيوان، والتى اختارت الحيوان لتتجسد فيه، وليس الحيوان بذات نفسه، فهو قدس البقر "حاتحور" رمز الأمومة والحب، لكنه لم يعبدها ولم يجد حرج في أن يذبح البقرة ليتغذى بلحمها.

وهكذا، ظهرت آلهة واختلفت أسمائها من إقليم لإقليم، واندثرت آلهة أو تحولت وتحورت لتندمج مع حيوانات أو آلهة أخرى بمسميات مختلفة.

الثاني: عبادة أنواع وأشكال نباتية، ومن ذلك أن المصري القديم اعتقد أن شجرة الجميزة مرتبطة بالألهة (حاتحور(التى مُنحت لقب سيدة الجميزة كألهة أنثى طيبية تنفع الناس.

الثالث عبادة الأشكال المادية غير الحية، مثل الحجر المقدس أو ما يعرف بال (بن بن – benben) وهو على شكل مسلة، كذلك عامود ال(چد – Djed) وهو مرتبط بالإله أوزيريس.[1]

بالإضافة للآلهة الكونية الكبرى، فإن العقائد الدينية التي ارتبط بها المصري القديم في عبادته لآلهته الصغرى أو المحلية.[2]

2- الألهة في مصر القديمة

تعددت الآلهة والمعبودات في مصر القديمة، وأخذت هذه الآلهة تخصصات مختلفة، آلهة السماء، آلهة

1 – ياروسلاف تشرني، الديانة المصرية القديمة. ترجمة أحمد قدري. ط1. دار الشروق، القاهرة. 1996. ص 25- 32

2 – ياروسلاف تشرني. المرجع نفسه. ص 34

الشمس، آلهة الزرع، الآلهة الحيوانية، آلهة العلاقات الجنسية، الآلهة البشرية، ومنها آلهة كبرى كأوزير، إيزيس، حورس، وأخرى الآلهة الصغرى كالكهنة.

أ- تشكل الآلهة في مصر القديمة

- **الآلهة الحيوانية والنباتية**

يقول ول ديورنت أن الدين في مصر كان من فوق كل شيء ومن أسفل منه، فهو موجود فنحن نراه في كل مراحل تشكله وفي كل شكل من أشكاله، من الطواطم إلى علم اللاهوت، ونرى أثره في الأدب وفي نظام الحكم وفي الفن، وفي كل شيء وقد اختلفت أنواعه وأشكاله وتعددت صوره لكثرة المعبودات فيه، لأن الآلهة والأساطير كانت تختلف من إقليم إلى إقليم، تضاهي في كثرتها بلاد الهند، فالمصري القديم يرى أن بداية الخلق هي السماء؛ وقد ظلت هي والنيل أكبر أربابه إلى آخر أيامه، وفي اعتقاده، لم تكن الأجرام السماوية العجيبة، مجرد أجرام، بل كانت هي الصور الخارجية لأرواح عظيمة، لآلهة ذوات إرادات- لم تكن متفقة على الدوام- توجه حركاتها المختلفة المعقدة[1].

لم يعبد المصريون القدامى مصدر الحياة فحسب بل عبدوا مع هذا المصدر كل صورة من صور نالحياة، فكانت بعض النباتات مقدسة لديهم، فالنخلة التي تظلل الناس في قلب الصحراء، وعين الماء التي تسقيهم في الواحة، والغيضة التي يلتقون عندها ويستريحون، كانت هذه عندهم، لأسباب قوية لا يستطيع أحد أن ينكرها عليهم أشياء مقدسة. ولقد ظل المصري الساذج إلى آخر أيام حضارته يقرب إليها قرابين الخيار والعنب والتين، وكانت هذه الآلهة من الكثرة بحيث غصت بها هياكلها كأنها معرض حيوانات صاخبة، لكن، ولما تحولت، الآلهة إلى آدميين ظلت محتفظة بصورتها الحيوانية المزدوجة وبرموزها، فكان " آمون " يمثل بإوزة أو بكبش، و" رع " يرمز له بصرصور أو عجل، و "أوزير" بعجل أو كبش، و"سبك" بتمساح، و"حورس " بصقر، و"حتحور" ببقرة، و" تحوت " إله الحكمة برباح.[2]

- **الآلهة من البشر**

من الأجدر أن نفرق بين الآلهة من بني الإنسان التي جاءت إلى مصر في وقت متأخر كثيراً، وبين الشعائر الدينية والتي بقيت من بداية الأمر إلى نهايته عنصراً أساسياً قومياً في الديانة المصرية ، ولعلها ظهورها في مصر القديمة في بدايتها كانت هدايا من غرب آسيا "بلاد الهند "، حيث أصبح البشر في

1- ول وايرايل ديورانت، قصة الحضارة. ترجمة: زاكي نجيب محمود.دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع.بيروت. 1988. مج 1، ج 8، ص 228، 229

2- ول ديورانت، قصة الحضارة. مج 1، ج 8، ص 232- 236

هذه المرحلة آلهة، ولم تكن آلهة مصر من الآدميين إلا رجالاً متفوقين أو نساء متفوقات خلقوا في صور عظيمة باسلة، ولكنهم خلقوا من عظام وعضلات ولحم ودم؛ يجوعون ويأكلون، ويظمئون ويشربون، ويحبون ويتزوجون، ويكرهون ويقتلون، ويشيخون ويموتون[1].

يصف فراس السواح كيفية تشكل العائلة الإلهية في مصر القديمة بقول: " في البداية عاش الإله لوحده ولا يغار إلا من سلطته الخاصة، وبما أن المصري لم يكن يتصور الحياة من دون عائلة، فقد باشر بتزويج آلهته وإلهاته وإعطائهم ولدا يشكل مع كل زوجين ثالوثا مقدسا، لم يكن الإله المذكر فيه على الدوام رئيسا بل اكتفى أحيانا بوضع زوج الإله التي بقيت كما في السابق الإلهة الرئيسية للإقليم، وهذا ما حصل في الدلتا حيث استمرت السلطة بيد الإلهة (هاتور)"[2].

وقد لعبت الأساطير دورا محوريا في صناعة الإنسان المقدس صاحب السلطة المطلقة فأوزير إله النيل المبارك كان يحتفل بموته ولقبه في كل عام، وكان يرمز بموته وبعثه لانخفاض النيل وارتفاعه، ولعلهما كانا يرمزان أيضا لموات الأرض وحياتها، كما ارتبطت مكانة الآلهة البشرية بالأساطير القديمة التي عرفتها الحضارات السابقة، فكانت "إزيس " ترمز في مصر– كما ترمز " كالي "، و"إستير، وسيبيل" في آسية؛ وكما "ترالز ديمتر" في بلاد اليونان و"سيريز" في رومة– كما ترمز هذه كلها إلى ما للعنصر النسوي من أسبقية وأفضلية واستقلال في الخَلْق، وفي الميراث وإلى ما كان للمرأة أول الأمر من زعامة في حرث الأرض؛ ذلك أن إيزيس (كما تقول الأسطورة) هي التي عثرت على القمح والشعير حين كانا ينموان نمواً برياً في أرض مصر، وكشفت عنهما لأوزير.[3]

كان أهم ما يميز هذا الدين توكيده فكرة الخلود. فالمصريون يعتقدون أنه إذا أمكن أن يحيا أوزير النيل، ويحيا النبات كله، بعد موتهما، فإن في مقدور الإنسان أيضا أن يعود إلى الحياة بعد موته، وكان بقاء أجسام الموتى سليمة بصورة تسترعي النظر في أرض مصر الجافة مما ساعد على إثبات هذه العقيدة التي ظلت مسيطرة على الديانة المصرية آلاف السنين، والتي انتقلت منهم إلى الدين المسيحي[4].

أمام هذا الكم الهائل من الآلهة ومعبودات في مصر يصبح من المحال رسم صورة لديانة متسقة ومنطقية في كل تفاصيلها أو صلاحيتها العامة للإقليم المصري بأسره، لأنه لم تتواجد عقيدة موحدة ومتناسقة عبر كل

1– ول ديورانت، قصة الحضارة. مج 1، ج 8، ص 237– 242

2– فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان–الشرق القديم– مجموعة من المترجمين.ط4. دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر. دمشق. 2017. مج2، ص 38

3 – ول ديورانت، قصة الحضارة. مج 1، ج 8، ص 244

4 – ول ديورانت، قصة الحضارة. مج 1، ج 8، ص 249

مراحل مصر القديمة، وهذا راجع بالأساس إلى أنها لم تكون صنع مفكر واحد، بل تشكلت في فترات عديدة ومن نتاج العديد من التيارات اللاهوتية والسياسية، كما أن مصر لم تكن تحت سيطرة سلطة واحدة زمانيا وسياسيا لتتمكن من حصر كل العقائد المحلية وتوحدها في إطار لاهوتي أو فكري شامل على كل المصريين بمختلف انتماءاتهم الإقليمية والطبقية.[1]

3- التوحيد الاخناتوني

رغم صورة مفهوم الإله المطلق أو العالمي التي وصل إليها المصريون القدامى، لكنهم لم يتخلوا عن آلهتهم المحلية الأخرى، وحتى الإله الأكبر لم تتبلور مكانته الجديدة تحت اسم واحد في كل الأقاليم، والمؤسسات المسيطرة، وأصبحت الآلهة والمعبودات المحلية مجرد صفات للذات الإلهية العليا، وهو الوضع الديني الذي توارثه إخناتون عم سابقيه من الحكام.[2]

خلف أمنحوتب الرابع الذي أصبح يعرف باسم "إخناتون" أباه أمنحوتب الثالث على العرش في عام 1380 ق.م بعد حياة حافلة بالعظمة والنعيم الدنيوي .[3]

وكان الملك الشاب في حياته الخاصة مثالاً للطهر والأمانة، فلم يرضه هذا العهر المقدس؛ ففي العام الرابع من حكمه ثار على الفساد الذي تدهور إليه دين شعبه، وكره المال الحرام والمراسم المترفة التي كانت تملأ الهياكل، وأحفظه ما كان لطائفة الكهنة المرتزقة من سيطرة على حياة الأمة. ثار الرجل على هذا كله ثورة الشعراء، فلم يقبل تراضياً ولم يقنع بأنصاف الحلول، وأعلن في شجاعة أن هاتيك الآلهة وجميع ما في الدين من احتفالات وطقوس كلها وثنية منحطة، وأن ليس للعالم إلا إله واحد هو- آتون.

رأى إخناتون أن الإلوهية أكبر ما تكون في الشمس مصدر الضوء وكل ما على الأرض من حياة، وهذه الفكرة عن الإلهية كانت سائدة في بلاد الشام عن " أدنيس " ، فاستبدل باسمه الأول أمنحوتب المحتوي على لفظ آمون اسم إخناتون ومعناه " آتون راض "، واستعان ببعض الترانيم القديمة، وبعض قصائد في التوحيد كانت منتشرة في أيام سلفه، فألف أغاني حماسية في مدح آتون، أحسنها وأطولها جميعاً.[4]

نجد هذه الصور تقول بفكرة تتصارع الآلهة مع بعضها لنيل رضا الخالق أو يثوروا على الخالق نفسه وفقا للفصل في وظائفهم، والسبب إيمانهم بفكرة أخرى وهي (الإله الناقص) بمعنى أن لوازم العدل تعني صراع الآلهة لمصالح البشر، وهي الغاية الدنيوية الكبرى من التدين، فلو لم يؤمن البشر بأن العدل هو اللازم الأكبر وهو الضرورة القصوى وهو القيمة الفوق إلهية ما جاز لهم القول بصراع الآلهة،يمكن مقارنة التوحيد الأخناتوني عبر

1 - ياروسلاف تشرني. المرجع السابق. ص 45، 46

2 - ياروسلاف تشرني. المرجع السابق. ص 79

3 - ول ديورانت، قصة الحضارة - التراث الشرقي ، الشرق الأدنى- مج 1، ج 8، ص 258

4 - ول ديورانت، قصة الحضارة - التراث الشرقي ، الشرق الأدنى- مج 1، ج 8، ص 365

تصورات دينية، بالتوحيد في الهندوسية لوصفها أقدم الديانات المعاصرة لعبادة آمون ورع، فالإله المنفصل الذي رآه المصريون القدماء لا يكمن انفصاله فقط في القيمة بل في القدرة والفصل بين المواد في ذهن الإنسان لا يستدعي وجود قوى غيبية بينهم، وهذه الفكرة مترسخة في عقائد الهندوس الذين يرون أساطير الآلهة الهندية عبارة عن أحداث إنسانية لصالحهم[1].

كما يرى إخناتون أن إلهه رب الأمم كلها، بل إنه في مديحه ليذكر قبل مصر غيرها من البلاد التي يوليها الإله عنايته، وفي نظره أن "آتون" لا يوجد في الوقائع والانتصارات الحربية فقط، بل يوجد في الأزهار والأشجار وفي جميع صور الحياة والنماء؛ وهذا الإله الحق هو خالق حرارة الشمس ومغذيها؛ وليس ما في الكرة المشرقة والآفلة من مجد ملتهب إلا رمزاً للقدرة الغائبة، وآتون هو الفرحة التي تجعل الخراف الصغرى "ترقص فوق أرجلها" والطير "ترفرف في منافعها.[2]

في حكم والده كانت الإمبراطورية المصرية مترامية الأطراف، لكن في عهد إخناتون سرعان ما غزا الحيثيون وغيرهم من القبائل المجاورة لهم البلاد التابعة لمصر في الشرق الأدنى، لكن تردد إخناتون في تقديم المساعدة، ولما رأت الولايات أنها لا تطلب النجدة من ملك حاكم بل تطلبها من ولي صالح، فاضطرت هذه الولايات خلع حكام المصريين، وأصبحت حرة مستقلة في جميع شؤونها. ولم يمض من الزمن إلا أقصاه حتى خسرت مصر إمبراطوريتها الواسعة، وانكمشت حتى عادت دولة صغيرة ضيقة الرقعة، وأصبحت مصر فقيرة في رقعة صغيرة بعد أن انفصلت الولايات وشاعت الفوضى وجفت موارد المال، ولم يكد يتم الثلاثين من عمره حتى توفي في عام 1362 ق.م محطم القلب بعد أن أدرك عجزه عن أن يكون مَلِكاً[3].

طبقا للمفهوم الرسمي كان الملك هو الوحيد بين البشر المخول في عقد صلات مباشرة مع الآلهة، ولعلنا لما ننظر إلى تماثيل وصور الأرباب لا يوجد لها آثار، ورغم ذلك فإننا نرى خلال ألقاب بعضهم أنهم كانوا يرتبطون بآلهة ككهنة، فثورة إخناتون التي قيل أنها أول دعوة للتوحيد، فالرجل لم يثور على آمون في الحقيقة بل على النقص والانفصال الآموني، بدليل أنه لم يَثُر على الشكل المعتاد لآمون أو قدرته بل أسقط هذا الشكل وتلك القدرة في إلهه الجديد.."آتون" لكن ثمة صراع أو ثورة على هذا المعتقد وهو (الإله الناقص أو المنفصل) بمعنى أن إخناتون استبدل آمون بآمون آخر لكن أعطى له إسم رمزي وهو.."آتون".[4]

ومن هنا يمكن القول أن التوحيد الإخناتوني لم يحل معضلة تدخل الرب في شئون الناس وإجبارهم أو اهتمامه بالصغائر، فظهر حل بديل وهو القول "بوحدة الوجود" وتعني أن الذات الإلهية كامنة في كل شيء

1 – ياروسلاف تشرني. المرجع السابق. ص 81

2 – ول ديورانت، قصة الحضارة – التراث الشرقي ، الشرق الأدنى– مج 1، ج 8، ص 266

3 – ول ديورانت، قصة الحضارة – التراث الشرقي ، الشرق الأدنى– مج 1، ج 8، ص 267– 271

4 – ياروسلاف تشرني. المرجع السابق. ص 89

حتى في الجمادات انطلاقا من فكرة تقول أن "الرب هو كل الوجود" وعليه فباعتبار أن الذات الإلهية تحل في أرواح ، فالرسالة الإلهية عند قدماء المصريين والآسيويين كانت تُعطى حصريا للملوك الذين وصفوا بأبناء الرب.

كان لظهور عقيدة "وحدة الوجود" لأول مرة من أجل مقاومة التعدد ومحاربة تعدد الآلهة، لأنها تقول في الأصل بأن الكون هو (التجلي الإلهي) ليس هو (الذات الإلهية) فالذات منزهة عن الظهور علنا وفي الخفاء، لكن ولأن هذا التجلي له لوازم منطقية –كحديث البشر مثلا على لسان الرب – ظهر أن كل إنسان صالح وصاحب كاريزما يكون التجلي في داخله أكبر من التجلي عند الآخرين، ومن هنا ظهر التعدد مرة أخرى في تقديس كل إنسان صالح وصاحب شخصية، ومنهم من وصل بهؤلاء لمرتبة الألوهية المطلقة أو بالنسخ والحلول الكامل مع الله، ومثال ذلك أن إله الشمس عند المصريين هو.."آتوم Atum.." وكانوا يلقبوه بـ " آتوم رع "، ودمج اللفظين يعني قوة شمس الخالق أو نعمة رع على عباده بالشمس.

يرى ول ديورات هذه الآلهة – رع أو آمون كما كان يسميه أهل الجنوب– وأوزير، وإيزيس وحورس– أعظم أرباب مصر. ولما تقادم العهد امتزج رع وآمون وإله آخر هو فتاح فأصبحت ثلاث صور أو مظاهر لإله واحد أعلى يجمعها هي الثلاثة[1].

1 – ول ديورانت، قصة الحضارة. مج 1، ج 8، ص 246

ثانيا: اليهودية في مصر

الشعب اليهودي اليوم كأي شعب له تاريخ، إلا أنه تاريخ حافل بالغموض في كثير من المسائل، وهو يحاول فك شفرة الغموض في قضية انتماءه وأرضه وجغرافية أرضه بالتحديد. ومصر إحدى هذه المعالم التاريخية التي لها مكانة هامة وواسعة الأبعاد في الديانة اليهودية تاريخيا ودينيا. ذلك أنّ مصر استقطبت آباء اليهود منذ بداية التاريخ اليهودي العريق. وهذا ما ترويه أسفارهم، فورد فيها أنّ إبراهيم الخليل دخل مصر في العصور السالفة، ثم تحكي قصة يوسف الذي بيع فيها، ولحاق أبيه يعقوب وبنيه به بدعوة منه، الذين استوطنوا فيها إلى أن خرجوا مُضطهدين مع موسى.

ورغم ذلك لم تنقطع الصلة بين مصر وشعب بني إسرائيل، ذلك أنّ مصر كانت في كل مرة الملاذ الآمن لهم من شتى أنواع الشتات والاضطهادات التي عاشوها تحت وطأة الأقوام الأخرى. وهذا البحث يختص ببحث جزئية التواجد اليهودي في مصر في مختلف الحضارات التي مرّ بها شعب اليهود.

1- التعريف بالديانة اليهودية:

لغة:

الهَوْدُ: التَّوْبَةُ، والرُّجوعُ إلى الحَقِّ

وهَوَّدَهُ: حَوَّلَهُ إلى مِلَّةِ يهودَ.

والهَوادَةُ: اللِّينُ، وما يُرْجَى به الصَّلاحُ، والرُّخْصَةُ.

والتَّهْويدُ: تجاوُبُ الجِنِّ، والتَّرْجيعُ بالصَّوْتِ في لينٍ، والتَّطْريبُ، والإِلْهاءُ، والمِشْيُ الرُّوَيْدُ، وإِسْكارُ الشِّرابِ، والصَّوْتُ الضَّعيفُ اللَّيِّنُ،

كالتَّهْوادِ، والإِبْطاء في السَّيْرِ، والسُّكونُ في المَنْطِقِ،

كالتَّهَوُّدِ والتَّهْوادِ.

والمهاوَدَةُ: المواعَدَةُ، والمصالَحَةُ، والمِمايَلَةُ، والمعاوَدَةُ.

وتَهَوَّدَ: صارَ يهودِيًّا، وتَوَصَّلَ بِرَحِمٍ أو حُرْمَةٍ.

وهَوَّدَ تَهْويداً: أَكَلَ السَّنامَ.

ويَهودَا: أخُو يوسُفَ الصِّدِّيق، عليهما السلام.[1]

اصطلاحا :

اليهودية:

جاء تعريفها في دائرة المعارف الكتابية: هي الجزء الجنوبي من الولاية الرومانية في فلسطين، كانت منطقة صغيرة، فمع ضم كل السهل الساحلي والصحراء لا تبلغ مساحتها أكثر من ألفي ميل مربع. يحدها نهر الأردن من الشرق، وفي غربه الصحراء البرية، ثم المرتفعات ثم التلال المنخفضة، ثم السهل الساحلي على ساحل البحر المتوسط،، ويحدها من الشمال السامرة، ومن الجنوب الصحراء.

يقول سميث أنّ في اليهودية ثلاث معالم جغرافية ذات أهمية كبيرة: طبيعتها الرعوية، مجاورتها للصحراء، عدم ملائمتها لقيام مدينة كبيرة.

وولد في صحراءها اثنان من الأنبياء: عاموس وإرميا. وهي البرية التي هرب إليها داود من شاول. وفيها عاش يوحنا المعمدان، وفيها واجه الرب يسوع تجربة إبليس له.[2]

فاليهود هم الذين يزعمون أنهم أتباع موسى عليه السلام.

وقد وردت تسميتهم في القرآن الكريم بقوم موسى، وبني إسرائيل نسبة إلى يعقوب عليه السلام، وكذلك أهل الكتاب، واليهود.

إلاَّ أن الملاحظ أن هذه التسمية الأخيرة – اليهود – لم يذكروا بها إلاّ في مواطن الذم[3].

2– التسميات التاريخية لليهود

العبري: صارت كلمة عبري مرادفة لابن الصحراء أو البادية بوجه عام. لذلك فإن نعت إبراهيم

1– مجد الدين أبو طاهر مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزآبادى، القاموس المحيط/مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة/مُحَمَّد نعيم العرقسُوسي/مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان/الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م/الجزء 1/ص329

2– دائرة المعارف الكتابية،وليم وهبه بباوي،دار الثقافة،القاهرة،م8، ص311.

3– سعود بن عبد العزيز الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية. ط4. مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية. 2004. ج1، ص 45، 46

الخليل عليه السلام بالعبراني، كما ورد في التوراة، إنما أريد به معنى العبريين "العبيرو" وهم القبائل العربية ومنها القبائل الآرامية العربية التي ينتمي إليها إبراهيم الخليل عليه السلام نفسه.[1]

بنو إسرائيل: وإسرائيل هو يعقوب حفيد إبراهيم الخليل وأطلق لفظ بني إسرائيل على أولاد يعقوب وقد عاشوا في القرن السابع عشر قبل الميلاد واستمرت هذه التسمية لمدة ألف وأربعمائة سنة، ولغتهم هي الآرامية، وهي نفس اللغة التي يتكلم بها الكنعانيون والعموريون في فلسطين واندمج بنو إسرائيل بالمصريين بعد هجرة يعقوب وأولاده إلى مصر لينضموا إلى يوسف فاختفى ذكرهم ولم يظهر لهم أثر تاريخي قبل ظهور موسى.[2]

تعرف اليهودية على أنها إحدى الديانات السماوية، واليهودية اسم يطلق على ديانة بني إسرائيل وقد نزلت هذه الديانة على النبي موسى عليه السلام.

وساهمت أجيال عديدة في تطوير وتكوين فكر وشريعة وطقوس هذه الديانة، إذ يتدخل الدين في كل صغيرة وكبيرة من شئون حياة الفرد اليهودي ويحدد مساره في حياته العامة والخاصة ويوضح له طريق معاملاته مع أبناء ديانته ومع غيرهم.

إن اليهودية " Judaism " كمصطلح في المفهوم اليهودي يشير إلى عقيدتهم ويعبر عنه بكلمة "توراة"، وتشير الدراسات التاريخية أن هذا المصطلح "اليهودية" قد ظهر أثناء العصر الهيليني للإشارة إلى ممارسات اليهود الدينية لتمييزها عن عبادات جيرانهم.

ويرجع المؤرخون سك هذا المصطلح إلى المؤرخ اليهودي يوسيفوس فلافيوس ليشير إلى العقيدة التي يتبعها أولئك الذين يعيشون في مقاطعة يهودا مقابل " الهيلينية " أي عقيدة أهل هيلاسHellas وهكذا بدأ المصطلحان كتسمية للمقيمين في منطقة جغرافية ثم أصبحا يشيران إلى عقيدتهم، وأما الأصل العبري

1 – سعدون محمود السموك، مقارنة الأديان، ط1. دار وائل، الأردن، ص45

2 – سعود بن عبد العزيز الخلف، المرجع السابق. ج1، ص 51

لكلمة "يهدوت "، فيعود إلى العصور الوسطى.[1]

ومع مرور الزمن أصبحت كلمتا "يهودية" و" توراة " كلمتين مترادفتين، ولكن ثمة اختلافات دقيقة بينهما، فمصطلح " اليهودية " يؤكد الجانب البشري، بينما يؤكد مصطلح " التوراة " الجانب الإلهي. ولذا، يمكن الحديث عن "اليهودية العلمانية" بينما يصعب الحديث عن " التوراة العلمانية ".

وأصبح المصطلح الشائع اليوم في العالم الغربي هو " اليهودية "، أما مصطلح " توراة " فقد اختفى تقريباً إلا بين المتخصصين والأرثوذكس.

وتشير كلمة " التوراة " إلى الجوانب الثابتة اللادنيوية في الديانة، ويُستخدَم مصطلح " يهودية " للإشارة إلى الجوانب التاريخية المتغيّرة وإلى تفاعُل اليهودية مع الحضارات الأخرى.

ومن هنا، يمكن الحديث عن " اليهودية الحاخامية " و" اليهودية الهيلينية "، ولا يمكن الحديث عن "التوراة الحاخامية " مثلاً، ويرى دارسو اليهودية أن إطلاق مصطلح " يهودية " على تلك المرحلة من تاريخ اليهودية التي تسبق تدوين العهد القديم يتضمن تناقضاً تاريخياً، فهي مرحلة سديمية لم تكن قد تشكلت فيها بعد معالم اليهودية، ولم يكن العبرانيون فيها قد صاروا يهوداً، ولذلك يطلق على تلك المرحلة " مرحلة عبادة إسرائيل، ثم " العبادة القربانية المركزية " بعد تأسيس الهيكل.

وتُشير أدبيات جماعة الناطوري كارتا إلى " يهودية التوراة" (Torah Judaism) بمعنى

" اليهودية الأصلية " أو " اليهودية الأرثوذكسية "، وهم يفضلون استخدام مصطلحهم لأنه قد ولِّد من داخل المنظومة اليهودية، على عكس كلمة " أرثوذكسية " ذات النكهة المسيحية.[2]

وقد أطلقت تسمية اليهود على بقايا جماعة يهوذا الذين رحلهم نبوخذ نصر إلى بابل في القرن سادس قبل الميلاد نسبة إلى مملكة يهوذا المنقرضة. وقد اقتبس هؤلاء، قبيل الترحيل البابلي لهجتهم العبرية المقتبسة من الآرامية وبها دونوا التوراة، أي بعد زمن موسى بثلاثمائة عام، لذلك صارت تعرف هذه

1 – عبد الوهاب المسيري ، الموسوعة اليهود واليهودية الصهيونية، دار الشروق. 1999 مج 5 ص 469

2– عبد الوهابي المسيري المرجع السابق. مج 5 ص 471

اللهجة بآرامية التوراة وهي بلا شك غير الشريعة التي نزلت على موسى. [1]

3- الجدور التاريخية لليهودية في مصر:

أ- هجرة إبراهيم إلى مصر.

يذكر التناخ أنّ أبرام لما كان في كنعان حلّ القحط والجفاف فيها، فانحدر إلى مصر، كما جاء في سفر التكوين: "حَدَثَ جُوعٌ فِي الأَرْضِ، فَانْحَدَرَ أَبْرَامُ إِلَى مِصْرَ لِيَتَغَرَّبَ هُنَاكَ، لأَنَّ الْجُوعَ فِي الأَرْضِ كَانَ شَدِيدًا"[2].

ويذكر فتحي مُحَمَّد الزغبي في كتابه "تأثر اليهودية بالأديان الوثنية" أنّ هجرة أبرام إلى مصر كانت في القرن ال 19 ق.م.[3]

ذهب أحمد سوسة إلى القول بهجرة إبراهيم إلى مصر وادي النيل تحديدا واستند في قوله هذا إلى أنّ مصر كانت قلب الاستقرار السياسي الرخاء خاصة في النيل في عهد الفرعون سنوسرت الثاني 1897_1877 ق.م، وسنوسرت الثالث 1872_1843 ق.م، وكانت كنعان حلقة الوصل بين مصر وباقي الأقطار لذا من الطبيعي أن يهاجر إليها إبراهيم.[4]

ويورد المسيري في موسوعته أنّ إبراهيم دخل مصر في عهد الأسرتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة (في القرنين ال 16 وال 15 ق.م، أي في عصر الهكسوس).[5]

ولا يوجد ذكر في القرآن لهجرة إبراهيم إلى مصر.

ب: هجرة يعقوب وأبناءه إلى مصر.

1- عبد الوهابي المسيري المرجع السابق، ص46،

2- تكوين،12: 10.

3- فتحي مُحَمَّد الزغبي، تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، دار البشير،ط1، طنطا،مصر،1994م، ص161.

4- أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ط2، العربي للنشر والطباعة، ص265.

5- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية،عبد الوهاب المسيري، ج10،ص349.

1- يوسف عليه السلام:

تواجد بنو إسرائيل في مصر في زمن يعقوب له مقدمة سابقة يرويها سفر التكوين من الإصحاح 37 إلى الإصحاح 50 وهي موافقة لما يذكره القرآن بشكل كبير، وهي قصة كيد إخوته له بسبب أحلامه التي قصها على أبيه أمامهم، مما جعلهم يكيدون له فباعوه لقافلة الإسماعيليين الذين بدورهم باعوه لفوطيفار في مصر[1].

لما انتهت سنة الخير وجاءت سنة القحط والجوع في كنعان جاء يعقوب وبنيه إلى مصر حيث يوجد يوسف، وعرفوه وظلوا له منكرين لكن في النهاية استقروا في مصر في رخاء كبير، وتكاثروا خلال أكثر من قرنين من الزمان[2]. إلى أن قام ملك جديد لا يعرف يوسف فأذلهم كما جاء في سفر الخروج: " ثُمَّ قَامَ مَلِكٌ جَدِيدٌ عَلَى مِصْرَ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ يُوسُفَ. فَقَالَ لِشَعْبِهِ: "هُوَذَا بَنُو إِسْرَائِيلَ شَعْبٌ أَكْثَرُ وَأَعْظَمُ مِنَّا.هَلُمَّ نَحْتَالُ لَهُمْ لِئَلاَّ يَنْمُوا، فَيَكُونَ إِذَا حَدَثَتْ حَرْبٌ أَنَّهُمْ يَنْضَمُّونَ إِلَى أَعْدَائِنَا وَيُحَارِبُونَنَا وَيَصْعَدُونَ مِنَ الأَرْضِ"[3].

2- هجرة يعقوب وبنيه إلى مصر:

والذي يهمنا في بحثنا هو تاريخ دخول يعقوب وبنيه إلى مصر، وبالتالي المدة التي قضوها في مصر، وهذا فيه صعوبة نوعا ما ذلك لأن الأسفار لم تذكر ذلك ولا يوجد في الآثار المصرية أدنى ذكر لدخول اليهود، مصر وخروجهم منها[4]. وكذلك المكان الذي تواجدوا فيه في مصر.

ذهب رجا عبد الحميد في كتابه "سفر التاريخ اليهودي" إلا أنّ هجرة يعقوب إلى مصر كانت حوالي 1600 ق.م.

1- ذكرت هذه القصة في مصادر كثيرة منها: تاريخ شعب العهد القديم للأب ديلي.سفر التاريخ اليهودي لرجا عبد الحميد عرابي.مدخل إلى تاريخ اليهودية وتعاليمها لعيسى دياب. وغيرهم.

2- رجا عبد الحميد عرّابي،سفر التاريخ اليهودي، ط1، دار الأوائل، دمشق، سورية،2004م، ص92.

3- خروج:1: 8.

4- فتحي مُحَمَّد الزغبي، تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، مرجع سابق، ص163.

وذُكر في قصة الحضارة لويل ديورانت أنهم دخلوا مصر في أثر الهكسوس الذين أتاحوا لهم بعض الحماية، وذلك عام 1650 ق.م[1].

ويذكر موريس بوكاي في كتابه "القرآن الكريم والإنجيل والتوراة والعلم" أنهم دخلوا مصر في عهد الهكسوس في القرن الـ17 ق.م[2].

ويقول في غير موضع: "يكون الدخول قد حدث فيما بين 1850_1880 ق.م"[3].

ج: خروج بني إسرائيل من مصر في عهد موسى.

يفيد التاريخ اليهودي أنّ بنو إسرائيل نموا وتوالدوا بأعداد هائلة في مصر بعد موت يوسف، مما أقلق المصريين لأنهم رأوا في ذلك تهديدا لمملكتهم، فحوّلوا العبرانيين من مواطنين أحرار إلى عبيد، وأمر فرعون القابلات اللاتي يولّدن نساء العبرانيين أن يقتلن كل صبي يولد، "وَكَلَّمَ مَلِكُ مِصْرَ قَابِلَتَيِ الْعِبْرَانِيَّاتِ اللَّتَيْنِ اسْمُ إِحْدَاهُمَا شِفْرَةُ وَاسْمُ الأُخْرَى فُوعَةُ، وَقَالَ: "حِينَمَا تُوَلِّدَانِ الْعِبْرَانِيَّاتِ وَتَنْظُرَانِهِنَّ عَلَى الْكَرَاسِيِّ، إِنْ كَانَ ابْنًا فَاقْتُلاَهُ، وَإِنْ كَانَ بِنْتًا فَتَحْيَا"[4]. وفي خضم هذه الظروف القاسية وُلد موسى[5].

وقد كبُر وترعرع في بيت فرعون، إلى أن وقعت الحادثة التي قتل فيها موسى الرجل المصري من أجل العبراني وصار مُطاردا من طرف فرعون، فهرب إلى الصحراء إلى أرض مدين، وهناك تجلىّ له الرب وأمره بإخراج شعبه من مصر وتخليصه من عبودية فرعون[6].

لم يرد في التوراة ولا في القرآن ذكر لتاريخ خروج بنو إسرائيل من مصر. إلاّ أنّ هناك جملة من الآراء للمؤرخين في هذه المسألة.

يؤكد سفر التكوين والخروج بأنّ العبريين مكثوا بمصر 400 أو 430 عاما. جاء في سفر التكوين: "

1- ول ديورانت، قصة الحضارة، تق:محي الدين صابر،تر: زكي نجيب وحمود، دار الجيل، لبنان،بيروت،1988م،ج2،ص324.
2- موريس بوكاي،القرآن الكريم والتوراة والأنجيل والعلم، ط1، مكتبة مديولي، القاهرة،1996م، ص259.
3- المصدر نفسه،ص259.
4- خروج:1: 15-16.
5- عيسى دياب، مدخل إلى تاريخ اليهودية وتعاليمها، ط1، دار المشرق، بيروت،لبنان،2013م،ص42.
6- الأب ديلي،تاريخ شعب العهد القديم، المطبعة الكاثوليكية،مطران، بيروت،1961م، ص136-137.

فَقَالَ لأَبْرَامَ: "اعْلَمْ يَقِينًا أَنَّ نَسْلَكَ سَيَكُونُ غَرِيبًا فِي أَرْضٍ لَيْسَتْ لَهُمْ، وَيُسْتَعْبَدُونَ لَهُمْ. فَيُذِلُّونَهُمْ أَرْبَعَ مِئَةِ سَنَةٍ"[1].

وفي سفر الخروج ما نصه: "وَأَمَّا إِقَامَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّتِي أَقَامُوهَا فِي مِصْرَ فَكَانَتْ أَرْبَعَ مِئَةٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً"[2].

وهذا ممّا لا خلاف فيه بين المؤرخين، ولكن الذي وقع فيه الخلاف هو تاريخ خروجهم. ففريق منهم قال بخروجهم في القرن ال 16 ق.م. وفريق رأى أنهم خرجوا في عهد تحوتمس الثالث 1447 ق.م[3].

وذهب موريس بوكاي أنهم خرجوا من مصر في 1450 ق.م[4].

ويرى رجا عبد الحميد عرّابي في كتابه أنّ الخروج مع موسى كان في 1400 ق.م[5].

وفريق آخر يرى أنّ الخروج كان في القرن ال 13 ق.م أي في عهد رمسيس الثاني 1280-1290ق.م. أو بين 1224-1220 ق.م، وهو الرأي الذي مال إليه الأغلبية أمثال أحمد سوسة وغيره.

2- الحدود المكانية للوجود اليهودي في مصر من عصر الآباء إلى موسى.

في التاريخ سرد طويل لتواجد اليهود في مصر، ولكنّ مصر هنا مصران: مصر وادي العريش، ومصر وادي النيل. والروايات التاريخية تختلف في أي المصرين تواجد اليهود من زمن يوسف ويعقوب وبنيه إلى خروجهم مع موسى.

لاقت رواية وصول إبراهيم ويعقوب إلى مصر وادي النيل واتصاله بفرعونها مباشرة معارضة شديدة من طرف بعض المؤرخين العرب والأجانب، فريق منهم قال أنّ هجرة إبراهيم ويعقوب وأبناءه كانت إلى مصر وادي النيل، بينما يرى فريق آخر أنهم هاجروا إلى مصرايم في شبه جزيرة سيناء على وادي العريش. وذلك بسبب الخلط بين مصطلح "مصر" و "مصرايم"، وكذلك خلو المصادر المصرية من ذكر هجرة يعقوب وبنيه إلى

1- تكوين: 15، 13.
2- خروج:12: 40.
3- فتحي محمّد الزغبي، مرجع سابق،، ص167.
4- موريس بوكاي، مصدر سابق، ص259.
5- رجا عبد الحميد عرّابي، سفر التاريخ اليهودي، مرجع سابق، ص93.

مصر وادي النيل. والذي عليه أغلب المؤرخين أنّهم هاجروا إلى مصرايم وادي العريش، وهذا الاتجاه يمثله بخاصة winkler hogo في كتابه "دراسة في العهد القديم" وقد وافقه كثير من المؤرخين العرب.

يقول أحمد سوسة: الهكسوس هم من العرب العماليق أو العرب البائدة[1]. ويتضح هذا في أنساب قبائل الهكسوس، والتي هي أسماء عربية، فقد أورد أحمد داود في كتابه "العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود" أنسابهم، وهي: فرعون إبراهيم عليه السلام هو سنان بن علوان بن عُبيد بن عُويج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح.

أما فرعون يوسف فهو الريّان بن الوليد بن ثروان بن أراشة بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح[2].

أما فرعون موسى قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير بن السلوان بن فاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح[3].

الهكسوس كانوا يسيطرون على شبه جزيرة سيناء وشمال مصر وجنوب بلاد الشام فهم كانوا مسيطرين على مصر وادي النيل ومصر وادي العريش، والدليل أنهم فيما بعد نقلوا عاصمتهم من مصرايم إلى ممفيس عاصمة مصر وادي النيل[4].

كذلك أوصى يعقوب ابنه يوسف أن يدفنه في مغارة مكفيلة حيث دفن جده إبراهيم وجدته سارة، وأبوه إسحاق، ووالدته رفقة، وحقا فعل يوسف ذلك وذهب معه جمع غفير. فكيف لهذا الجمع أن ينقل جثمانه مسيرة أكثر من شهر[5].

ويؤيد أحمد داود هذا الطرح فيقول: "من الناحية الجغرافية موقع مصريم التوراتية هي قرب الكنعانيين لا يفصل بينهما سوى ما يفصل بين القرية والأخرى"[1]. ويشهد لهذا النص التوراتي في سفر التكوين: " لأَنَّنَا لَوْ لَمْ نَتَوَانَ لَكُنَّا قَدْ رَجَعْنَا الآنَ مَرَّتَيْنِ"[2].

1- أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، مرجع سابق،ص74.

2- العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود،أحمد داود،دار المستقبل،ط1991،1م،دمشق،ص98-99.

3- رجا عبد الحميد عرّابي، سفر التاريخ اليهودي، مرجع سابق ،ص104.

4- المرجع نفسه،ص113.

5- المرجع نفسه،ص106.

الهكسوس كانوا يُسمّون أمراءهم بالملوك، على عكس المصريين في سيناء الذين سمّوا أمراءهم بالفراعنة. لذلك كان القرآن دقيقا في ألفاظه، ففي الآيات التي تكلمت على يوسف عليه السلام وهي الحقبة التي كانوا فيها موحّدين تحت حكم الهكسوس، استعمل لفظ "الملك": "وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ"[3].

"وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي"[4].

ومنهم من نفى ذلك أصلا، وقال أنهم من بقايا الهكسوس، منهم أحمد سوسة: "حقيقة قصة الخروج هي كما يستدل من الأحداث التاريخية، أنّ جماعة من المصريين الذين كانوا قد أخذوا بديانة التوحيد في عهد أخناتون فرعون مصر، وأكثرهم من الجنود المصريين أتباع موسى، ومن بقايا الهكسوس"[5].

مصر وادي النيل مدينة كبيرة جدا، فكيف لبني إسرائيل أن يتكاثروا في أرجائها بعدد عائل يُخشى منه، وهم أساسا عددهم قليل، بينما مصرايم وشبه جزيرة سيناء مدينة صغيرة مقارنة بمصر وادي النيل. وفي هذا يقول أحمد داود: "من الناحية السكانية تحدد التوراة نصيا أن مصر المقصودة هي عشيرة المصريين وليست بلاد وادي النيل"[6].

ويضيف أحمد داود أنّه من الناحية التاريخية لم يُطلق اسم مصر على وادي النيل إلا في فترات تاريخية متأخرة جدا بعد ميلاد المسيح بزمن طويل.[7]

وبخصوص الخارجين مع موسى عليه السلام وتعدادهم، فبحسب أحمد سوسة بلغ عدد بنو إسرائيل الخارجين من مصر مع موسى من 1600 ق.م إلى 1290ق.م: 6000 أو 7000 نسمة.[8]

يقول أحمد داود أنّ عدد بني إسرائيل في مصر زمن يعقوب 70 نفس في مئة عام.[1]

1- أحمد داود، العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود، مرجع سابق، ص13.

2- تكوين:43: 10.

3- سورة يوسف،43.

4- سورة يوسف،54.

5- أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، مرجع سابق ،ص282.

6- أحمد داود، العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود، مرجع سابق ،ص12.

7- أحمد داود، العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود، مرجع سابق ،ص13.

8- أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، مرجع سابق. ص285.

أما من يوسف إلى خروجهم مع موسى فيكون بين ال 700 إلى 1400 نفس تجاوزا إلى 200 سنة[2].

أما التناخ فيغفل الحديث عن زمن خروجهم من مصر، وتكلمت فقط عن مكوثهم فيها 430 سنة، وأنّ عددهم عند وفاة يعقوب 70 نفس، وعند خروجهم مع موسى 600 ألف رجل عدا النساء والأولاد، أي في مجملهم حوالي 2,5 مليون نسمة. وهذا مبالغ فيه جدا لاستحالة أن يخرج هذا العدد الهائل سرا.[3]

لكن القرآن يقول غير هذا بصريح العبارة، كما هو في سورة الشعراء: "فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ. إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ"[4].

4 – اليهود في مصر بعد الفتح الإسلامي

تذكر المصادر التاريخية أن مصر كانت ولايةً رومانيَّة تتبع روما بعدم سقوط حُكم الفراعنة، ثم انقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين؛ شرقي وغربي، حيث كانت مصر تتبع القسم الشرقي الذي عُرف بالإمبراطورية البيزنطية، وعاصمته القسطنطينية، وقد استعبد الرومان المصريين، وفرضوا عليهم بالقوة مذهبهم المسيحي المخالف لمذهب المسيحيين المصريين فاضطهدوا المصريين واستبدوا بهم.

ومنذ فتح الإسلامي المناطق الواقعة جنوب البحر المتوسط، وعلى شواطئ البحر الأحمر وساحل الخليج العربي، بدأت الجماعات اليهودية على شتى المستويات في مرحلة جديدة من الحرية، يعود ذلك لموقف المسلمين تجاه اليهود تحت الموقف الإسلامي العام من ''الآخر'' الديني ؛ فقد عاملوا اليهود من الناحية القانونية باعتبارهم من '' أهل الذمة ''، حالهم في ذلك حال بقية الرعايا غير المسلمين في الدولة الإسلامية آنذاك، وقد حددت الشريعة الإسلامية الوضع القانوني لأهل الذمة، وبينت واجباتهم وحقوقهم وهو ما مكّن اليهود من تنظيم جماعاتهم بشكل مستقل وصار لهم رئيس يتولى أمور الطائفة، ويذكر بعض المؤرخين أن الخليفة عمر بن الخطاب منح رئيس اليهود في العراق لقب "رأس الجالوت "، وجعل له سلطة إدارة شئون اليهود في الدولة الإسلامية.[1]

1- أحمد داود، العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود، مرجع سابق ،ص151.

2- المرجع نفسه،ص153.

3- رجا عبد الحميد عرّابي، سفر التاريخ اليهودي، مرجع سابق ،ص151.

4- سورة الشعراء، 53- 54.

كان الفتح الإسلامي لمصر فاتحة خير بالنسبة لليهود ؛ فقد كانوا أقلية منبوذة مضطهدة تحت الحكم البيزنطي في مصر، وبعد الفتح تحسنت أحوالهم كثيرا، والشاهد على ذلك ما تذكرت المصادر التاريخية عن التعداد اليهودي في مصر عند الفتح الإسلامي كان حوالي أربعين ألفا، وهو ما يعطي تصورا على حجم الجماعة اليهودية المصرية غداة الفتح الإسلامي، والذي يعود أساسا إلى الحرية التي وجدوها هناك.[2]

ففي غضون القرون الثلاثة الأولى بعد الإسلام جاءت جماعات يهودية كثيرة لتسكن المنطقة العربية لما لاقوه من معاملة حسنة، وبسبب إمكانياتها وموقعها في عالم ذلك الزمان من ناحية أخرى، حيث استقر منهم عدد كبير منهم في مصر، و اللافت للانتباه في الأمر في هذا الصدد أن عددا كبيرا من يهود فلسطين آنذاك قد هاجروا من فلسطين إلى مصر هربا من الحكم الروماني المسيحي هناك[3].

يُعتبر اليهود في مصر الإسلامية من أهل الذمة، وقد عومل اليهود مثل غيرهم من أهل الذمة المصريين غداة فتح مصر الإسلامية على يد عمرو بن العاص على أساس أنّ بلادهم فُتحت صلحا. وكانت أهم الشروط للصلح فرض الجزية على المصريين بدفع دينارين عن كل رجل، مع إعفاء منها الشيوخ والنساء والأطفال، وشملت هذه الشروط اليهود في مصر الذين كان عددهم في الإسكندرية زمن الفتح حوالي أربعين ألف يهودي ضُربت عليهم الجزية[4].

عاش اليهود بعد الفتوحات الإسلامية في مصر متمتعين بكل الحقوق الدينية والاجتماعية التي كفلها الإسلام خلال عهود الخلفاء الراشدين وبني أمية، كما تمتعوا في العصر العباسي بحياة أكثر يسرا ورحابة، فوجدوا المجال مفتوحا أمامهم في شتى المجالات، خاصة في مجال الحر والتجارة والصرافة، وقد استفادوا كغيرهم من أجل الذمة في مصر من تعريب الدواوين الذي أدى إلى انتشار اللغة العربية مما أتاح لهم الاندماج في الوحدة الاجتماعية والتقارب الفكري، وهو ما جعل الإسلام ينتشر بين أهل الكتاب على نطاق واسع في عصر الطولوني، وفي العصر الإخشيدي كان لليهود محاكمهم الخاصة يتحاكمون فيها وفقا لشريعتهم،

1- عبد الرازق أحمد قنديل، المواريث في اليهودية والإسلام – دراسة مقارنة. مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة. 2008. ص12، 13 .

2- الطبرى ,تاريخ الرسل والملوك . ط4. دار المعارف. ج9 ,ص171- 175 .

3 -Mark R. Cohen , Jewish Self-Government in Medieval Egyp . Princeton University Press,1980,p.5.

4- قاسم عبده قاسم اليهود في مصر، ط1. دار الشروق، بيروت، لبنان. 1993م. ص132.

وكان التفاعل المسلمين معهم على جميع المستويات بحيث استطاع علماؤهم أن ينتجوا الفكر الديني الذي أعاد الحيوية إلى الديانة اليهودية بعد طول ركود وبالشكل الذي جعل المتخصصين يطلقون على هذه الفترة من تاريخ الفكر الديني اليهودي في المنطقة العربية اسم ''العصر الجاؤونى'' أو'' عصر الجاؤونيم'' ؛ أي العباقرة والمجددين[1].

ونتيجة الوضع العام الذي لاءم اليهود نجد فرقة "القرائين" التي استقرت في مصر آنذاك، وهي الفرقة الثانية بعد الربانين من حيث العدد، وأطلق أبناء هذه الفرقة على أنفسهم اسم ''أهل الدعوة '' أو ''أصحاب الدعوة''[2].

ومن الراجح أن هذه الفرقة كانت نتيجة مباشرة للتأثير الإسلامي، أو على الأقل طورت أفكارها ومذهبها نتيجة لهذا الاحتكاك والتأثير، إذ يرجع بعض الباحثين أصل هذه الفرقة إلى النصف الثاني من القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، عندما مات الحاخام الأكبر في العراق، والذي كان هو المسئول عن الحفاظ على التلمود بحكم منصبه، دون أن يخلف من ذريته من يتولى منصبه.

في ظل الدولة الفاطمية مارس اليهود حياتهم الاجتماعية بشكل طبيعي تماما وخلال القرن 11م كان أبناء الشرائح المتوسطة من اليهود يسكنون الفسطاط حيث تركزت معابدهم وحياتهم منذ فترة بعيدة قبل الإسلام، ونتيجة الاستقرار والخير الذي ساد عصر الفاطميين تمكن اليهود من تحقيق نفوذ معتبر، إذ تمكن " إبن سعيد التتري اليهودي" تولي النظارة الخاصة لأم الخليفة "المستنصر"، ولم تكتفي الدولة الفاطمية بإباحة ممارسة الشعائر لليهود بل شاركت ي أعيادهم بإغلاق الدواوين وتوزيع الهدايا.[3]

وعلى صعيد العلاقات الاجتماعية التي كانت تربط اليهود بغيرهم من المصريين تشير المصادر التاريخية أنه لم تكن هناك حدود صارمة تفصل اليهود عن بقية المصريين، وهو الأمر الذي أدى إلى ذوبانهم في المجتمع، فتحدثوا بلغتهم، ومارسوا عاداتهم وتقاليدهم دون أن يميزهم شيء عن غيرهم من المصريين، فقد شاركوهم

1- عبد الرازق قنديل، أثر الشعر العربي في الشعر العبري الأندلسي. مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة. 2002. ص21-23.
2- مراد فرج، القراءون والربانون. دار العالم العربى. القاهرة. 1918. ص 48، 49
3- كامل سعفان، اليهود تاريخ وعقيدة. ط1. دار الاعتصام. ص 31- 34

تطورهم الاجتماعي[1].

ففي الحكم الأيوبي كان اليهود يستخدمون الأطباء اليهود، ودفعوا لهم مكافآت سخية، وظهر اسم موسى بن ميمون الطبيب الذي خدم في بلاط السلطان الكامل الأيوبي، أما في مجال الحرف اليدوية والصناعات والمهن الدنيا في الجهاز الحكومي فقد ساهم اليهود بقدر ما كانت تسمح به ظروفهم العددية ويصل عدد هذه الحرف والمهن حوالي 450 حرفة، وقد توسط لدى صلاح الدين طبيبه الخاص " موسى بن ميمون" فتدفق اليهود من بلدان أوربا إلى فلسطين ومصر، وعوملوا معاملة خاصة.

ومن المؤكد أن اليهود لم يعملوا تجارة الخيول أو صناعة السلاح، ويرجع ذلك لطبيعة البناء الإقطاعي العسكري للدولة منذ العصر الأيوبي[2].

أما عصر المماليك شهد تغيرا طفيفا في أوضاع أهل الذمة من اليهود والنصارى نتيجة الظروف السياسية العمة لذلك العصر، وهذا لا يعني بأي حال أنهم فقدوا وظائفهم في الإدارة العليا، فقد ظلت نسبتهم فيها أعلى من نسبتهم إلى مجموع السكان، وهذا يكشف أن المجتمع أتاح لليهود كافة الفرص لاستخدام طاقاتهم في خدمته، ولم ينظر إليهم باعتبارهم جالية أجنبية من ناحية أو أقلية منبوذة من ناحية أخرى، وإنما عاملهم على أساس أنهم جزء من الكل المصري لا يميزهم عن الباقين سوى دينهم، وفي مجال الطب برع عدد من اليهود منهم "أبو المبيان بن المدور" الذي خدم الفاطميين في أواخر دولتهم ثم خدم الناصر صلاح الدين الأيوبي[3].

وفي العهد العثماني فُتحت لهم أبواب الوظائف الحكومية والمهن الحرة، حتى وصلوا أعلى المراتب، حيث أصبح أغلب أطباء السلاطين العثمانيين من اليهود.

وفي الفترة التي اشتد فيها الاضطهاد الأوربي لليهود نجد حكومة حسين رشدي في عهد السلطان حسين تسارع إلى استضافة المهاجرين اليهود الفارين من روسيا وبولندا.[4]

وإبان الحرب العالمية الأولى نظموا لهم عملية الغوث في مصر، ففتحت لهم الإسكندرية مناطق عدة

1- قاسم عبده قاسم، مرجع سابق. ص130-134.

2- قاسم عبده قاسم، مرجع سابق. ص127-130.

3- المرجع نفسه،ص43-44.

4- كامل سعفان. المرجع السابق. ص 35

لإيوائهم، وأمر السلطان حسين أن تصرف لهم إعانة يومية، حيث اجتمع في منطقة "القباري" وحدها أكثر من 16 ألفا يتواصلون بالعبرية لأنهم من جنسيات مختلفة، وبنى لهم المصريون معبدا ومشفى، وردا للجميلكتب رئيسهم بمدينة الإسكندرية " إدغار ساويرس" شاكرا السلطان حسين رشدي باشا يقول: (لقد أثبتم مرة أخرى تحرر البلد وضيافته الكريمة أن طائفتنا تعبر لكم عن عرفان يهود العالم للحكومة المصرية)، وفي 1915 دعت لجنة اللاجئين بالإسكندرية إلى اجتماع حضره 200 شاب ناقشوا فيه أمر تكوين فرقة تنضم للقوات البريطانية شريطة أن تحارب في الجبهة الفلسطينية لتمكين الوجود اليهودي في فلسطين، فتشكلت الفرقة من 500 متطوع من اليهود اللاجئين ويهود الإسكندرية، وسُميت هذه الفرقة " فرقة راكبي البغال" وقد أدت خدمات كثيرة للإنجليز أثناء حملة " غاليبولي"، وبعد أن حُلّت هذه الفرق' تكون في لندن " الفيلق اليهودي" في 1917، بقيادة "باتريسون" للمساهمة في العمليات الحربية في فلسطين ، وأُستقبل هذا الفيلق أثناء مروره بالإسكندرية استقبالا حافلا من يعود المدينة.[1]

رُسخت أقدام اليهود في مصر وفي عهد الملك فؤاد (1917، 1936)، حيث فُتحت أمامهم الأبواب الواسعة في كل المجالات، حتى عرفت مصر وزير ماليتها اليهودي "يوسف قطاوي باشا" وكان تعيينه تقديرا أدبيا وتكريما للطائفة اليهودية، واحتل اليهود مقاعد عدة في مجلس الشيوخ والنواب.

وتأسست المحافل اليهودية في القاهرة والإسكندرية وعواصم الأقاليم، وساهمت في مساعدة اليهود اللاجئين، ومن أبرزها محفل "ابن ميمون"، وبعده محفل "حاييم ويزمان" ومحفل " الياهو جنابي" بالاسكندرية، ومحفل " بناي بريث" بالقاهرة، ومحفل "ماجن ديفيد" بالمنصورة، ومحفل "إسرائيل" ببور سعيد، وبلغ عدد المعابد اليهودية في القاهرة في النصف الأول من القرن العشرين 29 معبدا، وفي الإسكندرية 20 معبدا، إضافة إلى معابد في بورسعيد وطنطا والزقازيق والمنصورة.[2]

1- كامل سعفان، المرجع السابق. ص 36، 37

2- كامل سعفان، المرجع السابق. ص 37

ثالثا: المسيحية في مصر

1- نبذة مختصرة عن المسيحية

في البداية كانت النصرانية، وهي الرسالة التي أُنزلت على عيسى عليه الصلاة والسلام، مكمِّلة لرسالة موسى عليه الصلاة والسلام، ومتممة لما جاء في التوراة من تعاليم، موجهة إلى بني إسرائيل، داعية إلى التوحيد والفضيلة والتسامح، ولكنها جابهت مقاومة واضطهاداً شديداً، فسرعان ما فقدت أصولها، مما ساعد على امتداد يد التحريف إليها، فابتعدت كثيراً عن أصولها الأولى لامتزاجها بمعتقدات وفلسفات وثنية.

"نصارى" وبهذا الاسم جاء القرآن الكريم ، ولم يطلق عليهم ولو في موضع واحد أنهم "مسيحيون" ولفظ "مسيحي" نسبةً إلى المسيح عيسى بن مريم عليه السلام.
وهذه النسبة غير صحيحة في الواقع ، لأنهم لو كانوا أتباع المسيح حقا لعملوا بما جاء به، كما بشرهم بذلك المسيح نفسه ، وأمرهم بالإيمان به ، قال الله تعالى : (وَإِذْ قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ)[1]، فتبين بذلك أنهم ليسوا أتباعاً للمسيح عليه السلام حقيقةً.

ولكن نظراً لأنه غلب إطلاق "مسيحي" على أتباع الديانة النصرانية، ولا يقصد كثير ممن يطلق هذا الاسم أنهم اتباعه حقيقةً ، وإنما يريد فقط التعريف بهم ، وأنهم ينسبون أنفسهم إليه ، فلا حرج من استعماله ، وممن استعمل هذا الاسم "مسيحي".

وأول ما استخدمت "كلمة المسيحي" كان في العام 42 م تقريبا، حيث يذكر ففي أعمال الرسل إعطاء أتباع يسوع لقب مسيحيين في مدينة أنطاكية.

يسوع المسيح

هو المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وتشير نصوص العهد الجديد إلى ولادته بتواريخ مختلة، لا يمكن من خلالها تحديد ميلاد المسيح، يقول متى ي إنجيله (1: 2) أنه ولد في (أيام هيرودوس الكبير)، ومادام هيرودوس توفي عام 4ق.م، فهذا يشير إلى أن عيسى عليه السلام ولد قبل هذا التاريخ المتداول اليوم، بينما

1- سورة الصف، الآية: 6

يقول لوقا في إنجيله (3: 1-2و 23) أن يحنا المعمدان قد بدأ الوعظ في العالم في عام15 من عهد الإمبراطور تيبيريوس (26 أو 27م)، وأنه عمّد يسوع بُعيد ذلك، وكان يسوع زهاء الثلاثين عندما بدأ كرازته، وعندما نعود بالزمن إلى الوراء نضطر إلى تأريخ ميلاد المسيح بأربع سنوات قبل التاريخ المحدد.[1]

بالنسبة لمكان ميلاد يسوع المسيح، فكذلك لا يوجد يقين في مكان مولده، فيرى لوقا ومتى من خلال ما ذكرا في إنجيلهما أنه وُلد في بيت لحم "مدينة داود"، تبعا للنبوءات المتعلقة بالمسيح المنتظر التي وردت في التاناخ، لكن ما تشير إليه باقي الأناجيل أن بيت الأسرة كان في "الناصرة" في الجليل، وفيها كان يوسف يزاول حرفة النجارة، وتشير الدراسات التاريخية أن ما يقارب من 13 سنة من عمر يسوع قضاها فيها.[2]

منذ عام 30 قبل الميلاد دخلت مصر تحت الحكم الروماني، وكان ذلك في عهد "أغسطس قيصر"، وكان يحكمها ولاة رومانيون يتولون إدارة شونها المالية والعسكرية، وقد وصلتها بوادر المسيحية الأول في حدود منصف القرن الأول على يد القديس، مرقس، وهناك من الروايات التاريخية تشير إلى وصولها إلى مصر قبل ذلك عن طريق حركة اليهود بين الدولة الرومانية ومصر خاصة لما كانوا يحضرون عيد الفصح في أورشليم، وهو ما يذكره سفر أعمال الرسل(وَفَرِيجِيَّةَ وَبَمْفِيلِيَّةَ وَمِصْرَ، وَنَوَاحِيَ لِيبِيَّةَ الَّتِي نَحْوَ الْقَيْرَوَانِ، وَالرُّومَانِيُّونَ الْمُسْتَوْطِنُونَ يَهُودٌ وَدُخَلاَءُ)[3]، وحتى من قبل الرومان الذين نقلوا أخبار ظهور نبي في اليهود يدعو إلى ديانة جديدة. [4]

لكن الثابت في التاريخ المسيحي القبطي[5] في مصر أن مرقس مؤسسها، وهو من ثبت ركائز الديانة فيها إلى أن أصبحت قبل الفتح الإسلامية الديانة الأولى في مصر.

من هو " مرقس"؟

اسمه الرسول يوحنا ويلقب بـ "مرقس" وهو من والدين يهوديين كانا يقيمان في مدينة قورينائية في شرق

1- فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان. تر: عبد الرزاق العلي ومحمود منقذ الهاشمي. دار التنوير، بيروت. 2018. مج 5، ص 230

2- فراس السواح، المرجع السابق. مج 5. ص 231

3- سفر أعمال الرسل، 2: 10

4- لجنة التأريخ القبطي، خلاصة تاريخ المسيحية في مصر. ط2. مطبعة خيرات، مصر. 1932 ص 68

5- قبطي: كلمة قبطي وكلمة مصري مترادفتان في المعنى فهما مشتقتان من الكلمة اليونانية " أيجيبتوس- " التي كان اليونان يستخدمونها للإشارة إلى مصر ونهر النيل معا، والتي كانت في اللغة المصرية القديمة " هاك- كا-بتاح" التي تعني " معبد أو دار روح بتاح " (عزيز سريال عطية، تاريخ المسيحية الشرقية. تر: إسحاق عبيد. ط1. المجلس الأعلى للثقافة. مصر. 2005. ص 21)

ليبيا حديثا تسمى (شحات) ولما اجتاح البربر المنطقة فقررا الهجرة إلى فلسطين حيث رُزقا بابنهما مرقس في فترة ميلاد المسيح عليه السلام.

وبعض تشير الروايات التاريخية أن مرقس من وصل إلى مصر عن طريق الصحراء الغربية " ليبيا " التي كانت تابعة للرومان، فأقام فيا إلى غاية 58م وهناك كتب إنجيله باليونانية ، ثم غادرها إلى مصر، وأخذ ينشر فيها المسيحية، حيث كانت الإسكندرية مأهولة باليهود واليونان الوثنيين، وبقايا الديانة المصرية القديمة، فكان المحيط حلبة صراع بين الجميع، فكانت الظروف مناسبة للتبشير بديانة جديدة، خاصة وأنها تحمل الكثير من ملامح الديانة المصرية القديمة خاصة مسألة التثليث والطبيعة.

ومن المؤكد أن مصر تلقت ألا إرساليات تبشيرية فلسطينية من الذين حضروا عظة بطرس الرسول في يوم الخمسين في أورشليم، وفيهم اليهود والمصريين، لذلك يمكن القول أن المبشرين الأوائل كانوا من اليهود والمتهودين الساكنين في مصر، ومن الأوائل الذي آمنوا بالمسيح نجد وهو من سكان مصر " أنيانوس" الذي كان أول من استقبل المعلم مرقس الرسول في الإسكندرية.[1]

وبدأ مرقس بالدعوة إلى إنجيله في لإسكندرية، وبدأ بتأسيس الكنائس فيها، وقد اجتمع له الكثير من النساء والرجال ليسمعوا منه الدين الجديد. [2]

بعدما أسس الرسول مرقس المدرسة اللاهوتية المسيحية في الإسكندرية، أقام العلامة "يسطس " رئيسا عليها، ذهب إلى الخمس مدن الغربية[3] (البربرية) التي كانت أصل أبيه وأمه، ليحرز للديانة الجديدة ، وبعد رجوعه إلى الإسكندرية وجد الصراع بدأ يعم بين المسيحية والوثنيين، ففي عيد القيامة المصادف ل 26 أفريل سنة 68 م وبينما كان المسيحيون يحتفلون في كنيستهم بالعيد، هاجمهم وقبضوا على القديس مرقس و وضعوا حبلا في عنقه وأخذوا يجرونه في المدينة ليومين حتى لفظ أنفاسه، ودُفن في كنيسته.[4]

شهدت المسيحية في مصر إزهارا في القرون الأربعة الأولى حيث توسعت إلى أرجاء مصر وحتى إلى

1- باسيليوس المقاري، دراسة في أباء الكنيسة. مطبعة القديس أنبا مقار. شبرا. مصر. ص 144

2- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة. تر: القمص مرقص داود. ط3. مكتبة المحبة، القاهرة. مصر. 1998. ص 73.

3- جاء في معجم لاروس (القيروان وارسينويه وأبولونيا وبرنيقة وبتولومايس)

4- خلاصة تاريخ المسيحية في مصر. المرجع السابق. ص 66، 67.

خارجها من الدول المجاورة، حيث تمكن البطريرك "إثناسيوس" في القرن 4 ميلادي من إدخال المسيحية رسميا إلى بلاد الحبشة، ورسّم لها " فرومنتيوس " أسقفا تابعا لمصر عام 330م.[1]

مع بداية القرن الخامس ميلادي بدأت بوادر الخلافات والانشقاقات داخل المسيحية، وكانت بدايتها مع ظهور " نسطور" أسقف القسطنطينية الذي ابتدع مسائل في علم اللاهوت حيث قال (أن ليسوع المسيح أقنومين أحدهما إنساني والثاني إلهي، وأن السيدة العذراء ليست والدة الإله بل والدة المسيح)، ورغم محاولات دحض هذه البدعة في مهدها من قبل القساوسة إلى أنها أحدث انشقاقات كبيرة، وبقيت الخلافات تتوسع وانضم أسقف أنطاكيا إلى رأي نسطور، فانشقت الكنيسة القبطية عن الكنيسة الرومانية بعد مجمع أفسس، ولم تتمكن المجامع التي جاءت بعد ذلك من توكيد شمل المسيحية، وامتدت الخلافات إلى القرن السادس ميلادي رغم محاولة رجال الدين والسياسة الجمع بين الأطراف المتصارعة لكن دون جدوى، وبقي الوضع على هذا الحال إلى غاية الفتوحات الإسلامية في 641م أين أصبحت مصر ولاية إسلامية.[2]

2- المسيحية في مصر بعد الفتح الإسلامي

كانت مصر قبل الفتح الإسلامي تدين في أغلبها بالمسيحية لأنها كانت تحت الحكم البيزنطي، إلى جانب وجود الديانة اليهودية فيها، كديانة ثانية بعد المسيحية، أما الديانة المصرية القديمة تكاد تندثر، إذ أصبحت من التقاليد عند المصريين.

بدأت الفتوحات الإسلامية مع نهاية عام 639م وبداية 640م، فتمكنوا من منطقة العريش ثم الفرما، وبعدها بلبيس إلى أن وصلوا إلى حصن بابليون الذي يمثل مركز القيادة للقوات البيزنطية الذي حاصروه واستولوا على المناطق المحاذية، واضطر "سيروس " المعروف بـ " المقوقس" من الدخول في مفاوضات من عمرو بن العاص، وانتهت المفاوضات وسلم لهم الحصن في أفريل سنة 641م، ثم انتقل الفاتحون المسلمون إلى الإسكندرية معقل المسيحية وضربوا عليها حصارا إلى أن تم دخولها في ديسمبر سنة 462م.[3]

وتشير المصادر التاريخية أن سكان الإسكندرية من اليهود والأقباط التزموا الحياد ولم يكونوا مع القوات

1 – خلاصة تاريخ المسيحية في مصر. المرجع السابق. ص 85، 86

2 – خلاصة تاريخ المسيحية في مصر. المرجع السابق. ص 86، 95

3- عزيز سوريال عطية، تاريخ المسيحية الشرقية. تر: إسحاق عبيد. المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة. 2005. ص 101- 103

البيزنطية التي كانت على المذهب " الملكاني" لما لاقوه من منهم من اضطهدات نتيجة الخلافات الكنسية في الطبيعة للمسيح.

مكّن الملمون الأقباط من التحرر من أغلال البيزنطيين، فقد كان موقفهم من أهل الذمة عموما وأهل الكتاب على وجه الخصوص موقفا كريما وسمحا، وقد رسخ "العهد العمري" ذلك إذ كفل للأقباط حريتهم الدينية بشكل لم ينعموا به من قبل، وأعاد عمرو بن العاص الاعتبار لبعض البطاركة الذين عانوا من الاضطهاد البيزنطي، ورمم لهم الكنائس،[1] ولم يكن موقف المسلمين من التسامح فقط مع الأقباط بل كل الفرق المسيحية بمختلف انتماءاتها، بل أبقى المسلمون بعض الشخصيات في مناصبها السياسية التي كانوا عليها في حكم البيزنطيين، من أمثال " مينا" حاكم الفيوم.[2]

وتذكر روايات المصادر أنَّ كثيرًا من كنائس الملكانيين بقيت موجودة واستمرَّت في إقامة الشعائر الدينيَّة وأنَّ عددًا كبيرًا من الملكانيين فضَّلوا البقاء في مصر؛ وأنَّ أُسقفًا ملكانيًّا بقي على مذهبه حتَّى مات لم يمسَّهُ أحدٌ بأذى، وأنَّ البطريرك القبطي بنيامين الذي عاد إلى الإسكندريَّة بعد أن قضى ثلاثة عشر سنة لاجئًا مُتخفيًا خشية أن يُقبض عليه، أُعيد إلى مركزه، وأضحى بإمكانه أن يقوم بواجباته الدينيَّة وهو مُطمئن، وكان يستقطب الناس إلى مذهبه بالحُجَّة والإقناع، واستطاع أن يحصل على بعض الكنائس التي تركها الملكانيّون بعد خُروجهم وضمَّها إلى كنائس البطريركيَّة، ولما عاد إلى الإسكندريَّة قال لِأتباعه : "عُدْتُ إِلَى بَلَدِيَ الإِسْكَندّرِيَّة، فَوَجَدْتُ بِهَا أَمْنًا مِنَ الخَوْف، وَاطمِئْنَانًا بَعْدَ البِلَاء، وَقَد صَرَفَ اللهُ عَنَّا اضطِهَادَ الكَفَرَةِ وَبَأسِهِم".[3]

- **الأمويون والعباسيون**

بعد أن استقر المسلمون في مصر عقب الفتوحات الإسلامية فرضت على مسيحيي الخلافة الإسلامية فرضوا على المسيحيين وباقي أهل الذمة الجزية والخراج مقابل بقائهم على دينهم وإعفائهم من الالتحاق بالجيوش الإسلامية، غير أنهم منعوا من نشر المسيحية داخل أراضي الدول الإسلامية[4].

1- الأنبا بيشوي، مجمعا أفسس وخلقيدونية – مقال في كتاب المسيحيَّة عبر تاريخها في المشرق – ط1. بيروت– لُبنان :مجلس كنائس الشرق الأوسط 2001 .صفحة 211 - 213.

2- خلاصة تاريخ المسيحية في مصر. المرجع السابق. ص 102- 105

3- ألفرد بتلر، فتح العرب لِمصر. تر وتح: مُحَمَّد فريد أبو حديد بك ط1. مكتبة مدبولي، القاهرة. 1990. ص 172 – 173، و 109.

4- مُحمَّد سُهيل طقّوش، تاريخ الخُلفاء الرَّاشدين–الفُتوحات والإنجازات السياسيَّة– ط1.دار النفائس، بيروت، لبنان.2002. ص 295

بحسب باتريك جلين اتسمت هذه الفترة عموماً بالتسامح الديني ما خلا فترات حكم بعض الخلفاء نتيجة الاختلاف بين دولة الخلافة الراشدة، والدولة الأموية، ومن بينها الاختلاف في التعامل مع غير المسلمين، هو اختلاف ينبع من طبيعة الدولتين ذاتهما، فبينما كانت الخلافة الراشدة عاصمتها في المدينة حكمها الشورى؛ كانت الدولة الأموية دولة مدنية بمرجعية إسلامية عاصمتها في دمشق المتعددة الطوائف والمذاهب والعرقيات تمامًا كسوريا، كذلك اعتمدت التنظيمات السريانية والبيزنطية التي كانت موجودة سابقًا بما فيها الناحيتين الإدارية والعسكريّة.[1]

قام الأقباط البشموريين في العام 832م بثورة ضد ظلم عيسى بن منصور الوالي العباسي في عهد، الخليفة المأمون بسبب زيادة ظلم جباة الضرائب والخراج، فقاموا بطرد عمال الدولة ورفعوا راية العصيان ورفضوا الدفع .فقام المأمون بشن حرب على البشموريين، حيث هُزموا في النهاية أمام جيش الخلافة، وحُرقت مساكنهم وكنائسهم، وقتل أغلبهم، حتى كادوا أن يبادوا، فقرر الخليفة المأمون التوجه شخصياً إلى مصر، حيث وصل إلى الولاية في فبراير، هناك واجه عيسى بن منصور، وحمله مسؤولية اندلا ع التمرد، واتهمه بالسماح لجامعي الضرائب بالتصرف بشكل استبدادي ضد الشعب وإخفاء الوضع الحقيقي للأمور في الولاية، وعزل المأمون عيسى من منصبه.[2]

في ظل الدولة العباسية أسهم الأقباط بدورهم في التطور العلمي فيا، فهم الذين قاموا بالدور الأساسي في بناء الأسطول، وهم الذين أقاموا دار الصناعة في مدينة الإسكندرية ودار الصناعة في بلاد تونس، وقد وصف الجاحظ وضع المسيحيين خلال العصر العباسي بقوله: "إن النصارى متكلمين وأطباء ومنجمين وعندهم عقلاء وفلاسفة وحكماء...وان منهم كتّاب السلاطين وفرّاشي الملوك وأطباء الأشراف والعطّارين والصيارفة ... وأنهم أتخذوا البراذين والخيل واتخذوا الشاكرية والخدم والمستخدمين وامتنع كثير من كبرائهم من عطاء الجزية.[3]

- **الفاطميون**

1 - مُحمَّد سُهيل طقّوش، تاريخ الخُلفاء الرَّاشدين- الفُتوحات والإنجازات السياسيَّة. المرجع نفسه. ص 315

2- أبو العبَّاس تقيُّ الدين المقريزي، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار،ط1. دار الكُتُب العلميَّة، بيروت - لُبنان. 1998. ج4، ص 407 - 408.

3 - Campo ،Juan Eduardo Encyclopedia of Islam h. Infobase Publishing. . ...Arabic language and Islamicate culture gradually came to dominate in Egypt, and Copts began to convert to Islam in increasing numbers, This was especially true during a time of persecution in the 14th ... (2009).

في حكم الدولة الفاطمية (الشيعية) لما فتح الفاطميّون مصر، سلك جوهر الصقليّ سُلوكًا دبلوماسيًّا هادئًا مع المصريين، في معاملة أهل الذمة بما فيهم المسيحيين من خليفةٍ إلى آخر، لكن الغالب فيها التسامح، فعاملوهم مثل أهل السُنَّة واليهود، فأطلق لهم الحُريَّة الدينيَّة والمذهبيَّة، و وصل من الأقباط من تولى الوزارات، حيث عُرف عن الخليفة المنصور بتسامُحه الكبير مع الأقباط في مصر، وباستمالتهم إليه ومولاتهم بعد أن نالهم الضيم جرَّاء الممارسات القمعيَّة الأخشيدية التي المنتهجة ضدهم أواخر عهد دولتهم ، كم عُرف عن المعز لدين الله، ابن العزيز، أنه كان أكثر تسامحًا مع أهل الكتاب من غير المسلمين، فقد جعل عيسى بن نسطورس وزيرًا له، و منح لبعض الألقاب والنياشين المرموقة، وتزوج من امرأة مسيحية ملكانيَّة، وهي أُمُّ ولده الحاكم وشقيقة اثنين من البطاركة: أحدهما بطريرك كنيسة الإسكندريَّة، والآخر بطريرك كنيسة بيت المقدس، وكان يحتفلُ مع النصارى ويُشاركهم أعيادهم، ومن شدَّة تسامح الخُلفاء الفاطميين الأوائل مع أهل الكِتاب، قيل بأنَّهم كانوا يُشجعون إقامة الكنائس والبيع والأديار، بل ربما تولوا إقامتها بأنفسهم أحيانا، وفي عهد الحاكم بأمر الله كتاب "تاريخ البطاركة" الذي ألفه "ساوريس بن المقفع" أسقف الأشمونيين، وفي عهد الخليفة الظاهر أُعيد ترميم الكنائس وانتقل مفر البطريركية القبطية من الإسكندرية إلى مدينة " دمرو " في محافظة الغربية.[1]

لكن كان للحروب الصليبية الإفرنجية واحتلال بيت المقدس أثره المدمر على المسيحيين الشرقيين، وفتح الصراع بين المسيحيين والمسلمين ولم يبق التفريق بين مسيحيي الغرب والشرق في نظر المسلمين، وقد ولدت كراهية مريرة للصليب في نفوس الناس لارتباطه بالعدوان على الأراضي الإسلامية، كما نظر الإفرنجة إلى مسيحيي الشرق على أنهم انفصاليون مهرطقون فنالوا منهم، وانتهى عصر الفاطميين بكارثة أصابت الجميع، فقد أحرقت مدينة الفسطاط سنة 1168م، من قبل " شاور" وزير العاضد لكي يُنقذ المدينة من الوقوع في أيدي " عموري " ملك بيت المقدس الصليبي الذي كان يخطط لاستخدام الفسطاط قاعد لاحتلال بقية مر.[2]

- **في العهد الأيوبي**

بعد أن أحرز صلاح الدين النصر على الصليبيين بشكل حاسم في موقعة حطين سنة 1187م، واسترد بيت المقدس، منح للأقباط ديرا مجاورا لكنيسة الضريح المقدس ي بيت المقدس تعويضا لهم على ضياع مقدساتهم بسبب الحروب الصليبية، وأعاد البعض منهم إلى مناصبهم الحكومية القديمة، وإلى العض الآخر ممتلكاتهم التي صُدرتهم منهم في وقت سابق، كما اختار صلاح الدين قبطيا يدعى "صفي الدولة بن أبي

1- عزيز سوريال عطية، تاريخ المسيحية الشرقية. المرجع السابق. ص 109- 112

2- عزيز سوريال عطية، تاريخ المسيحية الشرقية. المرجع السابق. ص 113- 115

المعالي" سكرتيرا خاصة له تكريما له للوقوف في وجه الحملة الصليبية على مدينة دمياط وما عناه الأقباط من ويلات الإفرنجة، وفي العهد الأيوبي أُعيد ترميم المدارس والكنائس القبطية.[1]

- **في العهد المملوكي**

عان الأقباط المسيحيون في مصر من الوضع فقد عرف العصر المملوكي حوادث واضطرابات تسببت في حدوث شرخ وصراعات بين المسلمين والأقباط، وبسبب خوف الحكام من تواطأ مسيحيي مصر مع الإفرجنة، فُرض عليهم الخناق، فدُمرت الكنائس، ورد الأقباط على ذلك بحرق المساجد، فطُرد الأقباط من وظائفهم وصُدرت ممتلكات بعضهم، لكن سرعان ما عادت الأوضاع إلى طبيعتها، ورُفعت المظالم، وأعيدت الحقوق.[2]

في العهد العثماني:

بحلول عام 1517م استولى العثمانيون الأتراك على مصر بقيادة السلطان سليم الأول، وانتهى حكم المماليك، ولم تهتم السلطة الحاكمة الجديدة كثير بالشؤون الدينية، فقد كان جهدها موجه لجمع المال والمحافظة على سلطة الحكم ومنع أي تمرد من شأنه استقلال مصر عن العثمانيين، فعاش المسيحيون كباقي أهل الأديان كاليهود، وسُمح للأقباط ببناء كنائس في المناطق الريفية التي وصلوا إليها في الفترات السابقة التي شهدت طردهم من المدن.[3]

في حقبة مُحَمَّد علي باشا تحسنت أوضاع المسيحيين في مصر، حيث كان متسامحا واسع الأفق في الشؤون الدينية، فقرب إليه المسيحيين كما المسلمين، واستعان بهم في حكمه، وأدخلهم إلى حاشيته، حيث كان جرجس الجوهري القبطي وزيرا للمالية عند مُحَمَّد علي.

وأثناء حملة نابليون الفرنسية على مصر وفقت بعض المناطق المسيحية إلى جانب الأتراك، بينما وقف البعض الآخر إلى جانب الغزاة، فقد قام الجنرال يعقوب القبطي بتجنيد فرقة من الأقباط من ألفي جندي من أبناء الصعيد للوقوف إلى جانب فرنسا، وتولى ضباط فرنسيون تدريبهم، عين الجنرال "كليبر" يعقوب قائدا

1- عزيز سوريال عطية، تاريخ المسيحية الشرقية. المرجع السابق. ص 116- 119

2- عاشور سعيد عبد الفتاح، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك. ط1. دار النهضة العربية، القاهرة. 1992. ص 49

3- مُحَمَّد عفيفي، الأقباط في مصر في العصر العثماني. ط1. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة. 1992. ص 27- 31

برتبة عقيد ثم لواء لما قدمه من خدمات لفرنسا.[1]

القرن العشرين ونتيجة الأنظمة السياسية الجديدة التي حكمت مصر أصبح الأقباط يتمتعون مثلهم مثل الملمين بحقوقهم المدنية والسياسية والدينية، واصحب لهم سهمهم في المجالس النيابية، وأصبح منهم الوزراء والقادة، ولهم محاكمهم الشرعية الخاصة.

المحور الثالث: بلاد المغرب القديم

1- عزيز سوريال عطية، تاريخ المسيحية الشرقية. المرجع السابق. ص 124، 125.

تحتل بلاد المغرب شمال غربي إفريقيا،محصورة بين غربي نهر النيل شرقا والبحر المتوسط شمالا و المحيط الأطلسي غربا والصحراء الكبرى جنوبا،و هي المنطقة التي تقابل السواحل الجنوبية لدول جنوب غرب أوروبا ابتداء من البرتغال فإسبانيا على مضيق جبل طارق حتى بلاد اليونان في الركن الشمالي الشرقي للبحر المتوسط وتحديدا فإن خط الطول 10° غرب غرينتش والمار غرب مدينة لشبونة ينطبق على الساحل الأطلسي لبلاد المغرب، بينما خط25° شرق غرينتش و المار بمنتصف جزيرة كريت ينطبق على الحدود الشرقية لليبيا الحالية بينما تنحصر المنطقة بين دائرتي عرض 18° و 38°شمالا .[1]

أ -ليبيا "لوبا"

كان الاسم المعروف للمغرب كله من أدناه إلى أقصاه قديما عند الأمم قبل القرن التاسع قبل الميلاد بالاسم " ليبيا "، يطلقونه على كل أجزائه.

منذ الألف الثالثة قبل الميلاد تدرج سكان شمال إفريقيا في التسمية، فقد فمنذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد في عهد الملك الفرعوني رمسيس الثا ني، (1298- 1232 ق.م) من الأسرة 19 تحديدا عرفوا في الكتابات المصرية القديمة باسم الليبو (L'BW)أو(Lipou)، ثم باسم اللّيبيين كما أشار إليهم الكتاب والمؤرخون الإغريق، ويقال أن" هيكتيوس " هو أول من عمم هذا الاسم،[2] وتبعه" هيرودوت "ومؤرخو اليونان وجغرافيوهم، فقد رأى هيرودوت أن ليبيا تمتد من حيث تنتهي مصر الغربية، وحدد ساحل ليبيا الشمالي بما يلي بحيرة مريوط إلى رأس سولوجوس رأس سبارتل (جنوبي طنجة على المحيط الأطلسي)، وقد أشار بأن المجموعات السكانية التي تقيم على امتداد هذه المنطقة كلها تنتمي إلى أرومة واحدة وهى موزعة على مجموعات من القبائل عدا الأجزاءِ التي يقيم فيها الإغريق والفينيقيين.[3]

يرى قزال (Gsell) اسم نوميديا دال على كل السكان الاصليين لشمال إفريقيا باستثناء القرطاجيين، وقد أطلقه اليونانيون على كل الأفارقة الخاضعين لقرطاجة والرابضين في حدودها كحلفاء.[4]

كما أشار سترابون (Strabon) إلى أن لفظة "نوميد" أطلقت على هذه القبائل بسبب امتهانها لحرفَة الرعي بعد تخليهم عن الزراعة التي توافق لفظ "نوماد" الإغريقي.[1]

1- محمّد الهادي حارش،التاريخ المغاربي القديم السياسي و الحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي،المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر 1995،ص.14

2- مصطفى كمال عبد الحليم، ليبيا في التاريخ، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي. 1968, ص 102

3 - Hérodote, Histoires (texte établi et traduit par Ph. E. Legrand), Paris: société d'édition Les belles Lettres, (1945), II, 32

4 - Gsell S . H.A.A.N T5, paris: Libraire Hachette, 1927.p107.

يذكر هيرودت أن منطقة ليبيا تمتد على طول البحر الشمالي (البحر المتوسط حاليا) انطلاقا من مصر حتى رأس "صولوويس- Soloeis" المعروفة بـ (أعمدة هرقل بالساحل الأطلسي)، حيث تنتهي القارة الليبية، آهلة بأقوام ينتسبون إلى الليبيين موزعين على عدد من الشعوب (أهمها الليبيون، والأمازيغ)، ومن جنوبها تمتد منطقة رملية ذات قفر مطبق.[2]

وفي القرن التاسع قبل الميلاد انشأ البونقيون دولتهم في قرطاجنة في شمال المغرب القديم أطلق هؤلاء أسماء جديدة على جل أنحاء المغرب، فلم تعد تسمى ليبيا.

منذ القرن 3 ق.م لم تعد تسمية "ليبيين" تطلق على مجموع ساكنة شمال إفريقيا القديم، وإنما أصبحت تعني الساكنة المحلية الخاضعة لقرطاجة، فضلا عن ليبيين مستقلين بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا القديم. منذئذ شرع الكتاب اللاتينيون في استعمال تسميات مرتبطة إما بالكيانات السياسية التي وجدت بالمنطقة خلال فترة الحروب البونية مثل النوميديين والموريين، وإما بكونفدراليات القبائل المحلية مثل الماسول والماسيسول،

وبقي هذا الاسم يطلق على الجزء الشرق من المغرب الكبير طرابلس وبرقة، وقد يلحق كثير من المؤرخين طرابلس، من خليج سرت الأكبر، بتونس، ويطلقون عليهما جميعا افريقية .

– اللغة الليبية:

أندري جوليان بخصوص لغة الليبيين القدامى بأن " البربر كانوا يتكلمون لهجات ليبية من المحتمل أن يكون أصلها البعيد هو أصل اللغات السامية، واللغة كانت ولا تزال عندهم أداة مشافهة وقد قال باسي: (ولا نعلم البتة أن البربر أقاموا مدينة تعتمد على الكتابة أداتها لغتهم)، غير أنهم كانوا يحذقون كتابة بقي أصلها مجهولا وربما كانت فينيقية احتفظ علم الخطوط بآثارها، واكتشفت حتى الآن 1125 كتابة وتؤكد حروف شبيهة بحروف خط الطوارق الحالي (التيفيناغ) قرابة بين حروف اللغتين، غير أنه تعذر إلى حد الآن قراءة الخطوط الليبية بالرغم من أنه يوجد لدينا ما يماثل عشرين منها في البونيقية واللاطينية .وكتابة الوحيدة المؤرخة جاءت في لغتين وتوجد في توقة(دقة في العهد الروماني) وتوافق السنة العاشرة من حكم ميسبسا 139 ق.م ولا يمكن الجزم بأنه توجد شواهد أقدم للكتابة البربرية"[3].

---

1 - - Strabon () Géographie, trad Tardieu A, édit Hachette et Cie.1909, vol II,5,33,XVII,3,15.

2- هيرودوت، أحديث هيرودوت عن الليبيين. ترجمة وتعليق: مصطفى أعشي. مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب. 2008. ص 25، 26

3- أندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية. ترجمة: محمد مزالي والبشير بن سلامة. مؤسسة تاوالت الثقافية . 2011 . ص 66

ب- أفريقيا:

اسم أفريقيا لابد وأن يثير الانتباه. حيث أنه كان يطلق في البداية على قرطاجة ومناطق نفوذها قبل أن يشمل القارة بأسرها، ففي زمن الحروب البونية كان المؤرخون اللاتين يطلقون اسم أفري على المواطنين القرطاجيين، وكان السكان الثائرون يسمون باسم قبائلهم منهم المور والبربر وليس الأفارقة. فالأفريقي هو المواطن القرطاجي، وأفريقيا الاسم الرسمي للمقاطعة الحميطة بقرطاجة في عهد الرومان، وهي مستقلة إداريا عن نوميديا وموريتانيا، وكان العرب يطلقون على تونس التي نعرفها اليوم اسم أفريقيا، لهذا يربط المستشرقون كلمة أفريقيا بأصل سامي أصبح بالعربية " الفرق " ويرى سلان أن الكلمة الفينيقية التي تحولت باللاتينية لإفريقيا تعني القطيعة أو الجزء وهي المقاطعة التي تنفصل عن الوطن الأم، أما غيزل فلا يعير انتباها لهذا الأمر، على أن كلمة أفريقيا ليست لاتينية وإنما أخذت من اللغة البونية[1].

لقد قسم هؤلاء البونيقيون والإغريق شمال المغرب الكبير إلى ليبيا، وافريقية، ونوميديا، وموريطانية الشرقية، وموريطانيا الغربية .

أما ليبيا فهي إقليم برقة وطرابلس وحدهما من غرب الإسكندرية إلى شرق مدينة قابس في خليج سرت الأصغر .

أما افريقية فمن شرق مدينة قابس جنوبا وساحل تونس الشرقي إلى الشرق مدينة طبرقة غربا، وهي القطر التونسي اليوم تقريبا وجزء قليل من غربها، أما مدينة طبرقة كانت في القديم تابعة لنوميديا في شرق الجزائر.

أما نوميديا فتبتدئ مدينة طبرقة وتنتهي غربا في بجاية، وتشتمل نوميديا على منطقة قسنطينة اليوم وعلى جزء قليل من غرب تونس.

أما موريطانيا الشرقية فحدها الشرق غرب مدينة بجاية وتنتهي في وادي ملوية، وهي تشتمل من أقسام القطر الجزائري الحالي على الجزائر، و وهران، و جزء من القطر المغربي.

1- أ.ف.غوتييه، ماضي شمال أفريقيا. ترجمة: هاشم احلسيني. مؤسسة تاوالت الثقافية 2010. ص66.

وموريطانيا الغربية هي القطر المغربي اليوم إلا جزءا صغيرا من شرقه وادي ملوية، وتنتهي غربا في المحيط الأطلسي.[1]

يعود هذا المصطلح إلى الجذر " ليبو-L.B. W" وقد ورد في النصوص الهيروغليفية للتدليل على الشعوب التي تقطن غرب نهر النيل وتكون المصادر المصرية هي أقدم الشواهد على هذه التسمية ليبيا أو لوبا[2].

و ورد اسم الليبيين في التوراة[3] كمحاربين في جيش " شيشنق[4] " ضد الملك " رحبعام ".

وقد اتفقت المصادر الفرعونية على ذكر الشعوب الغازية لمصر ومن بينها الليبيون بقيادة بعض حكامهم من أجل الاستيطان في مصر[5].

أما المصادر الإغريقية فقد ذكر هيرودوت) Hérodote) أن لوبا أو ليبيا هي القارة الثالثة من قارات العالم القديم بعد أوروبا وآسيا[6] مؤكّدا وحدة الأرض و السكان:" فساحل ليبيا الشمالي من مصر حتى "رأس صوليبص- CapSoleis" الذي هو نهاية ليبيا، تسكنه قبائل كثيرة من الليبيين على طول امتداده، عدا الجزء الواقع في يد الإغريق والفينيقيين"[7]

ب- المغرب العربي

اتخذت منطقة الشمال الغربي من إفريقيا تسمية " المغرب العربي" بعد الفتوحات الإسلامية للمنطقة للتمييز بيم الشرق العربي وغربه. ويظم وهي تشمل بالأساس خمسة دول ترتيبا من الشرق إلى الغرب: ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، موريتانيا، كما تشمل أراضي الصحراء الغربية .

---

1 - محمد علي دبوز، المغرب العربي الكبير. مؤسسة توالت الثقافية. 2010. ص 11، 12

2 - علي عيسى،الليبيون من خلال المصادر الأثرية والتاريخية القديمة، قسم التاريخ جامعة الفاتح، طرابلس، ص.2، 3 .
الموقع الإلكتروني WWW..LIBSC. ORG

3 - سق تعريفها في تعريف اليهودية

4 محمد شفيق ،ثلاثة وثلاثون قرن من تاريخ الأمازيغيين،دار مكتبة الفكر،طرابلس،1988 . ص.28

5- Gaid.M et Aguellids - Romains en Berbèrie,SNED,Alger,72,p.70.

6 - S.Gsell,textes relatifs à l'Histoire de l'Afrique du nord (Hérodote),Topographie (1) A - .Jourdan ,Alger,1915,p.71.

7 - Hérodote, HistoireII,32,texte établie par Ph.Le grand,Ed.Les Belles Lettres,Paris,1960

كان يشار إلى" المغرب " قبل إنشاء الدول القومية الحديثة في المنطقة خلال القرن العشرين، بشكل عام إلى منطقة أصغر مساحة مما عليه الآن، تمتد بين جبال الأطلس في الجنوب والبحر الأبيض المتوسط، وكثيرا ما شملت أيضا شرق ليبيا، لكن ليس موريتانيا الحديثة، وفي أواخر القرن التاسع عشر كان يستخدم للإشارة إلى منطقة غرب البحر الأبيض المتوسط الساحلية لشمال أفريقيا بشكل عام، وإلى الجزائر والمغرب وتونس على وجه الخصوص.[1]

أولا: الدين في المغرب القديم

1 - Elisee Reclus, Africa, edited by A. H. Keane, B. A., Vol. II, North-WestAfrica, Appleton and company, 1880, New York, p.95

أجرى الدكتور جميل حمداوي دراسة بحثية للمصادر التاريخية حول الأديان في منطقة شمال أفريقيا الديمة والتي كانت تسمى "تامازغا" وبعد الفتح الإسلامي أصبحت تحت إسم المغرب الكبير، وتطرق من خلال بحثه إلى مجموعة من المعتقدات والديانات، التي عرفها الأمازيغيين، ومنها الوثنية، واليهودية، والمسيحية، والإسلام. وقد تمثل الأمازيغ هذه المعتقدات والديانات عن طريق التأثر بالشعوب المجاورة التي وصلت إلى المنطقة.[1]

الإنسان الأمازيغي حاله حال الشعوب القديمة، كان إنسانا طقسيا، يمارس شعائره الدينية ممزوجة بين السحر والأسطورية من خلال فعل الطقس والسحر والقربان في غالب الأحيان مشركا، وكان يؤمن بالجن والقوى الغيبية الخارقة، إلى جانب عبادته، كما عبد القوى الطبيعية، إلى جانب عبادته للحيوانات.

يذكر هيرودوت أن أغلب الأرباب التي انتشرت في الشمال الإفريقي القديم ، وحتى إلى اليونان القديم؛ كان مصدرها مصر، ومنها "هيرا" و "هيستا" و "ثميس" وغيرها

ورغم انتشار الأرباب المجسمة إلا أن الدين البدائي البربري في منطقة حافظ على تواجده، ومن ذلك عبادة قوى الطبيعة كالشمس والرعد، وعبادة الجن المتحكمين في هذه القوى، وطبيعة الماء، والعيون والنار والوديان، والأنهار، والأحجار، ، ومن المؤرخين من يرى أنهم أخذوها من الأمم التي احتكوا بها وتأثروا بمعتقداتهم ومعبداتهم كالفرس والرومان.[2]

حيث بقي أغلب سكان ليبيا القديمة كما يقول هيرودوت يقدمون القرابين للشمس والقمر على وجه الخصوص.[3]

يقول ليون الأفريقي في السياق بأن الأمازيغ الأفارقة، في الزمن القديم، كانوا وثنيين على غرار الفرس الذين يعبدون النار والشمس، وعبدوا العناصر الطبيعية المختلفة رهبة منها ورغبة في تحقيق النفع منها، كما عبدوا كل الآثار المقدسة، وكانوا يأكلون الخنازير، ويشربون دماء الحيوانات المقدسة، متأثرين في ذلك بالطقوس الوثنية في الديانات المصرية القديمة.ويتخذون لعبادتهما معابد جميلة مزخرفة توقد داخلها نار يتداولون على

حراستها ليل نهار حتى لا تنطفيء، كما كان يفعل ذلك في معبد الإلهة "فيستا" عند الرومان.[4]

1- جميل حمداوي ، الديانة عند الأمازيغيين. بحث نشره موقع الألوكة. 2014

2- أنجلوغريلي :أسلمة وتعريب بربر شمال المغرب، ترجمة عبد العزيز شهبر،منشورات وزارة الثقافة، مطبعة دار المناهل، الرباط،2009،ص: 200.

3 – هيرودوت: أحاديث هيرودوت عن الليبيين(الأمازيغ)، ترجمة: مصطفى أعشي، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، دار المعارف، الرباط، الطبعة الأولى سنة 2009م، ص:30.

4- ليون الأفريقي: وصف أفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية 1983م، ص:67.

وقد أوجز أندري جوليان الوضع الديني في أريثيا الشمالي القديمة " بلاد الأمازيغ" بقوله: "كان الأفارقة يعبدون الجماد والحيوان، ولكنه من الصعب في غالب الأحيان أن نميز بين ما ابتكروه من الطقوس وبين ما ورد عليهم من الخارج، وخاصة من مصر أثناء العصور النيوليتية بالخصوص، إن الجن الذي كان معششا في العقلية المغربية أولد آلهة محلية لم يزل البربر يعبدونها حتى العهد الروماني، ثم استعاروا فيما بعد آلهة مصر وقرطاج وورومة أو استعاضوا بها عن آلهتهم .وكان لهم في القرن الأول قبل المسيح آلهة تحميهم تسمى" أفريكا "رأسها مغطى بجلد الفيل، وكانوا يتعبدون بالخصوص في المغارات أو في الأماكن العالية أو بالقرب من العيون والأشجار المقدسة بدون أن يحتاجوا إلى تماثيل أو معابد أو كهنة، وعلاوة على المواكب القديمة التي يتعاطون فيها السحر فإنهم عمدوا إلى التضحية والعرافة المعتمدة على النوم فوق القبور (L'incubation) وإلى تنبؤات النساء."[1]

أ- ألهة شمال أفريقيا:

- بوصيدون: بشير إليه هيرودوت أنه كان رب ليبي " أمازيغي " في أكثر من مكان ي المنطقة، وقد اقتبسه اليونان عن الليبيين الأمازيغ، وقد غير الرومان تسميته إلى "نبتون ابن كرونوس " الذي تذكره اساطيرهم وقصائدهم.

- الدير سكوري: وهو مجمع من الأرباب (3)، وهم "كاستور" و"بوليديكس" من أبناء زيوس وزوجته " ليدا" [2]

- الكبش "عمون" وقد عبدوه تأثرا بالفينيقيين حين الاحتكاك بهم في قرطاجنة، إذ كان من معبودات القرطاجنيون.[3]

- إيزيس: وهي في الأصل ربة المصرية وقد عبدها قدامى سكان ليبيا من الأمازيغ تأثرا بعبادة المصريين لها، فقد عبدوا معبوداتهم، سيما.لذا، فقد كانوا يحرمون أكل لحم البقرة وتربية الخنازير احتراما لهذه الربة.[4]

- بعل حمون: وكان إله الشمس، وهو من معبودات فنيقيا، وقد عبده الأمازيغ لما اختلطوا بالفينيقيين، حيث

1- أندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية. ص 66

2- هيرودوت: أحاديث هيرودوت عن الليبيين(الأمازيغ)، ص:30.

3- محمد محيي الدين المشرفي: أفريقيا الشمالية في العصر القديم، دار الكتب العربية، الطبعة الرابعة سنة 1969م، ص:46.

4- هيرودوت: أحاديث هيرودوت عن الليبيين(الأمازيغ)، ص:68.

يشكلوا معا مجتمعا واحدا أثناء تواجدهم في المنطقة، وكانت لهم ديانة واحدة ومعتقدات وعادات وأعراف واحدة، إلى درجة اخلط الأهالي حينها بين "بعل حمون" الفينيقي، وبين "أمون" المصري.

- تانيت: إلهة قمرية، كانت كذلك من معبودات فنيقيا في قرطاجنة.[1]

ب- دفن الأموات والطقوس الجنائزية:

كان الأفارقة في عصور ما قبل التاريخ يدفنون موتاهم في الخيام في الهواء الطلق، لكن في العصور المتأخرة أصبحوا يدفنونهم بعيدا عن الأماكن المسكونة تحت رِجام مخروطة الشكل من الحجارة كلها، أو نصفها من حجارة ونصفها من تراب، وتسمى (بازينة)، وهي رموز بربرية صرفة يبلغ حجم بعضها 150م، وفيها تخبأ العظام عادة في صندوق مكون من صفائح ، لكن في العصور المتأخرة حفروا قبورهم في الصخور، شكلها مربعة، مدخلها عمودي شبيهة بالمساكن، وتسمى الحوانيت، محدود المساحة عادة، وفيها يضعون موتاهم، ويعتقد سولينياك أن كيفية تنظيم الحوانيت خاضعة إلى التأثير الإيجي، كما يرجع أمر هذه الحوانيت إلى العصور البعيدة، وربما سبقت الألف الأولى قبل المسيح كما يرى ذلك صطيفان أقصيل.[2]

وكانوا يدفنونها تحت مصاطب أغلبيتها مكونة من صفيحة واحدة، في الغالب تغطى كلها أو قسم منها برِجام مخروطة الشكل، كما كان يدفنونها أيضا في قبور اسطوانية الشكل متفرعة عن المصاطب تدعى (شوشات) وهذه القبور المبينة من مدر، وخاصة المصاطب، لا بد أنها تنتسب إلى نماذج قديمة جدا ولا شك أنها من عصر نيوليتي، غير أن هذه الشعائر نفسها تواصلت قرونا عديدة وخضعت إلى تطور محتوم كما تدل على ذلك المقارنة بين المقابر التي اكتشفها الدكتور (روفو-Roffo) في واد ورك (جنوب منطقة الجزائر العاصمة)، وفي عين حمارة (جنوب وادي جلال ببسكرة)، ويغلب على الظن أن مقابر واد ورك سبقت ميلاد المسيح، أما الأخرى فقد تكون معاصرة للقرن الثالث أو الرابع بعد المسيح.

وكانوا في غالب الأحيان يدفنون أمواتا كثيرين في القبر الواحد بعد أن يطووهم أو يجردوهم من لحومهم ويخلطوا عظامهم .ورغم المؤثرات الخارجية فإنهم لم يكونوا يدفنون الميت ممددا إلا نادرا، ولكنهم قلدوا القرطاجيين واليونان فحرقوا في بعض الحالات الاستثنائية بعض موتاهم ابتداء من القرن الثالث قبل المسيح.

وعادة تلوين الميت بالمغرة امتدت من عصور ما قبل التاريخ إلى القرن الثاني، وكانوا يضعون بجانب الميت أثاثا متواضعا وحليا، وآنية بلورية وخاصة خزفية إن أمكن ذلك.

1- اصطيفان اقصيل، تاريخ شمال أفريقيا القديم. تر: مُحَّد التازي مسعود. مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب. 2007 ج1. ص 209.

2 - اصطيفان اقصيل، المرجع السابق. ج1، ص 210

واتجاه القبور صوب الشرق والصحون المملوءة زادا والمتروكة على ذمة الجثث وكذلك أحواض الاغتسال التابعة للمصاطب) rigoles à libations des dolmens (فإنها تشير كلها إلى إيمانهم باليوم الآخر أما طي الأجسام وخلط العظام فربما يترجم عن فزعهم من رجوع الموتى[1].

وكانت عبادة الحمل معروفة لدى البربر الجزائريين في عهد الرومان، في جنوبي وهران كثيرا ما نشاهد نقوش الحمل الذي يتميز بصفات إلهية، إذ يحمل على رأسه دائرة تشع بالنور، ولعل عبادة الحمل تنوع من عبادة الشمس، آمون وفي تمنتيت (واحة في صحراء الجنوب العربي من الجزائر) تم العثور على حمل مصنوع بحجارة بركانية واضح المعالم، مع مسمار من النوع نفسه مخصص لتثبيت الرأس، فالحمل ذو الهالة الشمسية يذكرنا بإله طيبة الكبير، ونجد في وادي الجراد أبقارا تحمل دائرة بين قرنيها على غرار الحمل الغربي[2].

1 – أندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية. ص 66

2 – أ.ف.غوتييه، ماضي شمال أفريقيا ترجمة : هاشم الحسيني. مؤسسة تاوالت الثقافية. 2010 . ص 18، 19

ثانيا– الديانة اليهودية في بلاد المغرب

– الوجود اليهودي قديما

الثابت أن اليهود وصلوا إلى الشمال الأفريقي في عصور قديمة، من الروايات التاريخية ما يذكر أن تواجدهم في المنطقة يمد إلى 3000سنة، بذلك تكون الديانة اليهودية أول ديانة سماوية وصلت إلى المنطقة، لكن تختلف هذه الروايات في طريقة وصولهم إلى المنطقة في العصور القديمة، فيذهب بعض المؤرخين إلى وجود أطروحتان بخصوص تاريخ أول استقرار يهودي في شمال أريقيا.

الأولى ترجعه إلى العهد الفينيقي والقرطاجني بصورة خاصة، أي ابتداء من حوالي 9 قرون قبل الميلاد خاصة بعد هدم الهيكل عام 586 ق.م وتشتت اليهود حيث وصلوا على قوارب فينيقية إلى قرطاج التي كانت مستعمرة أسسها الفنيقيون في الشمال الإفريقي سنة 814 ق.م، لكن الهجرات المكثفة كانت بدأت مع أوائل القرن 3 ق.م في فترة بطليموس الأول، وخضوع "قورنائية" برقة الليبية حاليا للسيطرة البطلمية، حيث تشير بعض المصادر أن اليهود كانوا يشكلون بع سكان هذه المدينة في عهد الإسكندر الأكبر، وفي عام 96ق.م انتزع الرومان برقة من البطالمة، وأضحى الإقليم منطقة جذب لليهود بعد أن سمح لهم الرومان بحرية التنقل في حوض البحر المتوسط وفقا للسلام الروماني، واستمرت هجرتهم من الشرق خلال العصر الروماني خاصة بعد ما ألم باليهود بعد تحطيم الهيكل سنة 70 م على يد الرومان، فقد لجأت مجموعات منهم إلى بلاد المغرب، فاستقروا في برقة وبعضهم في قرطاج ، والبعض منهم توغل إلى الغرب حتى وصل الجزائر والمغرب الأقصى.[1]

تشير بعض الدراسات التاريخية أن الفنيقيين كانوا على صلة وثيقة مع ملوك بني إسرائيل وخاصة مع الملك سليمان(960، 92 ق.م) حيث ساعدوه على إقامة أسطوله التجاري، وكان بعض من بحارة هذه السفن من الفنيقيين، فقد جاء في فر الملوك الأول (وعمل الملك سليمان سفنا في عصيون جابر التي بجانب ايلة على شاطئ بحر سوف في ارض ادوم. فارسل حيرام في السفن عبيده النواتي العارفين بالبحر مع عبيد سليمان. فاتوا إلى أوفير واخذوا من هناك ذهبا أربع مئة وزنة وعشرين وزنة واتوا بها إلى الملك سليمان.)[2]، وهكذا وصل عبيد سليمان إلى سواحل أفريقيا برفقة الفنيقيين، وأقاموا هناك بصفة دائمة، وكانوا بذالك أول تواجد لليهود في الشمال الأفريقي، وبانقسام مملكة سليمان سادت الاضطرابات في أرض كنعان، بيمنا في تلك الأثناء شهدت قرطاجة التي أسسها الفينيقيين عام (814 ق.م) ازدهارا مما دفع بالكثيرين من اليهود

1– عبد الرحمن بشير، اليهود في المغرب العربي. ط1. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة. 2001. ص 53، 57

2– سفر الملوك الأول، 9: 27.

للبحث عن ملاذ آمن لهم فانضموا إلى الفينيقيين وانتقلوا إلى بلاد شمال أفريقيا، ويستأنس أصحاب هذا الرأي إلى ما ورد ي المدراش" قال ربي شمعون بن جمليئيل: هاجر في البداية سبط زفلون وسبط نفتالي" أي أن الأسباط الشمالية الذين كانوا جيران الفينيقيين أول الذين خرجوا من أرض كنعان، وهذا ما ورد في بعض المصادر من أن يهود جبال الأطلس يرجعون نسبهم و وجودهم إلى ما قبل الغزو البابلي ودمار الهيكل الأول، ويؤكدون أن أجدادهم لم يأت بهم إلى بابل.[1]

مع بداية غزو الوندال للشمال الإفريقي عام 430م استمر تدفق المهاجرين اليهود من الشرق إلى الغرب، حيث تمتعوا لفترة بالحرية، لكن بعدما انتصر الإمبراطور "جستنيان" واستعاد الشمال الإفريقي عام 533م أرغم اليهود على اعتناق المسيحية مما اضطر الكثير منهم للفرار إلى الغرب في أقاليم المغرب واندمجوا مع قبائل في الجبال وتخوم الصحراء والهجرة إلى المناطق الداخلية من شمال أفريقيا واندماجهم مع البربر، حيث تهودت بعض القبائل في المنطقة لاختلاط اليهود منهم رغم أن ديانتهم منغلقة، لكن حاول بعض الكتّاب اليهود تبرير هذا الأمر من أجل بقاء فكرة النقاء العرقي، فزعموا أن تهود قبائل البربر يرجع في أصوله إلى قبائل فلسطينية هاجرت إلى الشمال الإفريقي في سالف الزمان، وزعموا بأنه من خلال التهويد تكونت قبائل بربرية ذات أصل فلسطيني على أساس ديني مثل قبيلة " جراوة ".[2]

أما الرأي الثاني في وصولهم إلى الشمال الإفريقي، فيرجح المؤرخ الجزائري فوزي سعد الله نظرية الهجرات غير المباشرة لليهود لوصولهم إلى شمال أفريقيا، يعود تاريخ أولها إلى سنة 930 ق.م حيث دخل "شيشاق Sisak" فرعون مصر، إلى القدس ونهبها ونفى أعدادا كبيرة من اليهود إلى بلاده . فانتقلت جماعات منهم نحو الغرب تدريجيا في ظروف لاحقة واستقرت بليبيا وتونس وحسب بعض المصادر اليهودية، حتى ببعض جهات الشرق الجزائري، هذه الحركة الديمغرافية نحو الغرب تكون قد استغرقت قرونا كاملة قبل الوصول المحتمل لبعضها إلى الجزائر، بعد ذلك بأربعة قرون، أي سنة 586 ق م، فر عدد كبير من يهود فلسطين إلى مصر بعد سقوط القدس بيد نبوخذ نصر الملكً البابلي الشهير الذي حطم المدينة وحطم هيكل سليمان، هؤلاء تحولوا مع مرور الزمن إلى جًيوب كامنة للهجرة نحو الغرب كلما تدهورت أوضاعهم الأمنية بسبب موجة القمع التي لاقوها على يد فراعنة مصر في مختلف الفترات اللاحقة لفرارهم من نبوخذ نصر، أما في سنة 320

1- أحمد هيكل الشحات، يهود المغرب تاريخهم وعلاقتهم بالحركة الصهيونية. سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية. مركز الدراسات الشرقية، القاهرة. 2007. العدد 35. ص 11.

2- عبد الرحمن بشير، اليهود في المغرب العربي. المرجع السابق. ص 58

ق ،م فقد نفى بطليموس بعد استيلائه على فلسطين 100.000 يهودي إلى مصر وليبيا تحولوا فيما بعد إلى نواة الجاليات اليهودية بالإسكندرية وعدن ، ومدن أخرى من شمال إفريقيا[1].

وتشير نصوص تلمودية – تعود إلى القرن الأول قبل الميلاد -إلى أنه كانت هناك هجرات تطوعية من بلاد كنعان إلى شمال إفريقيا بعد غزو يوشع بن نون لها، والذي قاد العبرانيين إلى الأرض الموعودة.[2]

ويذكر المؤرخ البيزنطي "بروكوب- Procope" في القرن (6 م) إلى وجود نقوش على عمودين من الحجر الأبيض بمنطقة "Tigisis "- عين البرج – جنوب شرق مدينة قسنطينة نقرأ عليها كتابة "نحن الهاربون من هذا اللص حبشوا بن نون"، كما ذكر أن في عهده كان العديد من سكان شمال إفريقيا يحسنون التحدث باللغة الفينيقية، والتي هي قريبة من اللغة العبرية.[3]

ففي سنة 135 م تمرد اليهود على الإمبراطور الروماني ونادوا إلى قيام دولة إسرائيل في القدس، فما كان على الحاكم الروماني "هادريان" فهاجمهم ليخمد نيران الثورة ويقضي على العصيان، فدمر القدس وقتل أهلها، وفر الناجون منهم خارج فلسطين فتشتتوا في مختلف أرجاء العالم، وكان من الطبيعي جدا أن يلجأوا إلى المناطق التي لا تقع تحت السلطة والنفوذ الرومانيين كالجزيرة العربية و إلى حيث النفوذ الروماني ضعيف مثلما هو الأمر في المناطق الداخلية لشمال إفريقيا بسبب مقاومة الأهالي للسلطة الرومانية الاحتلال ومعاداتهم الشديدة لها.

أما بخصوص الهجرات المباشرة يرى فوزي سعد الله حسب ما ينقله عن أندري شوراقي أن أنها كانت منظمة في شكل موجات، منها:

أول هذه الموجات وأبرزها تلك التي انطلقت بعد تدمير "تيتوس" للقدس عام 70م، حيث فر من سلم من القتل والأسر إلى شمال غرب إفريقيا وإلى تونس والجزائر، فضلا عن أولئك الذين طردوا من روما إلى المنطقة على متن 12سفينة.

أما موجة الهجرة التي تدفقت على تونس والجزائر خاصة وفي اتجاه شمال الصحراء، قد تكون من أهم حركات الهجرة اليهودية إلى بلادنا من حيث العدد بالمقارنة مع الحركات السابقة، لأنها تلت أحداث عنف ومواجهات بشعة بين اليهود والرومان بمحاذاة الحدود الجزائرية الشرقية وبالضبط بليبيا دامت ثلاث سنوات ،

1- فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون. ط2. دار الأمة للطباعة والنشر. الجزائر. 2004, ص 30، 31

2 - M.Simon , Le Judaïsme berbère dans l'Afrique ancienne, R.H.P.R , T26/1, 1946, PP1-31 ; T26.2,

3 - Gautier ,Le passé de l'Afrique du Nord, Paris, Payot, 1942, P141.

من 115 م إلى 117م وكانت الأراضي التونسية والعمق الجزائري أقرب وأفضل ملجأ للهاربين من القمع الروماني، لأن الفرار إلى الشرق كان مستحيلا حيث مصر وفلسطين وما يحاذيها كانت كلها تحت السلطة الرومانية المباشرة، ولم يبق بالتالي لليهود الفارين سوى الاحتماء لدى القبائل البربرية الجزائرية والتونسية المعادية للسلطة الرومانية ، في منطقة جغرافية تشكل بتضاريسها الوعرة والقاسية درعا و حصنا آمنا وواقيا من الملاحقات والهجمات الرومانية المسيحية غير أن عدد المهاجرين المطلق يبقى متواضعا حسب المصادر التاريخية الإسلامية المعاصرة للفتوحات الإسلامية والمطلعة على بنية سكان شمال إفريقيا بما فيه المغرب الأوسط[1].

وبعد حوالي خمسة قرون عرف اليهود في سنة 613 م وسنة 672 م آخر هجرة مباشرة إلى شمال إفريقيا، بصورة اضطرارية كما جرت العادة قبل الفتح الإسلامي للمنطقة، فرارا من قمع الملوك القوط ، واستوطنوا عدة مدن مغربية وجزائرية في الشمال والجنوب ، خصوصا وأن التمسح والتنصير الإجباري كان قد ألغي في جميع أقاليم الإمبراطورية البيزنطية منذ عهد الإمبراطور موريس (582 – 602 م) الذي أظهر تسامحا كبيرا مع اليهود بالمقارنة مع سابقيه من الناحية الدينية .

وقد وصف أَندري شوراقي هؤلاء المهاجرين من إسبانيا في محاولة تحديد تصور لحجمهم بأنهم منحوا الجاليات اليهودية بإفريقيا(الشمالية) دفعا جديدا.[2]

ب- بعد الفتح الإسلامي

تنوعت المناطق التي اختارها اليهود للاستقرار في شمال أفريقا سواء قبل الفتح الإسلامي أو بعده بتنوع أنشطة سكانها والتي تناسب طبيعة المهن التي عرفها اليهود، أو بحسب حياتهم الاجتماعية، أو بحسب إمكانياتهم المادية، ومن ثم انتشر اليهود في بلاد المغرب الإسلامي وسكنوا المدن الكبيرة، والقرى الصغيرة، ومناطق التخوم البعيدة عن هيمنة السلطة الحاكمة .

وعندما فتح المسلمون الشمال الأفريقي بقي اليهود في المنطقة لكونهم لم يكونوا جزء من المسيحية الرومانية التي واجهت المسلمين الفاتحين، بل لزموا الحياد انتقاما من اضطهادات الروم، وقبلوا بحكم المسلمين، فأظلهم الفاتحون بتسامح الإسلام.[3]

لكننا نلاحظ استقرار اليهود ي المنطقة يختلف من بلد إلى آخر لذلك سنتناول بصيغة موجزة تواجدهم

1- فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، المرجع السابق، ص 31، 32

2- فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون. المرجع السابق.ص 32.

3- عبد الرحمن بشير، اليهود في المغرب العربي. ص 31

في بلاد المغرب العربي موجزا في كل دولة.

لما قرر المالكان الكاثولكيان فرديناند ملك أراغونا والملكة إيزابيلا ملكة قشتالة في عام 1492م طرد المسلمين نهائيا من شبه جزيرة إيبيريا رغم قيام يهوديان بتمويل حرب الاسترداد التي أنهت الحكم الإسلامي، ورغم مساندة اليهود للنصارى فقد صدر قرارا ملكيا من الملكين الكاثوليكيين بعد سبعة أشهر من إنهاء الحكم الإسلامي بالأندلس، والذي نص على طرد اليهود الرافضين للتنصير[1].

كما أن ملك البرتغالي يصدر هو الآخر قرارا بالتنصير الإجباري لليهود، ولكنه مع ذلك منحهم حرية دينية وحصانة ضد محاكم التفتيش، غير أنه اضطر عام 1496م إلى إصدار مرسوما ينص على طرد ما تبقى من اليهود بمملكة البرتغال، وأطلق على اليهود المتنصرين في الأندلس والبرتغال بالمارانوا Marrano أي المنبوذين أو اليهود المتخفين، وهم اليهود الذين تراجعوا ظاهرا عن اليهودية و ادعوا اعتناقهم للمسيحية حتى يتمكنوا من البقاء والحفاظ على ممتلكاتهم ومساكنهم، أما الذين بقوا على يهوديتهم فاضطروا الهجرة إلى الدول المجاورة، وكانت وجهتهم خاصة إلى بلاد المغرب الإسلام.[2]

1- اليهود في إفريقية (تونس)

أفريقية كانت تطلق على المنطق المحصورة بين برقة شرقا إلى مليانة أو بجاية غربا.

سكن اليهود هذا إقليم برقة قبل الفتح الإسلامي، والذي كان يشمل "انطابلس" المدن الخمس الرومانية، تقع على الحدود الغربية من مصر، كانت مركزا تجاريا وملجأ الغرباء لأنها كانت مركز عبور بين المشرق والمغرب، استقر فيها اليهود إلى جانب العرب بعد الفتح بعد أن فُتح صلحا مع أهل الذمة على جزية مقدارها (13 ألف دينار)، وهذه إشارة إلى أن أهل الذمة كانوا كثيرين فيها، وإذا علمنا أن معظم النصارى من الروم فضلوا النزوح من الإقليم بعد الفتح، وبعضهم اعتنق الإسلام فهذا يعني أن الغالبية من أهل الذمة فيها يهود، الذين وجدوا حريتهم في ظل الدولة الإسلامية فانتشروا إلى الجنوب حتى حدود السودان، ومدن ساحل البحر المتوسط التي كانت طريق عبور القوافل التجارية بين بلاد المغرب ومصر لقرون من الزمن بعد الفتح الإسلامي.[3]

إلى جانب إقليم برقة هناك إقليم طرابلس في ليبيا كذلك حاليا ولأهميته الاقتصادية جذب إليه اليهود، إلى درجة أن بعض مدن الإقليم سميت بهم مثل مدينة (اليهودتين) الواقعة على الطريق الساحلية بين برقة

---

1 -Hanoune : Aperçu sur les Israélites Algériens et sur la Communauté d'Alger, Alger1922, P 7.

2- فاطمة بوعمامة،اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين (7، 8 هـ)- (14، 15) مؤسسة كنوز الحكمة، الأبيار، الجزائر.2011.ص 50

3- عبد الرحمن بشير، اليهود في المغرب العربي. ص 34- 36

وطرابلس، ومن المؤرخين من يسميها (مرسى اليهودية) في التسمية دليل بغلبة الوجود اليهودي فيها، فتشكلت جالية يهودية في القرن الرابع في مدينة "لبدة" القريبة من طرابلس، ومنهم مارسوا تجارتهم عبر سواحل البحر، كما سكنوا مناطق داخلية كانت لها أهميتها في عبور الواقل من الجنوب إلى الشمال، خاصة منطقة جبل "نفوسة" أين استوطنوا مدينتي "شروس" و "جادوا".

وإلى الغرب من طرابلس سكن اليهود مدينة قابس، كما استوطنوا "جربة" أنشاءوا الحارات يها، وبيت المنطقة مركزا لليهود إلى يومنا.

كما سكنوا القيروان بعد تأسيسها من قبل الفاتح المسلم عقبة بن نافع عام 54هـ ، حيث أصبحت من يومها عاصمة دينية لليهود الذي توافدوا إليه من حدب خاصة من فلسطين و العراق، وسُمح لهم بإنشاء معابد لهم فيها، كما استوطنوا مدينة المهدية ومدينة سوسة، وحتى مدينة تونس الحديثة.

حيث أسس الفاطميون شرق القيروان مدينة المهدية التي أصبحت عاصمة لهم، وبنوا بها أكبر ميناء في المغرب الإسلامي، وتوسع نشاط المدينة، وكان اليهود يمثلون جالية واسعة وغنية، كما كانت لهم نشاطات ومبادلات تجارية واسعة، كما كان لهم فندق قرب البحر، وقرب الفاطميون إليهم العلماء والأطباء اليهود وأصبحوا في خدمتهم من بينهم العالم الفلكي الحاخام "بلسيال Palitiel"، والطبيب "دونانش بن تميم"، وكان مستشار الخليفة، الفاطمي المعز لدين الله (341، 365 هـ)، كما كان طبيب الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (386، 411 هـ) يهودي لقب "بالحقير النافع"، كما كان الطبيب الخاص للمعز بن باديس (406، 453 هـ) يهوديا وهو "إبراهيم ابن عطا"، وأمر الفقيه أبو عمران موسى الفاسي أن يصبغ طرف عمامة ابن عطا اليهودي باللون الأصفر[1].

في العصر الحديث تمتع اليهود في تونس بالحرية في ممارسة نشاطاتهم وعباداتهم، حيث منذ عام 1857 سوى الدستور التونسي بين اليهود والمسلمين في ما يُعرف بـ "عهد الأمان"، في ظل الاحتلال الفرنسي حظي اليهود برعاية خاصة.[2]

أما ي الجزء الثاني من إفريقية والذي أصبح يسمى حديثا بدولة ليبيا، قد أدت الإجراءات التعسفية ضد المسلمين واليهود في الأندلس بعد سقوطها ي يد المسيحيين إلى هجة أعدا كبيرة من اليهود باتجاه الشمال الأفريقي، حيث وجد اليهود في طرابلس ملجأ آمنا، يقدر الباحث المؤرخ اليهودي " ناحوم شلوش" أن عدد العائلات اليهودية الإسبانية ي طرابلس بحوالي 800 عائلة.

1- فاطمة بوعمامة، المرجع السابق. ص 32

2- خيرية قاسمية، يهود البلاد العربية. ط1. مركز الدراسات العربية، بيروت. 2015. ص 296- 303

وفي بداية القرن 19م بدأت أعداد من يهود تونس والجزائر في القدوم إلى طرابلس، متزامنة مع هجرة أخرى من يهود إيطاليا خاصة يهود "دوقية ليفرنو"، إضافة إلى يهود نابولي، وشكّل هؤلاء طبقة من التجار والبحارة.

وقد استقرت الجالية اليهودية كعادتها في أحياء معروفة بهم تسمى " الحارة"، حيث ضمت طرابلس حارتين استقر فيها أغلب يهود ليبيا " الحارة الكبيرة" و" الحارة الصغيرة"، كم وُجدت هذه الحارات في كل المدن الليبية التي تواجد بها اليهود، ومنها حارة الزاوية الغربية، حارة زلتين، حارة مسلاتة، وحارة يدُر في مصراتة.

بعد إعلان الأمم المتحدة استلال ليبيا عام 1951م، حيث ذكرت إحصائيات 1954م إلى وجود 3736 فردا منهم، ومن الملاحظ بعد هذه الفترة حدث تغيرا في عدد اليهود في ليبيا وأماكن استقرارهم، حيث استقروا في طرابلس، وتوزع عدد محدود منهم في بعض المناطق مثل مصدراتة، بن غازي، درنة.[1]

2- اليهود في المغرب الأوسط (الجزائر)

أبرز الهجرات اليهودية الجماهيرية التي ستتدفق على الجزائر ما بين الفتح الإسلامي ودخول العثمانيين هي تلك ألتي تلت أحداث إشبيلية والباليار سنة 1391م ثم موجة 1492 م إثر سقوط الأندلس...

في ظل الدولة الإسلامية نعم اليهود في الجزائر وغيرها من أقاليم العالم الإسلامي بأمن وسلام لم يعيشوه من قبل تحت أي حكم لا في الجزائر ولا في بقية بلدان العالم ، إذ باستثناء الجزية التي هي مقدار بسيط من المال يدفعه اليهود سنويا للدولة الإسلامية مقابل تكفل هذه الأخيرة بحمايتهم كأقلية دينية وضمان أمنهم وحرياتهم العامة، لم يكن هناك أي فرق أو تمييز-نظريا على الأقل كما جاء في النصوص الشرعية- بين المواطن المسلم والمواطن اليهودي داخل الدولة الإسلامية، وكانت باب المنافسة مفتوحة أمام المسلمين وأهل الذمة على السواء في الحياة العامة، وفرص النجاح والتقدم في هرم النظام الاقتصادي -الاجتماعي، وأحيانا حتى في الحياة السياسية، متساوية وعادلة أمام الجميع ومقترنة بالعمل والجد والإخلاص، لكن المسلمين كانوا في الحقيقة متحفظين نسبيا تجاه اليهود في بعض المناصب الحساسة في الميدان السياسي، من جانب لاستحالة تولية غير المسلمين شرعا في المراكز الحساسة لاتخاذ القرار، ومن جانب آخر لأسباب تاريخية تعود إلى السوابق العديدة والخيانات اليهودية للمسلمين منذ ظهور.[2]

عاش البربر حياة البداوة والصحراء، وقد اختلط اليهود بهم أثناء الهجرات الوافدة إلى المنطقة، خاصة في

1- مصطفى أمحمّد الشعباني، يهود ليبيا. ط1. دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا. 2006. ص 87- 97

2- فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون. المرجع السابق.ص 46

فترات صراعهم مع الرومان والبيزنطيين، فأثروا على بعض القبائل البربرية فعرفوا اليهودية، ولم يكن تهويدهم دعوة مباشرة من اليهود، ولم يشمل التهويد قبيلة بأكملها بل الأرجح أن أفرادا أو عائلات أو قطاعات أو بطون تهودت تقليدا لليهود، تذكر المصادر التاريخية أنه لما فتح عمرو بن العاص منطقة جبل أنفوسة غرب طرابلس وجد بعض أهلها يدينون باليهودية والنصرانية، حيث استقر اليهود الوافدون في " جادوا" أكبر مدن الجبل، وهو الحال الذي كانت عليه القبائل البربرية في الجنوب الجزائري، كقبيلة جدواة.[1]

بعد الفتح الإسلامي للجزائر، شهدت الطائفة اليهودية نوعا من التقهقر في غمار حركية الفتوحات، بمجرد دخول الإسلام إلى البلاد استقطب الجماهير العريضة البربرية، بغض النظر عن المقاومات الاستثنائية ، وكبح انتشار المسيحية و اليهودية في مرحلة أولى ليحولهما مع مرور الزمن إلى أقليات دينية محدودة، فما كان على اليهود سوى التأقلم مع الوضع الجديد أو الهجرة إلى الجنوب والانعزال في الصحراء ... من أجل الابتعاد عن مخاطر الذوبان في الإسلام وبالتالي حماية الشخصية الثقافية– الدينية اليهودية من الزوال. فتطلب الأمر من اليهود للنظام الجديد وقواعده ومعطياته فأعادوا هيكلة أمورهم وضبط نشاطاتهم حسب الواقع الجديد ليعودوا بقوة إلى الساحة السياسية – الاقتصادية بحيث سيزداد نفوذهم وثقلهم في الحياة الجزائرية العامة تدريجيا ليبلغ قمته ما بين النصف الثاني من القرن 3 هـ والقرن 5 هـ.[2]

- **في الشرق الجزائري**

من القبائل التي تحدث عنها المؤرخون والتي اندمج فيه اليهود منذ البدايات الأولى، أثروا بديانتهم في أهلها حتى دان بعض أهلها باليهودية في المنطقة؛ نجد قبيلة جراوة، حيث يقول بن خلدون " ربما كان بعض هؤلاء البربر الذين دانوا بدين اليهودية أخذوه عن بني إسرائيل عن استفحال ملكهم لقرب الشام وسلطانهم منهم، كما كان جراوة أهل جبل أوراس قبيلة الكاهنة مقتولة العرب لأول الفتح"[3]

- **في الغرب الجزائري**

ومن هذه القبائل كذلك قبيلة مديونة في منطقة تلمسان في المغرب الأوسط، التي عرف أهلها اليهودية

1- عبد الرحمان بشير، المرجع السابق. ص 60- 63

2- فوزي سعد الله ، المرجع السابق. ص 48، 49

3- عبد الرحمان ابن خلدون، العبر. مج 6، ج11، ص 214

واعتنقها بعضهم، وظلت أعداد من هذه القبيلة تدين باليهودية إلى القرن الرابع هجري، وتزايد عدد اليهود فيها حتى أصبحت مركزا دينيا لهم.[1]

وقد ذكر ابن خلدون أن اليهود اندمجوا في قبيلة مديونة وأهلها واعتنق بعضهم اليهودية، وهذه القبيلة منتشرة بضواحي تلمسان ما بين جبل راشد حتى الجبل المعروف بهم جنوب وجدة المغربية، وقد نازعتهم قبيلة زناتة على مواطنهم وتملكوها، فنزحت مديونة إلى المنطقة المحصورة ما بين وجدة وصطفورة، وظلت أعداد من هذه القبيلة تدين باليهودية وتقطن منطقة تلمسان نظرا لكونها باب أفريقيا وقفل باب المغرب.[2]

كذلك من المدن التي استقر بها اليهود بعد الفتح الإسلامي في المغرب الأوسط، نجد مدينة وميناء تنس بالغرب التي تم تشييدها عام 262هـ/ 875م، لكونها مرفأ تجاري، ومحطة مرور القوافل بين الأندلس وبلاد المغرب، فكانت لهم موردا اقتصاديا وتجاريا هاما في المنطقة.

كما استقروا في قلعة بني حماد التي بناها حماد بن بلكين عام 392هـ/ 1007م، واتخذها عاصمة لدولة بني حماد، لأنها كانت مقصدا للقوافل التجارية القادمة خاصة من الشام والعراق والحجاز ومصر، كما أنه معروف عن اليهود أنهم رغبتهم في أن يكونوا دائما قريبين من السلطة الحاكمة، وفي هذه المدينة وُلد أحد علماء اليهود الذي ضاع صيته في شمال أفريقيا والأندلس " إسحاق الفاسي "، كما يُنسب إليها أحد أحبار اليهود " إبراهام القلعي".[3]

- **في الجنوب الجزائري**

من المصادر التاريخية اليهودية ما يذكر أن بعض الفارين من يهود يثرب من الجزيرة العربية قد استقروا قبل فتح شمال أفريقيا بهذه المنطقة ، بما فيها الجزائر، وحطوا رحالهم- حسب ما يشاع – بالجنوب الجزائري بمنطقة قصور توات ، ورقلة ، تقرت ، وجانت...

تليها مئات العائلات اليهودية التي تشتغل بالتجارة مختلف الأنشطة والتي انتقلت مع الفاتحين المسلمين إلى شمال إفريقية برعاية عقبة بن نافع الذي استعان بهم في تعمير مدينة القيروان، التي كانت أول محطة لهم،

1- عبد الرحمان بشير، المرجع السابق. ص 63- 66.
2- ابن خلدون، العبر. مج 6، ج11، ص 203، 204
3- عبد الرحمان بشير، المرجع السابق. ص 44.

ومنها وصلوا إلى المغرب الأوسط وباقي شمال إفريقيا.[1]

أصبحت الجزائر من أهم مراكز التجمع اليهودي في العالم الإسلامي بفضل الموقع الجيو-ستراتيجي للجزائر الذي يتوسط الأندلس وبقية المغرب العربي والمشرق ، كما أنها تشكل أهم المراكز التجارية اليهودية التي تربط وبين الضفة الشمالية والضفة الجنوبية للمتوسط وبين هذين الضفتين والعمق الإفريقي ، والإمارات والمملكات المجاورة للبلاد[2].

نال اليهود، زيادة على الاحترام العام والتقدير من طرف عامة المسلمين ، عطف واحترام الخلفاء والأمراء المسلمين الذين كانوا كثيرا ما يأخذون برأيهم في أمور السياسة والمالية وأدمجوهم في الحياة الإدارية والعمومية وقد ساعدهم هذا الوضع الجديد على الاستقرار وتنمية أموالهم وتوسيع نشاطاتهم التجارية تدريجيا ما مكنهم من الاندماج في النظام الإسلامي العام، وبفضل خدماتهم الاستشارية نعموا برعاية الأغالبة والرستميين وعطف الخلفاء الفاطميين والملوك الحماديين وتمتعوا بحرية كبيرة وباستقلالية داخلية لم يعهدوهما من قبل خصوصا على المستوى الديني والشعائري وما يتعلق بالطقوس الروحية، كما استعانت الدولة الفاطمية ببعض اليهود في تسيير شؤونها السياسية والإدارية كغيرها ممن سبقوها وممن تلوها في الجزائر والمغرب العربي ، ...وقد كان على سبيل المثال اليهودي يعقوب ابن يوسف ابن كلس وزيرا للمعز لدين الله الفاطمي ، وبلغ نفس المنصب أبو سعيد إسحاق الإسرائيلي وهو يهودي أيضا كما تولى يهودي آخر هو أبو سعيد التستري ديوان والدة الخليفة المستنصر الفاطمي ، وتقلد أبو منصور "صدقة بن يوسف الفلاحي" اليهودي الوزارة ... وكان من أبرز وأنجح اليهود الذين تولوا المناصب العليا في الدولة الفاطمية وأخلصهم، بقي العنصر اليهودي حاضرا على مستويات هامة في الدولة الزيانية خصوصا في الوسط الإباضي ، حيث سيطروا على تجارة الحرير خصوصا كما تواجد اليهود بأعداد هامة في دولة بني حماد حيث أسسوا مدرسة تلموذية في قلعة بني حماد ترأسها سليمان ديان بن فرماس الذي تلا إسحاق بن يعقوب الفاسي.[3]

و في العهد العثماني في الجزائر ظهرت الحارة بشكل واضح في وقت متأخر، أي بعد قدوم خير الدين وعروج، لحماية اليهود في المجتمع وليتنعموا بخصوصياتهم وبنفس الخصائص والمميزات التي كانت عليها في المغرب الأقصى، كقربها من مقرات الحكام ، لكن الإقامة في الحارة اليهودية لم تكن إجبارية على اليهود أبدا

1- فوزي سعد الله ، المرجع السابق. ص 44

2 - فوزي سعد الله ، المرجع السابق. ص 47

3- فوزي سعد الله ، المرجع السابق. ص 50، 51

لأن الكثير منهم اختلطوا مع المسلمين في سكناهم وأحيائهم ومدنهم ، ولا يوجد ما يدل على أي إجبارية أو عنصرية حول هذه المسألة.

وتشير المصادر التاريخية أنه مع نهاية القرن 19 إلى عشية الحرب العالمية الأولى ، أن عددا من العائلات اليهودية البورجوازية كانت تمتلك في العهد العثماني بمدينة الجزائر القصور والبساتين الفخمة داخل وخارج أسوار القصبة، ويكفي التذكير بأن القصر الجميل الذي يُعرف اليوم: بـ " دار خداوج العمياء" والذي تحول إلى متحف الفنون الشعبية مازال الناس يسمّونه حتى اليوم "دار البكري" ، أي اليهودي "يعقوب بكري" الذي اشتراه في عهد الداي حسين، واشتهرت أيضا دار شريكه "نفطالي بوشناق" بالقصبة، مثلما اشتهرت آنذاك أيضا القصور المحاطة بالبساتين الراقية التابعة للوجهاء اليهود على غرار جنان "بن دوران" وجنان "بن زقوط"أي "ميشال كوهين بكري" بحي بوزريعة، وهذا يوحي بوجود نادر للحارة في الجزائر قبل العهد العثمانية في تلمسان مثلا عشية دخولها من طرف الأخوين عروج وخير الدين، لم تكن هناك حارة بل يعيشون مع المجتمع[1].

ومعظم الحارات اليهودية بالجزائر جاءت في القرن 18م، مثل حارة اليهود بقسنطينة التي بنيت بأمر من صالح باي في النصف الثاني من ذلك القرن، وحارة وهران التي بنيت بمساعدة الباي مُحَمَّد الكبير بعد استرجاع مدينة وهران من الإسبان سنة 1792م ، وقد جاءت كتكريم لهم وقوبلت بابتهاج كبير لدى كامل الطائفة اليهودية . مع ذلك، فإن وجود الحارة سواء في شكلها العفوي كظاهرة اجتماعية إرادية بحتة أو كظاهرة أمنية –سياسية رسمية لم يمنع اليهود من الاختلاط بغيرهم من الجزائريين المسلمين في نفس الأحياء بعيدا عن الحارة، كما أن ا لمدن الصغرى لم تكن تحتوي أساسا على الحارات بل كان السكان يتداخلون فيما بينهم.[2]

- **في الجنوب الغربي من الجزائر**

في واحة تُوات، المدينة العريقة التي تقع على مشارف الصحراء، الغنية بموقعها الجغرافي الحساس في الشبكة التجارية البرية ما بين القرن 11م والقرن 15م، وبرأسمالها من التجارة والقوافل ومختلف الهياكل الضرورية للمبادلات الصحراوية أو العابرة للصحراء، تحكم اليهود الذين كان عددهم كبيرا بهذه الواحة، بشكل متفاقم تدريجيا في كل صغيرة وكبيرة ، في أهم النشاطات الاقتصادية وأشدها حساسية ، وفي السياسة والأمن وحتى في القضاء بطرق ملتوية غير مباشرة.

وتراجعت سيادة المسلمين في هذه الواحة التجارية الإستراتيجية إلى الحد الذي يوحي بأنهم أصبحوا

1- فوزي سعد الله ، المرجع السابق. ص 60، 61

2- فوزي سعد الله ، المرجع السابق. ص 63، 64

الذميين الفعليين ، حسب المصادر التاريخية لذلك الوقت، النفوذ اليهودي بلغ ذروته مع نهاية القرن 15 م وطال حتى تعيين رجال الإدارة والسيطرة على الهيئات المحلية ومراكز القرار بواسطة المال والخدمات الاستشارية .لن يمر وقت طويل لتنفجر ردود فعل المسلمين أو بعضهم على الأقل ، كما جرت العادة في مثل هذه الظروف ، لوضع حد لهذا التسلط الجائر، ورد الأمور إلى نصابها، وللتحرر من السيطرة التي فرضها عليهم اليهود وحلفاؤهم من بعض المسلمين . ولم يبق أمام القوى الإسلامية الغاضبة سوى الدخول في مواجهة مباشرة مع هذه الطائفة ومساندیها.

أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني أحد أعلام الجزائر في فاتحة القرن ا10هـ، يكون قد ترك تلمسان مسقط رأسه مغتاظا من سيطرة اليهود بها على المقاليد الفعلية للسلطة ولمختلف جوانب الحياة الاجتماعية – الاقتصادية – السياسية ، ويكون هذا العامل هو نفسه الذي دفع به إلى الارتحال إلى الصحراء بعد أن أتم دراسته في الشمال ، بالعاصمة خاصة ، وفي ذلك نوع من تبرئة الذمة من الانحطاط والانحلال الذي كان ينهك المسلمين بتواطؤ منهم، وينظم طاقاته في صيغة حملة عسكرية لطرد اليهود ابتداء من سنة 1488م تقريبا لإيقاف الفساد والانحطاط الذي أصاب المسلمين وأنهكهم ،وقد كان غضبه حاسما بحيث محا آثار اليهود من تلك المنطقة الصحراوية[1].

وقد زاد المتحولين إلى اليهودية قبل الإسلام من القبائل البربرية لما عانته من الاضطهاد البيزنطي المسيحي، لكن بعد دخول الإسلام نعموا بالرعاية وحسن المعاملة في الحقوق كمواطنين جزائريين، وشهد التاريخ بعض مواقفهم إلى جانب المسلمين؛ من ذلك وقوفهم ضد حملة شارل الخامس في 1541م، ومرة أخرى ضد الكونت أوريوللي 1775م، و وصل الأمر ببعض الجماعات اليهودية الجزائرية إلى إحياء الانتصارين في احتفالاتها في "عيد المساخر– Purim Ketatanim"، كما بلغ اندماجهم مع المسلمين في مراحل كثيرة، يتشاركون الكثير من المناسبات، ففي تلمسان كان المسلمون واليهود يتلون الصلوات لتكريم ذكرى المرابط المسلم الذي حمى اليهود عندما طردتهم محاكم التفتيش في أواخر القرن 15 ميلادي، وبقي هذا التعايش إلى قبيل الاحتلال الفرنسي، لكن انقلب الوضع التقليدي مع الاحتلال الفرنسي، حيث تغيرت بنية المجتمع الجزائري بفعل المحتل، وأصح اليهود أهل الحكم فيها انطلاقا من القوانين التي سنتها فرنسا.[2]

1- فوزي سعد الله ، المرجع السابق. ص 67، 68

2- خيرية قاسمية، المرجع السابق. ص 280

تمتع اليهود في الجزائر في ظل الحكم الفرنسي بامتيازات كثيرة جعلتهم في مركز أفضل من بقية السكان، كان تضمن تصريح قائد الحملة الفرنسية في جويلية 1830م سوى بين جميع السكان مع تمييز بين اليهود والمسلمين، حيث منح اليهود حق إدارة مستقلة لشؤونهم، يتولاها رئيس جديد للطائفة اليهود ومعه ثلاث معاونين له في المجلس، وفي 1845 وضُعت سياسة فرنسية جديدة ليهود الجزائر بإنشاء مجلس رئيسي للطائفة اليهودية في مدينة الجزائر، ومجالس إقليمية في وهران وقسنطينة، وأصبح وضع اليهود في الجزائر شبيه وبضع اليهود في فرنسا، بعد ان جُعلت الجزائر جزءا من الأراضي الفرنسية في 1848م، وفي 1870 صدر قانون " كريميو- Crémius" الذي يمنح الجنسية الفرنسية لكل الطائفة اليهودية في الجزائر، فأصبح اليهود في الجزائر يتمتعون بكل الحقوق المدنية والسياسية للمواطن الفرنسي.[1]

وخلال أربعين عاما تقريبا جرى دمج اليهود تماما بالقانون العلماني الفرنسي وأصبحوا مواطنين فرنسيين، وأخذوا مواقعهم جنبا إلى جنب مع المحتل الفرنسي، حيث فتح لهم الوضع الجديد المجال لدخول السياسة وتسيير شؤون البلاد، حيث دخلوا الانتخابات وفُتحت أمامهم فرص الوظائف المدنية والعسكرية، وكان لأبنائهم الأفضلية في دخول المدارس، وبحلول القرن العشرين كان في الجزائر جيل بأكمله من اليهود مواطنين فرنسيين منذ ولادتهم.[2]

اليهود مثلهم مثل العنصر الأوروبي يميل إلى السكن المراكز المدنية، ويعيش ثلاثة أرباعهم في إحدى عشرة مدينة، أهمها الجزائر (30 ألفا)، و وهران (30 ألفا)، وقسنطينة (15 ألفا)، بينما وُجد عدد قليل من اليهود في الصحراء جنوب الجزائر يعيشون ظروفا بدائية يراوح عددهم بين (2-4 ألاف).[3]

ولما انهزم الفرنسيون في الحرب العالمية الثانية، ودخلت قوات المحور إلى شمال أفريقيا عام 1941 تم إلغاء مرسوم كريميو، فعانى اليهود في الجزائر بسبب مواقفهم السابقة إلى جانب فرنسا، لما نزلت القوات الأمريكية إلى الجزائر وانتصر الحلفاء في 1942م أُتخذت إجراءات جديدة ضد اليهود بما في ذلك إنشاء معسكرات اعتقال خاصة بهم، ولما اندلعت الثورة التحريرية في 1954 كان موقف الأقلية اليهودية في كثير من النواحي غير

1 - Jean Deniel , Jewish Futur in Algeria ; Dissenting view Commentary , vol 34 (September 1966). P ; 2

2- خيرية قاسمية، المرجع السابق. ص 282، 283

3 - The Wisconsin Jewish Chronicle , Newspaper, Vol 87,no 22- July 1961.

واضح، فهو موزع بين ولائهم لفرنسا وبقاء حكمها ففي الجزائر لأنهم المستفيدين الرئيسيين من النظام الفرنسي، وبين العيش الغرد في أرض الجزائر حيث نعموا بخيراتها، فلم يقفوا إلى جانب الثورة خوفا على إنهاء وجودهم في الجزائر بانتصار الثورة، وعبر الكثير من قادتهم بأن مصيرهم في الجزائر مرتبط بالحكم الفرنسي لما حققوه من مكاسب لعشرات السنين على حساب الجزائريين تحت السلطة الفرنسية، فوقفوا إلى جانب فرنسا ومنهم من حرص على التزام الحياد ليترصد اقتناص المصلحة مع المنتصر كعادتهم في مثل هذه الأوضاع.[1]

لم يكتفوا بمواقفهم هذه ضد الثورة وضد إرادة الشعب الجزائر لتحقيق مصالحهم إلى جانب وجود المحتل، بل نظموا حملات دعائية إلى جانب الفرنسيين المدنيين في الجزائر والدعوة للقتال إلى جانب فرنسا وعدم التخلي عن مكتسباتهم فيها، حيث وقفوا إلى جانب منظمة الجيش السري (O.A.S) التي تولت حملة إرهابية لزرع الفوضى والعنف وقتل الجزائريين، من أجل إبقاء الوجود الفرنسي في الجزائر، حيث أكدت هذه الأحداث الصفة الفرنسية لليهودي الجزائري، وهو ما يفسر رحيل معظم هذه الطائفة التي خانت البلد الذي حماها لقرون من الزمن، وعاشت في كنفه تتنعم بخيراته وتطمئن فيه على أمنها.[2]

ج- اليهود في المغرب الأقصى

بالعودة إلى قضية التأصيل التاريخي والجغرافي للعنصر اليهودي في بلاد المغرب الأقصى عامة، نجد أن الأدبيات التاريخية تؤكد بشكل لا ريب فيه، أن الفئات اليهودية وطأت أرض المغرب منذ أمد بعيد يعود إلى ما قبل الميلاد بكثير؛ حيث قدم اليهود إلى المغرب الأقصى عبر بوابتين رئيستين:البوابة المشرقية والبوابة الأوربية[3]. وهو ما أكده مونتاي (Monteil) عند اشتغاله على اليهود واليهودية في السودان الغربي، موضحا أن اليهود الذين تواجدوا بشمال إفريقيا، وخاصة في المغرب الأقصى، يخضعون لفرضيتين اثنتين من حيث التأصيل: فإما أن يكونوا من أصول مشرقية قدمت إلى المغرب عبر فترات تاريخية متفطعة، وخاصة بعد الفتح العربي الإسلامي لبلاد الأمازيغ بشمال إفريقيا؛ إذ كانت الكثير من العناصر اليهودية ترافق الفاتحين العرب نظرا إلى معرفتها الدقيقة بمسالك وشعوب المنطقة[4]، وفي السياق نفسه تؤكد الباحثة جاك دوزي مونيي على قدم العناصر اليهودية في المغرب شأنها شأن باقي السلالات والأعراق الأخرى؛ إذ كانت متواجدة في العديد

1 - The Wisconsin Jewish Chronicle , Newspaper, Vol 81,no 21- July 1961.

2 - The Wisconsin Jewish Chronicle , Newspaper, Vol 89,no 20- June 1962.

3-إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العهد السعدي، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء 1987، ص. 34.

4– Monteil (CH) ; « Problème de Soudan Occidental: Juifs et judaïsme » , H, 3 – 4 trimestre. 1976 , p. 270.

من المجالات المغربية، وخاصة في المناطق الأكثر أهمية من حيث مواقعها الجغرافية؛ كالتحكم في الطرق التجارية أو قربها من المواقع المنجمية؛ مثل مناجم الذهب والفضة التي يعتبر اليهود من أمهر محترفيها، نظرا إلى تعاطيهم الكبير لسبك الحلي وصنع المجوهرات الثمينة[1]، ويفسر "دولاشبيل" قدوم اليهود إلى المغرب بسبب الحملات العسكرية التي كان يشنها الرومان ضد شمال إفريقيا، وخاصة بعد التغلغل الروماني في شمال المغرب الأقصى[2]، وإما أن يكونوا من أصول أيبيرية أندلسية؛ حيث ظلوا يتنقلون بين العدوتين لفترات تاريخية طويلة، لكنهم اضطروا لمغادرة الأندلس بعد سقوط غرناطة في يد المسيحيين في نهاية القرن 9هـ/ 15م بعد ما تعرضوا – إلى جانب المسلمين– لكثير من المضايقات والاستفزازات من قبل العناصر الكاثوليكية المسيحية المتشددة، والمدعومة رسميا من قبل الدوائر السياسية العليا في أرغون وقشتالة الإسبانيتين، مما أرغم اليهود على الهجرة نحو المغرب والاستقرار في العديد من مناطقه في الشمال والجنوب، بخصوص الأصل المشرقي لليهود يوضح روجي فوري، أن الهجرة اليهودية للديار المغربية يؤرخ لها بحدث تخريب مدينة القدس على يد "قراقش" عام 70 م؛ حيث تشتت اليهود على إثر هذا الحدث، في مختلف أصقاع الأرض، ومنهم من توجه إلى الشمال الإفريقي واستوطن بعض المناطق في المغرب الأقصى، وخاصة في جنوبه الشرقي[3].

فاق المغرب نظيريه في شمال أفريقيا في جذب اليهود؛ إذ يشير ابن خلدون أن أعدادا كبيرة من اليهود تمركزا مع قبائل البربر التي دانت باليهودية، زمنها فندلاوة ومديونة وغيانة وبنوا فزاز، وفي حكم إدريس الثاني 192هـ/ 807م زاد تعدادهم لما نالوا من حرية، بينما فرض عليهم يوسف بن تاشفين الجزية.

انتهز اليهود المهاجرون فرصة الفتوحات الإسلامية فنزحوا إلى المنطقة، حيث تشير المصادر العربية أنهم استقروا في منطقة فاس قبل بنا المدينة على يد إدريس الثاني ، فقُسمت المدينة إلى عدوتين، عُرفت إحداهما بعدوة الأندلسيين/ والأخرى بعدوة القرويين، حتى أصبحت توصف بأنها أكثر بلاد المغرب يهودا، كما زاد عددهم أكثر في زمن المرابطين، فامتلكوا الثروة والجاه حتى عصر الموحدين، كما حظيت فاس كذلك باهتمام بالغ من يهود الشرق وخاصة من العراق، كما كانت قبلة اليهود في المغرب الأقصى والأندلس.[4]

1 – Meunier (D.J) , Le Maroc Saharien des origines à 1670,Paris,1980. p.227 – 228.

2 - De Lachappelle: « Esquisse d'une histoire du Sahara Oriental du VI au XIV siècle » , H. T.XI , 1930, p.52-53.

3 –Faure (R) , Le Tafilalet: Etude d'un secteur traditionnel d'irrigation , Paris , 1968 , p.111.

4- عبد الرحمان بشير اليهود في المغرب العربي. المرجع السابق. ص 48، 49

بينما ناقش "حييم زعفراني" جوانب عدة في حياة يهود المغرب، حيث بحث انطلقا من نظرية الأصل البربري لليهود التي اعتبرها بعض المؤرخين مسلّمة ثابتة، بينما أنزلها البعض الآخر منزلة الشك والنفي، مثل "H.Hirsberg" الذي بنى نفيه للنظرية على غياب اللغة البربرية في الآداب اليهودية. وعلى الرغم من أن يهود المغرب كانوا في تعليمهم التقليدي في الأوساط البربرية يعتمدون في تفسير النصوص المقدسة وترجمتها على اللغة البربرية، فإن الكاتب ترك أمر البحث في نظرية الأصل للأساطير والأخبار، ومع مجيء الفتح الإسلامي إلى بلاد المغرب، والذي أدرك قبائل مسيحية ويهودية ووثنية، فقد عاملها الفاتحون، ومنهم المولى إدريس الأول، معاملة أهل الكتاب طبقا لقوانين الشريعة الإسلامية، كما ترك المولى إدريس الثاني اليهود داخل أسوار فاس القديم، حتى أسّس المرينيون ملاح فاس الجديد، ولما بنى يوسف بن تاشفين مدينة مراكش سنة 1062م، منع اليهود من دخول المدينة، فظلوا يقيمون في أغمات، يأتون إلى مراكش نهارا لقضاء أغراضهم، ثم يعودون مساء إلى مكان إقامتهم (أغمات). وبخلاف ذلك، سمح أحمد الذهبي السعدي(1578-1603م) ليهود أغمات بالإقامة في مراكش[1].

فتقاطر اليهود على المغرب، وباتوا يشكلون به جاليات وطوائف مهمة كما وكيفا، وهو ما استرعى انتباه أحد الباحثين الذي أكد على الدور الحيوي الذي ظل اليهود يلعبونه باستمرار داخل المنظومة الاقتصادية – وحتى السياسية – المغربية، في مختلف دوله وخاصة في العصور الوسطى.

يعتبر اليهود من بين الأقليات الدينية التي استقرت منذ وقت مبكر في بلاد المغرب العربي)وبعد انتشار الإسلام في حواضره انتفعت تلك الأقلية من روح التسامح التي سادت في مجتمعه، فاختارت عدداً من مدنه سكناً لها على وفق مقتضيات المهن التي مارسوها، وعرفوا بها.

وبحلول العصر المريني (668- 869 هـ)، (1269- 1464م) أشارت اغلب المصادر التي تناولت بداياتهم إلى استقرار اليهود في العاصمة فاس، إذ ذكر ابن أبي زرع لقد أرغم الوزراء اليهود الناس بالضرب والعقاب على اداء الضرائب، ومنحوا اليهود من مهاجري الأندلس امتيازات واضحة في احتكار التجارة في أسواق فاس وبتولي السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني 656هـ، 1258م أنزلهم في حي الملاح الواقع إزاء فاس الجديد بعدما أخرجهم من فاس الإدريسية وكان تاريخ أمر بنائه في اليوم الثاني من شوال سنة 674هـ، 1275م، كان قد بنى مدينة حمص التي أسسها في فاس الجديد المعروفة أيضاً بالملاح والتي أنها قيل اتخذت حياً لليهود،

1 - Haïm Zafrani,Mille ans de vie juive au Maroc Histoire et culture, religion et magie, Paris, 1983, P 36- 41

بخلع السلطان عبد الحق سنة 869 هـ 1464 /م، انتهت الدولة المرينية الذي دام حكمها أكثر من قرنيين من الزمن.[1]

ونظرا إلى الشهرة التي صارت للصناع والتجار اليهود في الصياغة والصيرفة، فإنهم أصبحوا محببين لدى حكام المغرب، ولاسيما بعد ما اتسعت رقعة الدولة واستحكمت سلطة المخزن، فبات الحكام والسلاطين يرغبون في الظهور بمظهر الأبهة والعظمة، إن هذا الطريق الذي شقه اليهود لأنفسهم، مكنهم من الاقتراب من الدوائر العليا للبلاد، بل جعلهم موفوري الحظ وذوي همة عالية، حتى مع أشد الدول تعصبا ضد التواجد اليهودي في المغرب، كما هو الشأن بالنسبة إلى الدولة الموحدية المبنية وفق الفكر التومرتي الموسوم بسمات شيعية واضحة[2]، هذه المكانة حافظوا عليها في ظل الدولة الزناتية؛ إذ أجلهم كثيرا بنو عبد الحق، وعبدوا لهم الطريق للدخول إلى المغرب، نظرا إلى المصلحة المشتركة التي كانت تجمع بين الطرفين؛ لأن حكام بني مرين كانوا في حاجة ماسة إلى العناصر اليهودية لتوظيفها في عدد من القطاعات التي كانوا يرغبون في تنشيطها وإعطائها المزيد من الحيوية والقوة؛ مثل قطاع الأسلحة النارية والمعادن النفيسة وضرب السكة وغيرها[3]، في حين كان اليهود من جهتهم يطمحون في المزيد من الانتشار والتغلغل داخل الأجهزة المخزنية لإثبات وجودهم ودعم نفوذهم اقتصاديا واجتماعيا وحتى سياسيا[4]، إلى درجة أن اليهود صاروا بمثابة سفراء للدولة المرينية لدى الدول الأجنبية،

وبإنهاء التواجد العربي الإسلامي في الديار الأندلسية، والتمكين للمسيحية الكاثوليكية المدعمة رسميا من قبل حكام أرغون وقشتالة، جعل كل الذين هم من غير المسيحيين يتعرضون لعمليات تصفوية قل مثيلها، وخاصة المسلمون واليهود، هؤلاء الذين بدؤوا في النزوح إلى المغرب منذ نهاية 14 م- 8 هـ بأفواج ضخمة فرارا من جحيم حرب الإبادة التي اشتعلت نيرانها في الأندلس في القرن الموالي، " فتم طردهم من إسبانيا سنة 1492 ومن البرتغال 1497"، وذلك بعد ما أعلن المسيحيون الكاثوليك تعصبهم الأعمى لعقيدتهم، فجهروا بتشددهم الأصولي ضد الغير باعتباره مارقا عن الديانة الكاثوليكية، سيما بعد إقامة محاكم التفتيش وتضمينها بنودا قاسية في حق الفئات اليهودية، كرفض تنصر اليهود[5]، وهو ما يعني أن المغرب في عهد السلطة السعدية التي حلت محل النظام الوطاسي، عرف تدفقا يهوديا مكثفا لم تشهد البلاد المغربية مثيلا له حتى مع حدث تدمير القدس.

1- عبد الرحمان بشير اليهود في المغرب العربي. المرجع السابق. ص 53- 55

2- علي مُحَمَّد مُحَمَّد علي الصلابي، إعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحدين،الشارقة،2001، ط1، ص.36.

3- علي ين يوسف الحكيم:" الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة "، م. س. ص. 178.

4- علي ين يوسف الحكيم، المرجع نفسه. 177، 178

5- أحمد عبد اللوي علوي، مدغرة وادي زيز: إسهام في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال العصر الحديث، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1416 هـ / 1996 م. ج 1. ص. 289.

اليهود في الدولة السعدية، كانوا متحكمين في عصب الحياة الاقتصادية للمغرب بسيطرتهم على مادتي الذهب والسكر؛ حيث كانت معاصر السكر تدار اعتمادا على خبرتهم وتجربتهم في المجال الصناعي، فكانت هذه البضائع تجد فيهم التجار المحترفين الذين لهم كامل القدرة على التعريف بالمنتوج المغربي في أقصى المناطق الأوربية[1].

إن السيطرة اليهودية على بعض المناطق في الجنوب المغربي كانت واضحة للغاية، إلى درجة أن بعض القبائل والتجمعات السكانية كانت تدعي اليهودية تقربا من العنصر اليهودي ومخاطبة وده نظرا إلى قوته وثرائه، وبسبب تحكمه في الذهب السوداني، مما كان يشكل عامل طمع بالنسبة إلى الفئات الأخرى غير اليهودية التي كانت تتظاهر بانتمائها لهذه الجلدة[2]، حيث نجد منطقة تافيلالت من أكثر المناطق المغربية استيطانا من قبل اليهود الوافدين على المغرب؛ إذ يؤرخ للتواجد اليهودي في هذه المنطقة الشبه صحراوية بفترات زمنية سحيقة، إلى حد أن اليهودي ناعوم سلوش، أشار إلى كون اليهود استوطنوا تافيلالت منذ القديم، بل كانوا من بين العناصر التي لها قصب السبق للاستقرار في المنطقة الفيلالية، وذلك بدليل أن مصطلح تافيلالت نفسه، هو في واقع الأمر مشتق من إحدى الطوائف اليهودية التي كانت متواجدة بالمنطقة والتي كان يطلق عليها محليا تافيلات Tafilat، إلى جانب طوائف يهودية أخرى كثيرة اشتهرت بالحرف والصنائع والمتاجرة في الذهب والحلي وغير ذلك[3]، فقد تعزز التواجد اليهودي في حوض زيز الأسفل بعد إقامة حاضرته التاريخية مدينة سجلماسة وما ضمته من مغريات للعنصر اليهودي؛ حيث يذكر"صاحب الاستبصار" أن سبب رغبة استقرار اليهود في سجلماسة هو كون هذه المدينة كانت "باب المعادن ومحط التجارة "[4]، هذه المكانة تعززت بشكل لا مرد فيه، عند ما أقام اليهود إمارة خاصة بهم في درعة، هذه الإمارة كان لها تواجد بارز على الساحة السياسية للمنطقة إلى غاية القرن 5هـ/11م[5]، مما يعني أن اليهود الذين استوطنوا المغرب بدأوا يفرضون سيطرتهم على عدد من مناطقه، التي ما زالت مطبوعة بطابع يهودي؛ مثل صفرو والصويرة ووزان من خلال منطقة أسجن، إلى جانب سجلماسة ومنطقة درعة التي أقاموا فيها لنفسهم كيانا سياسيا، حاولوا من خلاله تجسيد التجربة اليهودية في المغرب على المستوى السياسي، إلى جانب التجارب الأمازيغية والعربية.[6]

---

1 –Berthier (P), Les anciennes sucreries du Maroc et les réseaux hydrauliques, Imprimerie francise et marocaine , Rabat , 1966, T.1, p. 227 – 228

2- الشريف الإدريسي، وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية، الجزائر، 1957. ص. 17.

3 – Sleuch (N) , Etude sur l'histoire des juifs au Maroc , Archive marocaine , vol. 4 , 1906 , P. 23.

4- حسن حافظي علوي، سجلماسة وإقليمها، م. س. ص. 147.

5 -Meunié (D. J), op.cit, p.227 – 228.

6-محمد الطالبي وإبراهيم العبيدي، البرغواطيون في المغرب،الدار البيضاء، ط 1، 1999.

على الرغم من سقوط سجلماسة في القرن (8هـ، 14م)، فإن التواجد اليهودي في تافيلالت لم يتأثر بهذا الحدث، بل على العكس من ذلك، فإن العناصر اليهودية مكنت لنفسها في العديد من القصور الفيلالية؛ مثل قصر تابوعصمت، وقصر المامون، والقصر الفوقاني، والقصبة السجلماسية، وغيرها من القصور والقصبات التي ظهرت بالمنطقة، كما نستشف ذلك من خلال المعلومات القيمة التي أوردها ليون الإفريقي في هذا الصدد، وذلك بعد زيارته لتافيلالت في بداية القرن (10هـ، 16م)؛ إذ لاحظ مدى المكانة المتميزة التي أصبح يحظى بها اليهود في هذه القصور[1]؛ بل المد اليهودي صار قويا في القرن (11هـ، 17م)، كما تؤكد ذلك العديد من القصور اليهودية التي بنيت خارج تافيلالت، وخاصة في المجال الواحي الخصب، كما هو الحال في زيز الأعلى الذي احتضن قصرا يهوديا مشهورا يدعى قصر موشقلال[2]، ناهيك عن قصر بني موسي[3]، إضافة إلى الكثير من القصبات أهمها قصيبة "آيت موحى وعلي"، علاوة على مجموعة من الملاحات، مثل ملاح قصر السوق[4]، الذي استمر كمركز يهودي كبير إلى غاية القرن العشرين، فاهتمت به السلطة الاستعمارية الفرنسية وحولته إلى نواة حضرية. مما جعل معظم يهود الجنوب الشرقي يتوجهون إليه، فصارت مورفولوجيته الاجتماعية تتشكل في غالبيتها من العناصر اليهودية، إلى حد أن الفئات العربية والأمازيغية كانت تمتعض من الإقامة في قصر السوق خشية نعتها بالتهود ومخالطة اليهود، كما أن التواجد اليهودي استمر إلى عهد قريب"بمدينة الرشيدية حيث ما زالت دورهم ودكاكينهم وبيعهم ماثلة للعيان، وما زالت بعض بقاياهم حتى العهد الحالي". ومن أبرز هذه البقايا العديد من المقابر اليهودية، أشهرها مقبرتان: "الأولى توجد بقصر موشقلال بالقسم العلوي من مدغرة، والثانية توجد بالقيادة الجنوبية الغربية من مدينة الرشيدية وهو الموضع الذي نهض فيه حي المسيرة الخضراء "[5].

هذا دون إغفال العديد من المقابر المتواجدة في جهات أخرى، وخاصة المقبرة اليهودية في سجلماسة على الضفة اليسرى لوادي زيز قرب مدينة الريصاني، والتي خضعت –وما زالت– للعديد من الترميمات من قبل اليهود الإسرائيليين وغيرهم، الذين ينظمون إليها رحلات سنوية مستمرة، وخاصة في أعياد رأس السنة الميلادية؛ حيث تحظى الآن بحماية أمنية وحراسة دائمة، كما أحيطت بسياجات من الأسلاك الشائكة، وفيها

1- الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، ج2، م. س. ص. 126.

2 – De Foucauld (ch.) , Reconnaissances au Maroc , Paris , 1888 , p , 351.

3-أحمد عبد اللوي علوي، مدغرة وادي زيز، ج1، م. س. ص. 193 – 194.

4- أحمد عبد اللوي علوي، المرجع نفسه. 292- 295

5 - Bel Meki (A) , Variation du parler arabe marocain du Sud (Cas de Tafilalet) , Mémoire Mémoire de D.E.A, en linguistique , Université René Descartes , Paris , Année universitaire 1988 – 1989.

مكان دائم للحراسة على مدار الساعة، كما أنها في توسع مستمر من عام لآخر على حساب مدينة سجلماسة الأثرية.

بينما ناقش "حييم زعفراني" كذلك الوضع الاجتماعي والدينية، فقسم الطوائف اليهودية التي سكنت بلاد المغرب، إلى ثلاث مجموعات إثنية ولغوية، اجتماعية وثقافية، تأتي كالآتي:

- مجموعة استقرت في الشمال :وتتكون من اليهود الذين قدموا من الأندلس والبرتغال، ويتكلمون القشتالية.
- مجموعة تتكلم اللغة العربية :سكنت في جبال البلاد وسهولها.
- مجموعة تتكلم الأمازيغية :سكنت في بلاد الشلوح، وتمازيغت، وسوس.

وعلى الرغم من اختلاف اليهود في اللهجات المستعملة، فإن اللغة العبرية ظلت هي اللغة الأولى للشعائر والتعليم التقليدي، وقد اعتمد الباحث في هذا التوزيع الجغرافي على عدة وثائق مختلفة، منها القائمة الربية المؤرخة في 1728م، وهي قائمة اعتمد عليها عدد من الدارسين بعد أن حققوها وبينوا ما يعتريها من نقص وخلل، فضمنوها الأماكن التي أقام فيها اليهود، وهي: فاس – مراكش – تلمسان – تارودانت – سلا – تافيلالت – غرسلوين – غيريس – دمنات – أيت عتاب – أزاغين – القصر الكبير – تفزا – دبدو – أيت كفرا – مكناس – أمزميز – وجدة – تازة – بوتات الحاج – بويحي – بني عياط – تطوان – صفرو – أزرو.

شهدت اليهودية الأندلسية رخاء واطمئنانا، إذ لعبت هذه الطائفة دور الزيادة في الحياة الاقتصادية والفكرية، لقد أدى سقوط الأندلس إلى توافد يهودها على بلدان المغرب، فوصل مهجّرو (1492-1497) الإسبان والبرتغال في موجات متتابعة، حاملين معهم لغة الأجداد القشتالية وعلومهم وأعرافهم وعاداتهم.

فقد أبدع يهود المغرب في موضوعات شعرية شتى، يمكن تصنيفها على الشكل التالي:

-باقشوت :وهو عبارة عن توسلات وأدعية تعلن بصدق عن علاقة الشاعر بالله والعالم.
-التحنوت :شعر الابتهال، وفيه يعبر الشاعر عن ضيق النفس وطلب المغفرة من الله.
-أهابوت :أناشيد الحب، وفيها يتغنى الشاعر بحب الله لإسرائيل.
-الشعر الصوفي؛ وشعر الوصف.

أما النثر "الميليصاه"، فهو نثر موزون ومسجوع، يراعي فيه الكاتب تقنية "شيبوص": التطريز؛ وكان الأدباء المغاربة يعمدون في مراسلة الأصدقاء إلى الميليصاه.

وإلى جانب ما تم ذكره فقد برعوا في الأدب القبالي، والذي تمركز في جنوب البلاد (سوس – درعة – تارودانت – تافيلالت...)، حيث سادت حركة صوفية هائلة وكان بها نشاط قبالي كبير خصب وخلاق، وإذا

كان الفكر الصوفي موقوفا على نخبة ضئيلة، فإن القبالة كانت تعرف في بعض جوانبها وطلسماتها التي تقارب السحر اهتماما واسعا ونفوذا شعبيا عظيما، ومن الأعلام الذين اشتهروا بالفكر القبالي، نذكر:

-إبراهام الصباغ :أندلسي الأصل، ألف كتابه "صرور هامور: حصن الرخام" في فاس ما بين 1498-1501

-شمعون لابي :ألف كتابا في شرح الزوهار تحت عنوان: "كيتيم باز": "الذهب الإبريز"، كما نظم قصيدة "بار يوحاي" التي أصبحت تنشد عشية السبت، (استقر في فاس بعد نفيه من قشتالة.(

-إبراهام بن موردخاي أزولاي :ولد في فاس، وتلقى تعليما تقليديا وقباليا، استقر في حبرون (الخليل) في بداية القرن السابع عشر، وضع تفاسير وحواشي لدراسة الزوهار.

-موسى بن ميمون الباز :عاش في تارودانت، وألف متاب "مقالات قبالية"، وكل ما يعرف عن هذا الرجل أنه عاش في دبدو شمال شرق المغرب، دفن في تامكروت في درعة، ألف كتابا عنوانه "سفر هملخوت: كتاب الملك"

-إسحاق لوريا الإشكنازي(1572-1543) :، اشتهر بالأسد، وهو مؤسس مدرسة صفد.

وفي أدب الوعظ "دراشاه" وهو عبارة عن دروس تقدم للعامة، وتتضمن تفسيرا لمعنى الكتاب المقدس ولمغزاه التاريخي، وغالبا ما تستمد الخطب الوعظية من التوراة، وخصوصا "الهاكاداه" (الأسطورة) التي تعتمد في موضوعاتها الخيال. ويبدأ التدريب على الخطبة في مرحلة مبكرة جدا، بدءا من احتفال "بار مصواه[1]."

أنشأ الاتحاد العالمي الإسرائيلي الذي كان مقره في باريس أول مدرسة عبرية في تيطوان عام 1863م ثم أتبعها بسلسة أخرى من هذه المدارس في كثير من مدن المغرب، وكان المشرفون عليها يمثلون اتجاه الصهيونية السياسية في مفهومها الشامل، وخدمت هذه المدارس الاستعمار بطريقتين

أولها: أن بعض مديري هذه المدارس ومعلميها كانوا يبعثون تقارير دورية ورسمية إلى باريس تصف اليهود خصوصا وأحوال المغرب عموما وترسم خريطة لأوضاعه، وهي خدمة تصب في مسار الإعداد لاحتلال المغرب.

وثانيها: أن خريجي هذه المدار كانوا هم الأطر الأولى المؤهلة لمساعدة الوافد الجديد (المحتل)، فكانوا كتّابا

1 - Haïm Zafrani,Mille ans de vie juive au Maroc Histoire et culture, religion et magie, Paris, 1983 , P 53- 61

وتراجمة وإداريين، وبلغ منهم مراتب عليا في إدارة المحتل، وبرزت عائلات يهودية استحوذت على كبريات المؤسسات التجارية والمالية، وكسبت الجنسية الفرنسية، وكوّنوا صورة الفوقية التي توجس منها المغاربة من قبل.

إضافة إلى ذلك استقبل بعض اليهود أحد طلائع المحتل الفرنسي التي كانت بقيادة " Charles de Fouculd" الذي أسكنوه الملاح، وساعدوه على التخفي بأن رافقوه في فِجاج المغرب وهو في لباس حبر من الأحبار، يستطلع حال المغرب ويرسم خرائط الطريق التي سينفذ منها عسكر فرنسا.[1]

1- أحمد شحلان، اليهود المغاربة من منبت الأصول إلى رياح الفرقة. ط1. دار أبي رقراق للطباعة والنشر. الرباط، المغرب.2009. ص 16، 17

ثالثا– الديانة المسيحية في بلاد المغرب

أ– دخول المسيحية أرض المغرب

بلاد المغرب القديم مفتوحة جغرافيا على الشرق عبر مصر، وعلى الشمال بحكم العلاقة الاستعمارية التي فرضتها روما على المنطقة، مع سهولة الاتصال عبر البحر باتجاه الشرق أيضا.

بعد الاحتلال الروماني بدأت منطقة شمال أفريقيا تعرف حركة تجارية ، وكما أن للظروف السياسية التي شهدها القرن الأول الميلادي أثره نتيجة الاضطهادات التي مست النصارى الأوائل من قبل اليهود، والحكام الرومان، وكذا ما قامت به السلطات الرومانية في عهد الإمبراطور" نيرون "خلال سنة 70 للميلاد من اضطهاد كبير في القدس والذي أدى إلى تشتيت سكانها عبر مناطق متفرقة، كل ذلك؛ بالإضافة إلى قابلية البعض لتقبل الديانة المسيحية الجديدة.

لم يتم التأريخ للمسيحية إلا من خلال كتابات القديسين الأوائل الذين تميزوا بالثقافة العالية والقدرة على الجدل والإقناع أمثال" ترتليانوس "و "قيريانوس"، وأن أقدم ما ذُكر للمسيحيين في المنطقة يعود إلى اضطهادات 180للميلاد ، وهناك من يذهب إلى أن المسيحية الأولى في المنطقة قد انتشرت بين صفوف الطبقات الاجتماعية السفلى التي لم تجد رغبتها في الوثنية لذلك لم يكن لها صدى عند المؤرخين.[1]

تحدث "ترتليانوس"[2] عن الوجود المسيحي بموريطانيا من قبل، وعند قبائل" الجيتول"، ولاحظ أن المسيحيين كانوا بأعداد كبيرة في عصره، إذ يقول: "نحن أبناء الأمس، نملأ اليوم الأرض وممتلكاتكم من مدن وجزر ومواقع محصنة، وبلديات وضيعات ومعسكرات ومقابر، ومقر قيادة العشرة والقصر ومجلس الشيوخ والفوروم، ولم نترك لكم سوى المعابد، يمكننا إحصاء جيشكم، وأن مسيحيي مدينة واحدة أكثر منكم عددا، إنه بإمكاننا هزيمتكم، بالانفصال عنكم، بلا سلاح ولا تمرد، ولكن بهذا الطلاق البغيض"[3]، وهذا يعني بأن المسيحية كانت منتشرة انتشارا واسعا ببلاد المغرب القديم، أو على الأقل بإقليم البروقنصلية، حيث كان "ترتليانوس "يستقر في مقر القيادة الرومانية آنذاك.

ويعد هذا حدث الاضطهادات الأولى التي مارستها السلطة الرومانية ضد المسيحيين في مدينة "سكيلي"[4]

---

1 -Audollent , Carthage romaine(146AJC-698 JC),éd., A, Fontiémoing ,Paris, 1901, P.443

2- "ترتليانوس، كرينتوس سبتيموس فلورس (Quintus Sybtimus Florens Tertullianus) ، عرف المسيحية نحو سنة 193 م،كان يقيم بمدينة قرطاج حيث سخر معرفته لخدمة المسيحية ويعد من الأوائل الذين كتبوا عن الكنيسة الأفريقية، واجه الاضطهادات التي مارستها السلطة والوثنيون بكتاباته و دفاعه المستميت عن المسيحية وأتباعها، توفي حوالي سنة 225 م – عادل فرج عبد المسيح، موسوعة آباء الكنيسة، ج2 . (كنيسة شمال أفريقيا، دار الثقافة، القاهرة، 1999 ، ص 155- 195)

3 -Tertullien, Apologétiques , XXXVII , pp. 4 – 6.

4- سكيلي: قرب مدينة قرطاج التي اتخذها الرومان مركزا لهم

عام 180 للميلاد؛ نقطة مفصلية في التاريخ المسيحي إذ أن المعلومات التي وصلتنا تؤكد عن بداية ظهور المسيحية في بلاد المغرب القديم كان الذي مع هذه الحادثة، حيث ظهر العداء جليا للمسيحية، وصار المسيحيون يتعرضون لكل أنواع الاضطهاد.[1]

نظرا لغياب الشواهد والأدلة التي تبين العبور المسيحي إلى المنطقة يعد الاضطهاد بداية معرفة الانتشار المسيحي ببلاد المغرب القديم، إذ يجهل تاريخ المسيحية في المنطقة قبل هذه الأحداث، إذ أن الغموض حول انتشار هذه الديانة بقي سائدا خلال القرنيين الأول والثاني للميلاد، والذي نعت بأنه تاريخ أبيض في حركة التنصير.[2]

يرى ابن خلدون والذي يرجح أصل الكنيسة في المنطقة إلى عهد الحواريين، إذ يقول (إن الذي أرسل إلى روما من الحواريين هو بطرس وكان معه بولس من الأشياع ولم يكن حواريا، وعبر إلى أرض السودان والحبشة "متى العشار و"اندراوس"، وإلى أرض بابل والشرق" توماس"، وأرسل إلى أرض إفريقيا " فيلبس"، وإلى أرض برقة والبربر شمعون الكنعاني)[3].

وبالمقابل كان الدين الجديد قد أخذ في الانتشار، بل و كان مسيحيو فلسطين وجنوب أوربا مندفعون ومتحمسون لنشر الدين الجديد .وحسب الكتاب المقدس فإن الليبيين كانوا على اتصال بهذا الدين منذ عهد المسيح عليه السلام، ونجد ذلك في نصوص متفرقة التي تذكر بأن: "بعض الليبيين كانوا في عداد الآلاف الذين آمنوا بالمسيح في تلك الأيام.

ويذهب مؤرخ المسيحية في المغرب القديم" بول مونصو "إلى اعتبار أن بعض المبشرين الذين قدموا من آسيا قد باشروا دعوتهم من داخل البيع اليهودية (les Synagogues) داخل مدينة قرطاج وبعض المدن الساحلية الأخرى، حيث بدأت هذه الديانة تنتشر مشكلة مسيحية محلية بعيدة عن روما، وأن هذه البيع قد شكلت أولى الكنائس المسيحية وظهر تعايش بين الديانتين، حيث وجدت داخل مقبرة يهودية في" جمارت " قبور مسيحية.[4]

وهذا يبين بأن المسيحية الأولى في المنطقة قد احتضنها اليهود ووفروا لدعاتها المجال الذي تنشط فيه في صفوف الأهالي، في الوقت الذي كانت المستوطنات اليهودية منتشرة في المنطقة، حيث وجدت بسيرتا و"سيتيفيس "وآثار أخرى بوليلي التي وجدت بها نقيشة عبرية ترجع إلى القرن الأول للميلاد تذكر ابنة أحد

1 -Hamman (A.), La geste du sang, Paris, 1953, pp. 60 – 62.

2-Aude (B), Les Chrétiens dans L'empire Romain, des Antonins au milieu du **3eme** siècle (180 249), Paris ,1881, p.199

3- عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة. المرجع السابق. ج2 ،، ص ،29

4 -Monceaux (P.) , H.L.A.C, T,1 .Monceaux(P) ,H.L.A.C.,T.,III,(le III ° siècle d'Arnobe a Victorin),éd., Ernest Leroux , Paris, 1905 , p,8-9 .

الحاخامات اليهود أن هذه البيع كانت منتشرة حتى في بعض المناطق الداخلية، مثلها مثل المقابر اليهودية التي ترجع آثارها إلى القرن الأول الميلادي،[1] وكانت المسيحية متصلة بالكثير من تلك البيع اليهودية وكانت الإسكندرية رائجة التجارة وقريبة من فلسطين، وبذلك هيأت منفذا سهلا لهذه الديانة الجديدة، والتي اعتنقتها أعداد كبيرة من الطوائف اليهودية الساكنة في منطقة بحيرة مربوط خصوصا طائفة" الإسينيانس" اليهودية التي تخلت عن الكثير من طقوسها الموسمية، واتبعت حياة التقشف والتزمت.[2]

مدينة" قورينا "مرفأ تجاريا نشطا ومزدهرا كان يلتقي فيه اليهود والفينيقيون مع السكان الأصليين والعديد من الزوار الذين قدموا من منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط، وبلا شك فإن ذلك كان له دوره في نقل هذه العاطفة الدينية الجديدة إلى المنطقة.[3]

وشكلت المنطقة، وخصوصا قرطاج مركزا تجاريا وملتقى للطرق البحرية ليس مع روما التي كانت ترتبط بها ارتباطا مباشرا وحسب، ولكن أيضا مع اليونان ومصر والشرق، فتنظيم الملاحة البحرية كان لها دور اقتصادي وسياسي أيضا بالنسبة لروما ولم يغفل العلاقة مع آسيا الصغرى والإسكندرية ومصر وسوريا، مما شكل وبلا ريب منفذا لترويج المسيحية عبر هذه المنافذ البحرية باتجاه بلاد المغرب القديم.[4]

بالإضافة إلى التجارة و الطرق البحرية كانت المسيحية قد وصلت إلى المنطقة من خلال الرسل والمبشرين، حيث أن أحد القديسين وهو القديس" مرقس والذي حمل التبشير إلى مصر وقورينا، وطالت إقامته ببرقة، وربما جاء فارا من ظلم الرومان واختبأ هناك بأودية وشعاب الجبل الأخضر حتى يهدأ الوضع، ولم يكن الوحيد الذي زار هذه المناطق إذ تبعه العديد من القساوسة والمبشرين الذين اتجهوا إلى مناطق أبعد في إقليم إفريقيا، وكذلك عبر الطريق الساحلي للإسكندرية وطرابلس وقرطاج ، وأن هؤلاء القساوسة بحسب "نسيفور " قد بنوا كنائسة، ويرجح بأن " مرقس " قد جاء إلى المنطقة في حوالي سنة 40 للميلاد وبقي لمدة واحد وعشرين سنة حيث غادر برقة إلى مصر في سنة 61 للميلاد، واستقر بالإسكندرية ليبني هناك العديد من الأبرشيات والكنائس، وبقي هناك لمدة سنتين مشرفا على كنيسة الإسكندرية قبل العودة ثانية إلى برقة التي أنشأ بها أول كنيسة، ولكنه سرعان ما عاد إلى الإسكندرية ليلقى حتفه بها في أفريل 63 م.[5]

ويعد القديس" مرقس "صاحب أحد الأناجيل الأربعة المعتمدة من قبل الكنيسة، وكتب إنجيله باللغة

---

1 -Dominique Arnauld, Histoire du Christianisme en Afrique , les sept (7) premiers siècles, éd.,Kantada , Paris, 1996, p.58

2- إدوارد جيبيون، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية، تر:محمد علي أبو درة، ط2. الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة، 1997 ج 1، ص27 .

3- روبين دانيال، أصول التراث المسيحي في شمال إفريقيا (دراسة تاريخية من القرن الأول إلى القرون الوسطى) تر: سمير مالك، دار منهل الحياة، بيروت، 1999 ، ص47 .

4 -François Décret, Le Christianisme en Afrique du Nord Ancienne, éd., du Seuil ,Paris, 1996, p.21.

5- محمد مصطفى بازامة، ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، مؤسسة تواليت الثقافية ، بلا، تا، ، ص2 .

اللاتينية،[1] بعد أن توسل إليه المؤمنون لكي يترك لهم أثرا مكتوبا عن التعاليم التي وصلتهم شفويا، ولم يكفوا حتى تغلبوا على الرجل، وهكذا سنحت الفرصة لكتابة الإنجيل الذي يحمل اسم" مرقس".[2]

ونقلوا أخبار الرسل وأحضروا معهم نسخا لبعض أسفار الإنجيل والتي نقلوها بأنفسهم، وكانت في معظمها مكتوبة باللغة اليونانية التي كانت مستخدمة في تدوين أولى الكتابات المسيحية في إفريقيا الشمالية.

وساعدت الحركة التجارية في عملية تنقل هؤلاء الرسل من فلسطين إلى بلاد المغرب القديم، وخصوصا قرطاج التي شكلت نواة المد المسيحي الأول في بلاد المغرب القديم، هذا الانتشار الذي كان يزداد من فترة إلى أخرى خاصة على طول الساحل

إن هؤلاء التجار كانوا غالبا ما يمرون على شواطئ إفريقيا الشمالية خلال مراحل سفرهم، وهم متجهين إلى الغرب بمحاذاة البحر المتوسط وغالبا ما تكون مراكبهم محملة بالبضائع المستوردة من قبرص وأورشليم ثم دمشق والإسكندرية، كما أنها تحمل عددا كبيرا من المسافرين، وهؤلاء المسافرون بحسب أعمال الرسل لم يكونوا من التجار وحسب بل من المبشرين الذين كانوا ينتقلون بسهولة ويسر، وشجع ذلك مسيحيي فلسطين وجنوب أوربا على السعي من أجل التبشير.

يرى أحمد توفيق المدني أن المسيحية وصلت إلى شمال أفريقيا مع دخول الرومان للهيمنة على المنطقة من جميع النواحي، فاعتنق السكان المحليون (الأمازيغ) هذه الديانة الجديدة، ورأوا فيها الخلاص من الذل والعبودية والظلم، وفي هذا الصدد، يقول: " ظهرت بالشرق أنوار الديانة المسيحية في أول عهد القياصرة، فاعتنقها جم غفير من الرومان، وتسربت بواسطتهم إلى المغرب، وقدم مبشروها إليه؛ فأعجب البربر بهذا الدين الآمر بالأخوة والمساواة ومكارم الأخلاق، وتسارعوا إلى الدخول في دين الله أفواجا، وأصبحت له بيع صغيرة في كافة أنحاء البلاد المغربية"[3].

يقول ابن خلدون في هذا المقام: " فكان البربر بأفريقية والمغرب قبل الإسلام تحت ملك الفرنج وعلى دين النصرانية الذي اجتمعوا عليه مع الروم كما ذكرناه. حتى إذا كان الفتح وزحف المسلمون إلى أفريقية زمان عمر ﷺ سنة تسع وعشرين، وغلبهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح من بني عامر بن لؤي، فجمع لهم جرير ملك الفرنجة يومئذ بأفريقية من كان بأمصارها من الفرنج والروم، ومن بضواحيها من جموع البربر وملوكهم"[4].

1- محمد أبو زهرة، المسيحية. المرجع السابق، ص4 .

2 - يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، تر.، مرقص داود، مكتبة الحكمة، مصر،199 ، 15 / 1. ص 72 .

3- أحمد توفيق المدني: قرطاجنة في أربعة عصور، طبعة تونس، 1926م، ص:114-117.

4- ابن خلدون، المقدمة. ج 6. ص:126.

من المرجح أن المسيحية دخلت منذ القرن الأول إلى المغرب عن طريق مصر والمشرق ، وما يسجله المؤرخون وأن انتشارها في المغرب يعود إلى القرن الثاني الميلادي، حيث ارتبط دخولها باضطهاد المسيحيين من الأباطرة الرومان الذين كانوا يعتبرون أنفسهم آلهة يعبدون، وبلغ أوج هذا الاضطهاد بالمغرب بين 295 و299 م في عهد الإمبراطور دقلديانوس ,Deocletion حيث سقط المئات من النوميديين والموريطانيين شهداء، في أثناء محاكم التفتيش التي نصبها الأمبراطور المذكور، يصف أحمد شلبي هذا الاضطهاد بقوله: "سجل القرن الثالث صورا من أبشع أنواع تعذيب المسيحيين، وذلك في عهد الإمبراطور دقلديانوس (284 - 305م)، فقد أمر بهدم الكنائس المسيحية، وإعدام كتبها المقدسة وآثار آبائها، وقرر اعتبار المسيحيين مدنسين تسقط حقوقهم المدنية، وأمر بإلقاء القبض على الكهان وسائر رجال الدين وتجريعهم العذاب ألوانا ونفذت هذه التعليمات في جميع المناطق، فامتلأت السجون بالمسيحيين، واستشهد الكثيرون بعد أن مزقت أجسادهم بالسياط والمخالب الحديدية، أو أحرقت بالنار، وقد سمي عصره عصر الشهداء."[1]

انتشرت الأفكار المسيحية بتيارات مختلفة؛ متنافسة تارة ومتصارعة تارة أخرى، فالأريوسيين والدوناتيين من جهة، وأفكار أوغستان من جهة أخرى، يذك ليون الأفريقي في هذا السياق قوله: " وظل سكان البربر وثنيين مدة من الزمن، واعتنقوا المسيحية قبل مولد مُحَمَّد عليه السلام بمائتين وخمسين سنة، ذلك لأن المنطقة التي تقع فيها تونس وطرابلس كانت تحت سيطرة بعض أمراء (بوي وصقلية)، بينما كان ساحل القيصرية وموريطانيا خاضعا لملوك القوط، وفي الوقت نفسه أيضا هرب عدد كثير من الأمراء المسيحيين أمام هيجان القوط، وتركوا بلادهم الجميلة ليسكنوا ضواحي قرطاج حيث كونوا لأنفسهم ممتلكات بعد ذلك. ومن المعلوم أن هؤلاء المسيحيين كانوا على مذهب الأريوسيين ...ولما جاء العرب ليفتحوا بلاد البربر وجدوا المسيحيين يملكون هذه المناطق، فحاربوهم مرارا وأبى الله إلا أن يكون النصر حليف العرب، فهرب الآريون (الوندال) بعضهم إلى إيطاليا، وبعضهم إلى إسبانيا."[2]

فرض تفتيشا عاما لصالح الآلهة الرومانية الوثنية بمقتضى مرسوم 304 وأجبر رجال الدين والأساقفة على تطبيق عملية التفتيش والتبليغ عن المسيحيين وحرق كتبهم، فمن عصا الأمر قتل مثل ما حدث للأسقف مارسولوس – Marculus الذي رفض أمر التفتيش فنقل لقرطاج وأعدم.

وبعد موت الإمبراطور دقلديانوس وجاء بعده الإمبراطور قسطنطين أصدر مراسيم التسامح سنة 307 م، لكن سرعان ما دب الخلاف بتعيين الأسقف "كوسيليوس – Caecillius" على رأس أسقفية قرطاج، الذي تعاون مع محاكم التفتيش، فلاقى معارضة من الدوناتيين، فتدخل الامبراطور وفرضه بالقوة، فعادت

1- أحمد شلبي، مقارنة الأديان- المسيحية- القاهرة 1967. ج 2 ، ص 61

2- ليون الإفريقي، المرجع السابق. ص 68

الاضطهادات للدوناتيين من جديد، يقول جوليان:" وتسبب هذا الموقف من الدولة في انتشار واسع للدوناتية، وتحولت الكنيسة الرسمية المنتصرة إلى هيئة تفتيشية فقامت بطرد الدوناتيين من الكنائس بقوة الجيش التي قتلت العديد منهم، وأمام صمود الدوناتيين ورفضهم سيطرة الإمبراطورية على الكنيسة الإفريقية، وتحوّلهم إلى ثورة وطنية اجتماعية، أصدر الإمبراطور قسطنطين سنة 317 م أمره باعتبار الدوناتيين خارجين على القانون، وأمر الجيش بالدخول للمدن والقرى بالأوراس ومصادرة الكنائس الدوناتية وتسليمها للكاثوليك الرسميين، وكانت أشد المواجهات دموية جرت في مدينة باغاي بالأوراس".[1]

أ- مذاهب مسيحية في بلاد المغرب

وثمة مجموعة من الحركات والمذاهب المسيحية الأمازيغية التي تركت بصمات خالدة في تاريخ تامازغا، ومنها:

1- المذهب الأريوسي:

يعتبر القس الأمازيغي "أريوس" أن المسيح نبيا من أنبياء الله، فقد أرسله إلى الناس لهدايتهم، ونشر الفضيلة والمسيحية السمحة، فلقيت دعوته معارضة شديدة من قبل المسيحية المعددة. وقد انتشر هذا المذهب في شمال أفريقيا وفي مصر، فذاع الصيت هذا المذهب في القرن السادس الميلادي، فنكل الرومان ومسيحيو التثليث بهؤلاء الأريوسيين أو الآريسيين الشهداء تنكيلا شديدا، فاقترفوا مذابح بشعة في حق أتباع أريوس، وقتلوا منهم اثني عشر مليونا. وفي هذا، يقول الرسول ﷺ في رسالته إلى هرقل الروم:" أَسْلِمْ تَسْلَمْ وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْأَرِيسِيِّينَ"[2].

تنسب الآريوسية وهي مذهب مسيحي، إلى آريوس حوالي (260 - 336 م) الذي ولد في قورينا (ليبيا الحاليَّة) وتتمحور تعاليمها المختلفة عن سائر الطوائف في علاقة أقانيم الثالوث الأقدس ببعضها البعض، وطبيعة هذه الأقانيم، وفي العام 325 اعتبر آريوس هرطوقًا في مجمع نيقية الذي عقده الإمبراطور قسطنطين، وكان قد أدين قبلها في مجمع محلي عقد بالإسكندرية عام 316، ومجمع محلي آخر عقد في أنطاكية عام 320 لكن هذه الإدانة لم تكن نهائية إذ تمت تبرئة آريوس عام 335 في مجمع محلي عقد في صور، إثر اعترافه بصيغة قانون الإيمان الخاص بمجمع نيقية موجود مع الأب قبل كل الدهور، وإن لم يناقش أو يذكر تتمة هذه العبارة : مساوٍ للأب في الجوهر. وعندما وقعت بلادُ المغرب تحت حُكم قبائل الوندال الجرمانيَّة، ابتدأ فصل

1 - Ch.A.Julien , Histoire de L Afrique du Nord Paris 1956 , T2. P 219

2- رواه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عباس

جديد من فُصول الصراع الديني، فقد فرض الوندال على الناس مذهبهم الآريوسي الذي يقول بطبيعة المسيح البشريَّة، واضطهدوا النصارى النيقيين وصادروا أملاك الكنيسة وأموالها وحوَّلوها إلى الآريوسيين،[1] ولما استعاد الروم البلاد المغربية من الوندال، أخذت الدولة تعمل على حسم الخلافات الدينية، فاستعاد البيزنطيّون الكنائس المغتصبة، وثأروا من الآريوسيين أشد الثأر، واضطهدوا الدوناتية وكذلك اليهود، ولكنَّ ذلك لم يمنع انتشار مذاهب جديدة مثل النسطورية القائلة بثنائية طبيعة المسيح :الإلهية والإنسانية.[2]

2- المذهب الدوناتي:

تعتبر الكنيسة الدوناتية امتدادا للمذهب الأريوسي إذ تبنت عقيدة التوحيد كما تعتبر من الركائز التي اعتمد عليها لنشر هذا المذهب في شمال إفريقيا وتزامن ذلك مع الاحتلال الروماني، حيث كان لها وللسلطة الرومانية في شمال إفريقيا حضور بارز في التاريخ لا يمكن أن نتغاضاه ولا أن نتجاهله وهذا راجع إلى اختلاف في المعتقدات والأفكار، وبيئة النشأة، وتركيبة الأفراد وغيرها، وتعتبر جملة الخلافات التي دارت بينهم هي القلم الذي خط أحداث هذا التاريخ وقادها بإتقان.

ظهر المذهب الدوناتي في شمال إفريقيا وبالضبط في نوميديا وذلك عندما تبنى الإمبراطور الروماني "تيدوز" العقيدة المسيحية دينا رسميا للدولة الرومانية منذ بداية القرن الرابع فأستغل دوناتوس الفرصة فأسس مذهبا مسيحيا أمازيغيا مستقلا ألا وهو المذهب الدوناتي فأقبل الأمازيغيون على هذا المذهب الجديد للتخلص من نير الاستعمار الروماني ومن الظلم والضيم والعبودية والذل .[3]

وكان للدوناتيين عقائدهم الخاصة في المسيح حيث اعتبر المذهب الدوناتي الأقرب إلى التوحيد وأنه لم يكن إلا امتدادا للمذهب الأريوسي من قبل ، إذ يقول بالطبيعة الواحدة للمسيح ونفي صفة الألوهية عنه، يقول مُحَّد عطا عبد الرحيم في هذا الصدد: " وكان البربر يؤمنون بعدة عقائد أساسية وأقوى عقيدة فيها هي الإيمان بوحدانية الله والإيمان بالمسيح كنبي وليس كإله"[4]، وهذا حتى بعد الاعتراف بالمسيحية كديانة رسمية إلا أنه بقى يخالف تعاليم مسيحية الإمبراطورية ، مما استدعى إلى التصدي للحركة من قبل السلطة ومحاولة القضاء عليها.

عانى سكان شمال أفريقيا جميع أنواع العذاب والتنكيل من طرف الإمبراطورية الرومانية من أجل التخلي

1- أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر. تحقيق :أسعد داغر. ط1. دار الهجرة. قُم، إيران. صفحة 318 .

2- بينز، نورمان، الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة. ترجمة: حسين مُؤنس. لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة، مصر 1950. صفحة 107 .

3 -Le grand (Hervé) , Donatismes .In Encycl Unives paris .1984. p 356

4- مُحَّد عطا عبد الرحيم، عيسى المسيح والتوحيد، تر: عادل حامد مُحَّد، ص 87

عن عقيدتهم، لكن هذا العذاب لم يزدهم إلا إيمانا وتمسكا بعقيدتهم، وهذا ما أدى إلى حدوث مجزرة راح ضحيتها الكثير من رجال ونساء وأطفال مما جعلهم يسمون بالشهداء لتعرضهم لأنواع شتى من الاضطهادات.

ما كادت الكنيسة تنتهي من اضطهاد ملوك الدولة الوثنية عقب ارتقاء الملك قسطنطين عرش الملك حتى بدأت تواجه متاعب داخلية خطيرة، نتيجة ظهور البدع والهرطقات الدينية، انتهت إلى انقسام كنيسة المسيح الواحدة وشوهت صورة وحدانية الروح والفكر والقلب وجعلت الضعف يسري في أجزائها المختلفة.[1]

وهكذا، يبدو لنا أن الحركة الدوناتية قد ساهمت بشكل كبير في تدهور الإمبراطورية الرومانية، واضمحلالها بكل سرعة، ليحل محلها الوندال الغزاة والبيزنطيون العُداة.

ب– شخصيات أمازيغية في المسيحية

1 – البابا فيكتور الأول San Vittore I

بابا الكنيسة الكاثوليكية الرابع عشر وقديس وفق المعتقدات المسيحية، استلم أسقفية روما خلال الفترة الممتدة من 189 وحتى 199، وإلى الآن يحتفلون في 28 يوليو من كل سنة، ارتبط اسم هذا البابا فيكتور الأول بالنزاع الذي قام حول موضوع تاريخ الفصح، فقد كانت هناك جماعات تُصرّ على أن تُعيِّده في 14 أبريل – وهو يوم عيد الفصح اليهودي – حتى لو لم يكن يوم أحد، بينما دافع البابا عن فكرة الاحتفال بذكرى موت يسوع يوم الجمعة وقيامته يوم الأحد،وهو ما سيقرّ رسميًا في مجمع نيقية فاضطر البابا أن يرشقَ بالحرم جماعات آسيا الصغرى هذه لرفضهم الخضوع لقوانين روما؛ فكان هذا أول إجراء يدل على سلطة الكرسي الرسولي العامة.

2 – مارسيل " saint marcel " أو " São Marcelo":

قائد المئة أو نقيب فيلق "تراجان " أمازيغي من طنجة، كان يمقت الوثنية ولا يشارك فيها ، انتهز فرصة الاحتفالات بميلاد الإمبراطور ماكسيميان هرقل، وأعلن بصوت عالٍ أنه جندي من يسوع المسيح ، الملك الأبدي، فأبلغوا حاكم الفيلق " أناستاس فورتونات " فأمر بوضع مارسيل في السجن، وبعد الحفل يمثل مارسيل أمامه، وطلب منه شرحًا للسلوك الذي قام به فأجابه أنه اختار هذا الاحتفال بعيد الإمبراطور، ليعلن أنه

1- بابا شنودة الثالث، الاستشهاد في المسيحية ، نيافة الأنباء بوأنس، ص 117

مسيحيا، وأن يسوع المسيح، ابن الله، أخبره فورتونات أنه لا يستطيع إخفاء مثل هذا التهور ، وأنه ملزم بإبلاغ الإمبراطور ماكسيميان فحُكم عليه الإعدام في 28 تموز 298م بطنجة

3- الأب دونا Donatus:

ولد دوناتوس في شمال إفريقيا إبان القرن الثالث الميلادي، ويعتبر من أهم الزعماء البرابرة الذين واجهوا الرومان بكل ما أوتي من قوة وعلم. وهو أيضا من أهم المدافعين عن العقيدة المسيحية في الوسط الأمازيغي، وهو قس وراهب واعظ في قرية بربرية. وبعد ذلك، صار أسقفا وزعيما دينيا كبيرا في أفريقيا الشمالية، وله أتباع كثيرون يدافعون عن المذهب الذي أسسه نظرية وممارسة. وهو كذلك مؤلف كتاب ديني تحت عنوان(الروح القدس)، يعد زعيم المذهب الديني الدوناتي الذي تشكل في خضم الصراع الكنسي الدائر يومئذ، ولم تظهر الثورة الدوناتية في شمال إفريقيا، وبالضبط في نوميديا،إلا عندما تبنى الإمبراطور الروماني تيودوز العقيدة المسيحية دينا رسميا للدولة الرومانية، انشق دوناتوس عن المذهب المسيحي الذي أراد الإمبراطور الروماني تيودوز فرضه على الشعوب الخاضعة لحكمه، تسبب هذا الانشقاق في مجابهات دموية كثيرة، استمرت تقريبا حتى مجيء الوندال لشمال إفريقيا سنة 439م. وقد انضوى، تحت هذا المذهب، كل الرافضين للسيطرة الرومانية، بما فيهم مذهب (الدوارين) الذي رفع راية العصيان والثورة وشعار التمرد عن الحكومة الرومانية، مات في سجون روما بإسبانيا سنة 355 م.[1]

3- أوغستـان: Saint Augustin

ولد القديس والكاتب الأمازيغي الكبير أوريليوس أغسطينوس أو أغسطين أو أوغستان (Saint Augustin.) في 13نوفمبرمن سنة 354م، من أم بربرية مسيحية اسمها مونيكا، وأب وثني روماني عبارة عن موثق بسيط، كان يسمى باتريسيوس في مدينة "تاگيسته- سوق الهراس" بالجزائر (نوميديا). وقد دافع أوغسطين كثيرا عن هويته الأمازيغية وكنعانيته السامية في رسالة له إلى أهل روما، وكان يقول:" إذا سألتم سكان البوادي عندنا في نوميديا، قالوا: نحن كنعانيون"، ويعني هذا أن لغة أوغسطين هي النوميدية المتأثرة باللغة الفينيقية الكنعانية أو هي الأمازيغية النوبية ذات الجذور الكنعانية. بيدأن ثقافته لاتينية، ولا يتقن من الإغريقية إلا النزر القليل.[2]

1- العربي اكنينح: في المسألة الأمازيغية،أصول المغاربة. ط1. مطبعة آنفو- برانت، فاس، المغرب، 2003م، ص:24.

2 - عز الدين المناصرة: المسألة الأمازيغية في الجزائر والمغرب، دار الشروق، الأردن،الطبعة الأولى، 1999م، ص 80.

تلقى أوغسطين تعليمه في تاگيسته و"مو دوروس- مداوروش حاليا" منذ السادسة عشرة من عمره، وسافر إلى قرطاج ليستكمل دراساته، وبعدها ذلك، انتقل إلى إيطاليا، في مرحلة الغزو اللاتيني لشمال أفريقيا، للتعلم والدراسة في روما وميلانو. وقبل سفره، كان متأثرا بالأفلاطونية المحدثة، وقد تشبع أوغسطين بالمعتقد المسيحي تأثرا بأمه القديسة مونيكا، وتأثر كذلك بأسقف ميلانو القديس أومبرواز(Ambroise) سنة386م، هذا وقد دافع أوغسطين كثيرا عن مبادئ المسيحية الكاثوليكية الرسمية التابعة للكنيسة الرومانية، ووقف في وجه الحركة الدوناتية ذات الملامح الثورية الشعبية. وكان خطيبا وكاتبا من طراز عال، فلم يتح للمسيحية أن رزقت زعيما في مرتبته قط. ومن أهم كتب أوغسطين: اعترافاتي، ومدينة الله، والثالوث المقدس، والنعمة. وتبقى سيرته (اعترافاتي/ Mes confessions) بمثابة البداية الحقيقية للكتابة الأوطبيوغرافية في الفكر الإنساني. استهدفت الكنيسة الكاثوليكية الأمازيغية التي يتزعمها أوغستان نشر العقيدة المسيحية، كما هو متعارف عليها في الكنيسة المركزية الرومانية، بيد أن هذه الكنيسة كانت في خدمة الإمبراطور الروماني قسطنطين، تهادن الحكومة الرومانية في حالات السلم والحرب، وتعطي المشروعية الدينية للمعمرين الأجانب والمرابين وأصحاب النفوذ، وتبرر استغلال الإقطاع الروماني لساكنة نوميديا بصفة خاصة، وشمال أفريقيا بصفة عامة.[1]

4- ترتيليان أو تارتولي أو ترتوليانوس Tertullianus :

ترتوليانوس (Tertullianus) حوالي 160 إلى 240 م من أهم علماء اللاهوت في منطقة تامازغا القديمة وقد تخلى عن عبادة الوثنية، فاعتنق دين النصرانية، ثم تحمس له حماسا شديدا، دعا إلى التمسك بالتعاليم المسيحية القويمة والتخلي عن روح الطبقية الكنسية، قام بتحريض العديد من الناس عن التهرب من الخدمة العسكرية في الجيش الروماني من خلال كتابه "دفاعا عن الدين- Apologeticus "، وكان من خلال كتابه هذا يدعو إلى مجموعة من القضايا الخلقية في ضوء العقيدة المسيحية الجديدة، فدعا إلى العفة والأخلاق الفاضلة، وحارب اليهود وأهل البدع الضالة والمنحرفة.2 وهو مؤلف أمازيغي مسيحي مبكر بونيقي، وأول من كتب كتابات مسيحية باللغة اللاتينية، كان مهماً في الدفاع عن المسيحية ومعاداة الهرطقات، وقد أطلق على ترتليان "والد المسيحية اللاتينية"، و"مؤسس اللاهوت الغربي، ربما أكبر سبب لشهرته إعطاء أول شرح للعقيدة من الأفكار الأخرى التي تظهر في كتاباته "ثلاثة أشخاص أو أقانيم، مادة

1- شارل أندري جوليان، تاريخ شمال أفريقيا، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر،ص:305.

2- محمد شفيق، لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين،دار الكلام، الرباط المغرب، الطبعة الأولى سنة 1989م، ص:79.

واحدة" باللغة اللاتينية " tres Personae, una Substantia " وهي من اليونانية الكوينية " treis Hypostases, Homoousios"، وأيضا عبارة العهد القديم "vetus testamentum " والعهد الجديد"novum testamentum " على الرغم من كونه محافظًا في نظرته للعالم، فقد ابتكر ترتليان مفاهيم لاهوتية جديدة وطور عقيدة الكنيسة الأولى .ربما هو معروف أكثر لكونه أول كاتب باللاتينية يستخدم مصطلح الثالوث اللاتينية "trinitas" وفقًا لموسوعة ستانفورد للفلسفة، "ثالوث ترتليان ليس إلهًا ثلاثيًا، بل هو ثلاثية (triad) أو مجموعة من ثلاثة، والله هو العضو المؤسس تم استخدام كلمة مماثلة في وقت سابق باللغة اليونانية، [a] على الرغم من ذلك فقد قدم ترتليان أقدم استخدام معروف للمصطلح الذي تم دمجه لاحقًا في العقيدة النيقية في المجمع المسكوبي الثاني، ومجمع القسطنطينية الأول في عام 381م، أو العقيدة الأثناسية، أو كليهما، ومن التركيبات اللاتينية الأخرى التي تظهر لأول مرة في أعماله "ثلاثة أشخاص، جوهر واحد" مع ذلك ف "جوهر ترتليان" – الذي تأثر بالفلسفة الرواقية –كان مادة جوهرية لا تشير إلى إله واحد، بل إلى مشاركة جزء من جوهر الأب (الوحيد الذي يعتبر الله الكامل) مع الابن ومع الروح القدس من خلال الابن. وقد كتب فهمه للأعضاء الثلاثة للثالوث بعد أن أصبح مونتانيًا ابتكر منهجا آخر هو "منهج استنطاق النفس" فيبين في كتابه شهادة النفس، أن النفس تنزع بطبيعتها ومن صميمها إلى الدين، وبخاصة في أوقات الشدة فتبدي العواطف الدينية التي فطرها الله عليها اعتنق في آخر حياته مذهب المونتانية، وقد وصف بأنه أول بروتستانتي.[1]

5– أرنوبي الأكبر "Arnobius" :

ولد أرنوبي بنوميديا في منتصف القرن الثالث الميلادي. وقد تنصر في شيخوخته، بعد أن قضى جل حياته في الوثنية. ومن أهم كتبه في هذا المجال (ضدا على الوثنيين Adversus nations)، وقد ألفه سنة 300 ميلادية، متحاملا فيه على الوثنية وعبادة الأصنام، مع التأكيد، في الوقت نفسه، أن الفوز بالنجاة في الدنيا والآخرة لن يتم ذلك إلا بعبادة الله، والإيمان به قولا وفعلا وسلوكا. وقد عُد أرنوبي، في الثقافة المسيحية المتوسطية، من أهم آباء الكنيسة المسيحية وأجلهم؛ لأنه كرس كل حياته لخدمة النصرانية، والتبشير بها، فترك عمله بسبب ذلك ليتفاني في الدفاع عن الدين الجديد، وتقويض أركان الوثنية .

6– مينوسيوس فيليكس:

1– يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصور الوسطي. دار الحياة للنشر والتوزيع. 2008 ص 39، 40.

يعد مينوسيسوس فيليكس من أهم علماء اللاهوت الأمازيغين في شمال أفريقيا، وقد ألف كتابا بعنوان (OCTAVIUS)، وهو عبارة عن حوارات ومناظرات دينية وعقدية، يدافع فيها الكاتب عن المسيحية ضد الاعتراضات المألوفة الموجهة ضد هذا الدين الجديد في تلك الفترة بالذات.

ج- الصراع المسيحي

حدث الانشقاق في الكنيسة الأفريقية منذ سنة 312 م وانقسمت الكنيسة الإفريقية إلى قسمين وشكل الوضع الجغرافي قلعة للحركة الدوناتية، ومنذ الاضطهاد الدقلديانوسي الذي ولد العداء للحكم الإمبراطوري، وظهر أساقفة معادين للإمبراطور قبل مجيء" قسطنطين"، ودلّ على ذلك وجود تطور دل على شعبية كبيرة في منطقة نوميديا ووضعت الدوناتبة موضع قدم في الأوراس، وتمكنت وعلى مدى أكثر من قرن من الزمن من تمزيق التاريخ الكنسي، في فترة مليئة بالجدل الذي لم يعد مقتصرا على المجامع فقط بل صار يثار في المدن .[1]

ولم يكن الاختلاف بين الطرفين خلافا عقائديا، وإنما تعارض بين رجال الدين، وتوجيه اللّوم من أحدهما للآخر على أنه انتخب بطريقة غير شرعية، وعدم الاعتراف بانتخاب "كاسيليانوس "لأنه في نظر الفريق النوميدي منتخبا من طرف الخونة، الذين خذلوا المسيحية أثناء فترة الاضطهاد، وحمل الكتب والجرار المقدسة إلى السلطات الوثنية لحرقها، وبذلك فالحرب بين الطرفين لم تعد بدعة بل انشقاقا.[2]

بدأ الصراع بين المسيحيين منذ مجمع سيرتا في 05 مارس 305 م لسيامة خليفة لأسقفها وذلك بعد موجة الاضطهادات الكبيرة والردة التي حصلت أثناءها، " (Paules) المتوفي" بولس والدعوة إلى كيفية الخروج من هذه الوضعية الصعبة من طرف القساوسة النوميديين الذين رفضوا الإجراءات المتخذة من طرف الكنيسة في التعامل مع القرارات الإمبراطورية الرامية إلى مصادرة الكتب المقدسة وممتلكات الكنائس، ليشكل ببرتوكول سيرتا بداية القطيعة، ويعد هذا المجمع بداية لسلسلة مجامع للكنيسة المنشقة بعد أحداث"أبتينا "التي أثارت الحماسة الدينية وخاصة في نوميديا حيث أصبح نداء ضحايا تلك الأحداث بمثابة الميثاق الديني والاجتماعي الذي التف حوله الأوفياء من المسيحيين.[3]

وحاول أسقف قرطاج في الكنيسة الرسمية تهدئة الوضع بالتقليل من حماسة النصارى المقاومين، و الذين لم يكونوا مكترثين من الموت، فأرسل شمامسته إلى المدن والقرى بهدف إقناع الناس بضرورة التريث، وعدم الحكم على بعضهم بالكفر لأن ذلك من اختصاص المجمع الكنسي في قرطاج وروما، لكن بعثاته قوبلت بالرفض

1 -Martial (Doűel) , l'Algérie romaine (forums et Basiliques) , Société d 'éditions Géographiques, Paris, 1930 , p. 30 .

2 -Gautie (E.F.), op-cit.,p .286.

3- شارل أندري جوليان ، المرجع السابق، ص296 .

وعدم الاستجابة وثار أساقفة نوميديا في وجه" منصوريوس "واتهموه بالخيانة.[1]

مع نهاية سنة 312 م وبداية 313 م وصلت أخبار الانشقاق إلى روما، فراسل الإمبراطور البروقنصل "أنولينوس " من أجل ترتيب لقاء إصلاح ما بين الطرفين المتنازعين واتصل "أنولينوس" "بكاسيليانوس " وبالكاثوليك، وكان المسعى هو تحقيق وحدة دينية، في الوقت الذي راسل الإمبراطور الأسقف" كاسيليانوس " مباشرة في قرطاج وأخبره بتقديم مساعدة مالية مخصصة للكنائس الأفريقية وأبلغه بالإجراءات المتخذة من أجل تحويلها وتوزيعها على المتضررين، كما وعده بدعمه ضد المحرضين على الاضطرابات، وحثه على طلب مساعدة من الحكام في حالة الحاجة، وألح الإمبراطور على البروقنصل وكاهن أفريقيا" باتريسيوس" بتقديم المساعدة لكاسيليانوس ضد المنشقين(Patricius) .[2]

ظهرت القطيعة بعدما دعمت روما" منصوريوس "وساعدت "كاسليانوس "أثناء الانتخاب مما أثار موجة من الاحتجاجات، والرفض و منها ما صدر عن أساقفة نوميديا، في الوقت الذي صارت فيه القطيعة حقيقة واقعة ونهائية بعد الأحكام التي أصدرها مجمع روما عام 313 م، ومجمع" آرل"سنة 314 م، وأحكام الإمبراطور" قسطنطين "سنة 316 م والتي ردت على المحتجين ودانتهم ونُعتوا بالغدر بأساقفة قرطاج "منصوريوس "و"كاسيليانوس "، والذي عد انتخابه شرعيا، وساهمت الأحكام الصادرة عن مجمعي روما و"آرل "ضد الدوناتيين من جهة، وتدخل الإمبراطور إلى جانب "كاسيليانوس"ضد المنشقين من جهة أخرى، في زيادة تكريس الخلاف، واتهام الكنيسة الكاثوليكية بالردة.[3]

واعتبر الدوناتيون في نظر الدولة خارجين عن القانون وتحالفت السلطة مع الكنيسة ضد الدوناتيين الذين زادت شعبيتهم في الوسط المحلي ورفضوا سياسة الإخضاع التي أرادت السلطة فرضها عليهم بعد مجمعي روما و"آرل"، وبذلك أعلنوا العداء للسلطة التي ستمارس ضدهم اضطهادا قاسي ، خاصة وأن الإمبراطور كان يهدف من وراء مجمع" آرل "إلى البحث عن صيغة نهائية لدمج الكنيسة في الدولة وتجنيد رجالاتها ومبادئها لدعم السلطة، وخلق تلاحم ما بين الإمبراطورية والشعوب الخاضعة .[4]

وبسياسته الجديدة التي انتهجها بعد انتصاره على"ماكسمانس"، انحاز"قسطنطين "إلى صف "كاسيليانوس" الذي ظهر بأنه المستفيد في إفريقيا من الجود والكرم الإمبراطوري ودعم بإطلاق حملة من الإجراءات التي تحولت إلى أحكام، وبدا واضحا أن السلم سيستغرق وقتا طويلا لتكريسه وتجلت الأحكام

1- محمد البشير شنيتي ، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 ، ص288 .

2 -Monceaux(P.) , H .L.A.C.,IV , p . 200 .

3 -Brethier(André), L' Algérie et son passé… p.124 .

4- محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم،(بحوث ودراسات)، دار الحكمة، الجزائر، 2003 ص180 .

الصادرة من محاكم الإمبراطور من خلال حملة النفي والمصادرات والمضايقات سنة 317 م.[1]

وأقر الإمبراطور بأمر صادر في 317 م، بضرورة إعادة الكنائس التي استولى عليها الدوناتيون إلى الكاثوليك، مما أدى إلى رد فعل معاكس، وتحولت الكثير من الكنائس للدوناتين حتى في قرطاج، واتهمهم خصومهم بأنهم كانوا يستخدمون العنف في السيطرة على تلك المعابد، وأن أعدادهم الكبيرة كانت تستخدم العصي والأكفان أثناء الأقداس ، ويقول" القديس أوغسطس "مدافعا عن الكنيسة الكاثوليكية الرسمية"-:نحن نمثل كنيسة الله، الكنيسة الكاثوليكية والمنتشرة في كل الجهات ويضيف بأن المسيح يوم ولد أمره الرب أن يطلب ما يشاء ويعطيه وراثة الأمم، ويبسط له الملك في أطراف الأرض وهي إشارة واضحة إلى أمرين:

الأمر الأول وهو تحميل الدوناتيين العنف وحدهم، واتهامهم باستخدام الإرهاب في عملية السيطرة على المعابد، في حين نجد أن روما هي التي تملك القوة العسكرية خاصة في قرطاج.

والأمر الثاني هو تكفير الدوناتيين وبأنه لا يحق لهم إدارة الكنائس لأنها للكاثوليك وحدهم بالرغم من أن الدوناتيين ظلّوا يرفضون هذا اللقب، ويصفون أنفسهم بالكاثوليك خاصة وأن الأحكام كانت قاسية عليهم، بعد حكم "قسطنطين "الداعم لقرار ميلانو في 10 نوفمبر316 م التي صرحت بان" كاسيليانوس "أُفتُرِي "(Eumeluis) وبالاعتماد على شهادة الكاهنة" اوميليوس عليه من طرف أعدائه، وأن انتخابه كان شرعيا ومقبولا، وبأنه الأسقف الوحيد والشرعي لقرطاج[2].

التزمت الحركة الدوناتية المعادية للسلطة بمبادئ المسيح الأولى وتمسكت بذلك مستخدمة تاريخ اضطهاد السلطة كسلاح أقوى لمقاومة الإمبراطور، الذي سعى إلى استغلال المسيحية للأغراض السياسية، والعمل على إفراغها من محتواها الأخلاقي والاجتماعي، واعتبروا أنفسهم الممثلين الحقيقيين للدين المسيحي، أما المنشقين الحقيقيين فهم إتباع الكنيسة الرسمية الكاثوليكية.[3]

توسعت الهوة بين الطرفين و وصلت إلى المواجهة بين طرفين، ومن ذلك:

أحداث "باغاي"[4] و دورها في إذكاء الصراع 347 م حيث جرت أحداث دموية نتيجة للعنف المتواصل بعد مرسوم الإمبراطور الذي أراد تطبيقه باستخدام العنف الدموي بواسطة " ماكاريوس " الذي مارس حملة اغتيالات في مدينة باغاي بعدما رفضت الحركة الدوناتية سياسة الإمبراطور القائمة على منح الصدقات للسكان لامتصاص غضبهم وقام" دوناتوس" بتحويل "باغاي" إلى معقل للمقاومة، وجعل من كنائسها مخازنا للحبوب.[5]

---

1 -Brisson(J.P),op-cit.,p.p.309-310.

2 -Monceaux(P.) ,H.L.A.C.,IV, p.197.

3- محمد البشير شنيتي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية، ص29 .

4- باغاي: تقع حاليا قرب مدينة خنشلة

5- محمد البشير شنيتي ، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية، ص 298

كذلك ردود الفعل الانتقامية، تحول العنف الذي مارسته السلطة الزمنية المتحالفة مع الكنيسة الكاثوليكية إلى عنف مضاد من طرف الدوناتيين الذين بدءوا في الاستيلاء على ممتلكات خصومهم الكنسية بالقوة والتي كانوا يعتبرونها مدنسة ولا يحق لهم العبادة فيها إلا بعد القيام بغسلها بل غسل جدرانها وكشط أخشابها وتكسير الجرار المقدسة فيها، وكان ذلك خصوصا في موريطانيا ونوميديا حيث كان الدوناتيون يمحون أي أثر كاثوليكي .[1]

وتم طرد الكثير من الكاثوليك من كنائسهم وتعرضوا للأذى وعُنفت النساء وأُرهب الأطفال، بحسب الرواية الكاثوليكية، والتي تشير إلى أن الدوناتيين كانوا يستخدمون كلابا في ذلك.[2]

ألقى مسيحيو شمال أفريقيا أنفسهم في أتون المحن والبلايا غير آبيهين بشكل مذهل للعواقب وارتفع عددهم إلى المئات بل إلى الآلاف أولئك الذين ثبت أنهم يعانون الأمرين بسبب التزامهم الإيمان بالمسيح.

ولقد أعلنوا سرورهم وغبطتهم ليكونوا هكذا وماتوا مبتهجين فرحين بعد أن رفضوا بصراحة وبشكل قاطع أن يقربوا التقديمات لآلهة روما ولم يرتضوا لأنفسهم أن يقسموا بقدرة الإمبراطور الإلهية لقد كانوا واثقين من المبدأ الذي أرسوا عليه أقدامهم فقد آمنوا تماما وبشكل راسخ بأنهم اكتشفوا الحق كما اقتنعوا بشكل أكيد أن المسيح هو بالحقيقة الله التجسد الذي جاء من السماء ليكون" نور العالم"، إنهم آمنوا بما قال لهم سيدهم ووثقوا بأن طريق المسيح هو الأفضل، لقد رأوا الفرق بأم أعينهم كانوا يفتخرون بمسيحيتهم كما أن إخلاصهم لم يسمح لهم بأن يتفوهوا بالكذبة العظيمة المطلوبة منهم ولم يكن لهم أبدا أن يعبدوا الإمبراطور الروماني ربا وإلها.[3]

د- تفاعل الأمازيغيين مع المسيحية:

يمكن تحديد هذا التفاعل من خلال مستويين: الأول اجتماعي/ ثقافي والثاني سياسي.

– المستوى الاجتماعي والثقافي: ويتجلى في الظروف التي كانت تمر منها المستعمرات الرومانية والفراغ الروحي الذي نتج عن محاولة روما لفرض عقائد معينة على المستعمرات، كانت نتائجه العودة والتمسك بالمعتقدات المحلية والفراغ الروحي الذي ساد العديد من مواطنيها، وهو ما يمكن استنتاجه من خلال الواقعة الواردة بالإصحاح الثامن والعشرون من سفر أعمال الرسل حيث أن السفينة التي اقل عليها بولس لمحاكمته بروما عن مسيحيته تعرضت للغرق فتحطمت بإحدى شواطئ ليبيا، يقول الإصحاح: (ولما نجوا وجدوا أن الجزيرة تدعى مليطة فقدم أهلها البرابرة لنا إحسانا غير المعتاد، لأنهم أوقدوا نارا وقبلوا جميعنا من أجل المطر الذي أصابنا ومن اجل البرد، فجمع بولس كثيرا من القضبان ووضعها على النار، فخرجت من الحرارة أفعى ونشبت في

1 -Monceaux(P.) ,H.L.A.C . III . p. 23 , 24

2 -Monceaux(P.),, « l'église Donatiste avant Saint Augustin »,,,p.51. 6

3- روبين دانيال، أصول التراث المسيحي في شمال أفر يقيا، دراسة عن القرنين الأولين، ص 131

يده. فلما رأى البرابرة الوحش معلقا بيده، قال بعضهم لبعض: لابد أن هذا الإنسان قاتل، لم يدعه العدل يحيا ولو نجا من البحر». فنفض هو الوحش إلى النار ولم يتضرر بشيء ردي وأما هم فكانوا ينتظرون أنه عتيدا وينتفخ أو يسقط بغتة ميتا. فإذ انتظروا كثيرا ورأوا أنه لم يعرض له شيء مضر، تغيروا وقالوا هو إله)[1].

من خلال حكم السكان الأمازيغيين على بولس نلاحظ ثقافتهم الشعبية ومعتقداتهم البدائية، وكيف اعتبروه في الأخير إله.

– المستوى السياسي: إذ كانت مسألة اعتناق المسيحية كشكل من أشكال مقاومة المستعمر، فعندما حاربت روما المسيحية، اعتنقها الأمازيغيون بكثافة، وعندما تبنتها روما كدين للدولة، ظهر من بين النصارى الأمازيغيين زعماء روحيين أعلنوا انشقاقهم عن الكنيسة بروما، كرد فعل سياسي ضد الاستعمار.

في القرن الخامس والسادس والسابع الميلادي،عرف العالم المسيحي انشقاقات وصراعات، ولقد بدأ هذا التفسخ على أشدّه في اختلاف العقيدة وتباين تعاليم بعض الشيع والهرطقات التي كانت بين المسيحيين بلغت هذه الصراعات والمشاجرات الدينية من عنف واضطهاد وإرهاب حول القضايا اللاهوتية والتي كانت بدايتها في عهد "جان تروجليتا Jean Trojlita " الحاكم البيزنطي في المغرب والفتنة التي عرفت بالفصول الثلاثة " chapitre Trois " الذي أدى إلى انشقاق الكنيسة الإفريقية عن بيزنطة، وتوالت الصراعات المذهبية في القرن السابع والأخير للتواجد المسيحي في المغرب وكانت آخر أزماتها على إثر ظهور المذهب الجديد القائل بالإرادة الواحدة للسيد المسيح وهو المذهب الذي عُرف "بالمونوثيلية –Monothelisme"، الذي صاغه راهب من آسيا الصغرى يسمى " يعقوب البرادعيbaradias Jacabas" فأدى هذا الصراع إلى ثورة الأهالي على الإمبراطور وإنكارهم لمذهب المونوثيلية وقد كان شخص يقود ثورة الأهالي ويحرضهم ويدعي مكسيموس" Maximus "، وكان كبير راهبنة آريزوبوليس " Chrysopolis " وكان هذا الأسقف خطيبًا ثوريًا، عميق التأثير في النفوس، ومن هنا أخذت حملات المعارضة تأخذ منعرجًا آخرًا تمثلت في انعقاد مجامع قرطاج ورسائل توجه إلى البابا والإمبراطور وإلى كبير الأساقفة، وإلى انعقاد مجامع دينية ، وكل هذا تنديدًا ومعارضة لأفكار سرجيوس وعندما لم تكن أسقفية إفريقية تنصف الحلول فإنها طالبت بإسقاط الإمبراطور.[2]

– المسيحية في بلاد المغرب بعد الفتح الإسلامي

وصل الإسلام إلى منطقة المغرب بعد سلسلة من الحملات العسكرية التي خاضها الفاتحون المسلمون تتوجت بفتحها، وأثناء وصول عقبة بن نافع إلى الشمال الإفريقي (بين 681 م و683 م) بدأ تقلص

1- سفر أعمال الرسل، 28:

2- عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، العصر الإسلامي . دار النهضة العربية للطباعة والنشر . بيروت 1981 ، ج2.ص: 71- 77

الكنيسة القديمة في الشمال الإفريقي والمغرب بينما كان في الشمال الإفريقي في القرن الثالث الميلادي نحو ثلاثين مجمع كنسي إفريقي وما يقارب ستمائة أسقف في عهد القديس أوغسطنيوس حيث تراجعت المسيحية بشكلٍ كبيرٍ حتى اختفت كليا من كافة أنحاء المغرب وفق الرأي التقليدي، ويُعتقد أن سبب تراجع واختفاء المسيحية في إفريقية كان بِسبب عدم وجود رهبنة قوية متماسكة تضم حولها شتات النصارى الأفارقة، كما أن الكنيسة الإفريقية كانت حتى زمن الفتوح الإسلامية ما تزال تعاني من آثار الاضطرابات بينها وبين كنيسة القُسطنطينيَّة ومن الحركات والثورات التي قام بها الهراطقة، لهذا، يبدو أنَّ بعض الأفارقة والبربر المسيحيين وجدوا في الإسلام مُنقذًا لهم من تلك التخبطات التي عانوا منها، ويبدو أنَّ بعضهم الآخر كان يعتنق المسيحيَّة ظاهريًّا فقط، وما أن سنحت لهُ الفُرصة حتَّى ارتدَّ عنها. اضطهدت الخلافة الأموية العديد من المسيحيين الأمازيغ في القرنين السابع والثامن، والذين أجبروا على التحول ببطء إلى الإسلامي.[1]

أ- المسيحية في ليبيا

المسيحية في ليبيا هي ثاني أكبر الديانات، ويعود الانتشار العلني للمسيحية في المنطقة إلى أواخر الحكم الروماني وبداية الحكم البيزنطي، واعتنق العديد من السكان خاصةً من الأمازيغ الديانة المسيحية وقد بُنيت الكنائس على مساحة المنطقة، وأنتجت المنطقة العديد من الشخصيات الذين كان لهم تأثير كبير في العالم المسيحي، بما في ذلك الإنجيلي "مرقس" و"سمعان القوريني" و"آريوس" و"سينيسيوس" و"فيكتور الأول" و"إسطفانوس الليبي"، لكن بدأ الانتشار المسيحي بالانحسار مع وصول الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي.

بحسب التقاليد الكنسية المتوارثة فإن القديس مرقس هو مؤسس الكنيسة القبطية ولذلك تسمى "الكنيسة المرقسية". القديس مرقس هو أحد الرسل السبعين الذين اختارهم يسوع وأطلقهم لنقل البشارة. وقد ورد ذكره في سفر أعمال الرسل كأحد مرافقي القديس بولس في أنطاكية وقبرص، وأحد أتباع القديس بطرس وتلامذته، ومن ثم هو أيضًا كاتب الإنجيل الثاني في العهد الجديد والمنسوب لشخصه عن ذكريات نقلها إليه بطرس، أصل القديس مرقس غير معروف، وإن كانت بعض التقاليد وبعض كتابات آباء الكنيسة تعيده إلى مدينة برقة في ليبيا، وصل القديس مرقس إلى الإسكندرية حسب ما يتفق عليه المؤرخون الأقباط حوالي

1 - The Disappearance of Christianity from North Africa in the Wake of the Rise of Islam C. J. Speel, II Church History, Vol. 29, No. 4 (Dec., 1960), pp. 379-397

عام61 ، ويرجع البعض الآخر ذلك لعام 55 ، قادمًا من ليبيا حيث بشّر هناك أولاً بعد أن عاد من روما على ما يذكر ساويرس بن المقفع في كتابه "تاريخ البطاركة ".[1]

كان أول أقاليم المغرب دخولا في المسيحية إقليم برقة ابتداء في القرن الثاني الميلادي ثم أخذت المسيحيَّة بالانتشار بين الأفارقة في برقة وطرابلس وإفريقية، إذ يشكل تاريخ المسيحية فيها جزء من تاريخ المسيحيَّة في مصر، إلى أن أصبحت من مراكزها الرئيسيَّة، وقامت فيها الكنائس، ولاقت هذه الديانة قبولاً بين سكان البلدات والعبيد وبعض الفلاحين. وبرز في تلك الفترة الأسقف "سينيوس" من بلاغراي (مدينة البيضاء حاليا)، والذي كتب في اللاهوت والخيمياء والشعر والنثر، وكان من الأساقفة المتزوجين.[2]

تولت أبرشية غرب بنتابوليس القديمة الإشراف على التجمعات القبطية في العديد من البلدان، والتي كانت جزءًا من الكنيسة القبطية الأرثوذكسية لعدة قرون حتى القرن الثالث عشر، وكانت المسيحية في ليبيا خلال العصور الوسطى وعصر النهضة مقتصرة على التجار القادمين من البندقية، وجنوة، وجنوب إيطاليا، وفي سنة 1510 م احتل الإسبان طرابلس ثم منحها ملك إسبانيا وإمبراطور الرومانية المقدسة شارل الخامس إلى فرسان القديس يوحنا "فرسان مالطا" سنة 1535 م، وانتهى الحكم المسيحي لطرابلس وضواحيها مع وصول الأتراك العثمانيون، وتعد كنيسة "سيدة الملائكة" في طرابلس والتي بنيت في عقد1645 أقدم الكنائس في البلاد.

بقيت ليبيا تحت حكم الدولة العثمانية إلى اية عام 1911 أي شنت مملكة إيطاليا الحرب عليها واستولت عليها كمستعمرة، وتم تشجيع المستوطنين الطليان على القدوم إلى ليبيا منذ عام 1911 وحتى اندلاع الحرب العالمية الثانية، إذ شهدت الطائفة الكاثوليكيَّة نموا كبيرا في تلك السنوات تحت مظلة الكم الإيطالي، حيث تم بناء العديد من الكنائس الجديدة لصالح الجالية الإيطالية المتنامية، في أواخر عشرينيات القرن العشرين، تم بناء الكاتدرائيات الكاثوليكية في طرابلس وبنغازي، وكانت كاتدرائية بنغازي الأكبر في شمال أفريقيا، وتركز الكاثوليك في الساحل حول مدينة طرابلس وبنغازي، وكانت الأقليّة التي تتبع المذهب

1- إيريس حبيب المصري، قصة الكنيسة. المكتبة القبطية، ص.21 . بتاريخ 15 أيار 2011.

2- مؤنس، حسين، تاريخ المغرب وحضارته من قُبيل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر. ط1. الدار السعودية للنشر والتوزيع. جدة، السُعودية. 1990. ص 66.

الكاثوليكي أكبر الأقليات الأجنبية المسيحية في ليبيا إبان الاحتلال الإيطالي للبلاد وقد وصلت أعدادهم إلى 140 ألف قبيل الاستقلال، وتضاءلت تلك الجالية تدريجيًا مع طرد بقايا الاستعمار في بداية السبعينيات من القرن العشرين، إلى جانب الجالية الأرثوذكسية القبطية أكبر الجاليات المسيحية الديانة في ليبيا وأغلبهم من العمالة المصرية الوافدة، الكنيسة الروسية الأرثوذكسية والكنيسة الصربية الأرثوذكسية والكنيسة اليونانية الأرثوذكسية، أما الجالية الكاثوليكية معظمهم من المنحدرين من أصول إيطاليّة ومالطية والذي يعود تواجدهم في ليبيا إلى الاحتلال الإيطالي، بالإضافة إلى العمال الأوروبيين في الشركات والممرضات الأوروبيات في المستشفيات الليبية، وكذلك يوجد عدد أقلية من الأنجيليكان وأغلبهم من المهاجرين الأفارقة.[1]

ب- المسيحية في تونس

يرتبط التاريخ المبكر للمسيحية في تونس ارتباطًا وثيقًا بشخص ترتيليان، الذي ولد من أبوين وثنيين تحول للمسيحية في قرطاج في سنة 195 ميلادي وأصبح قريبًا من النخبة المحليّة، والتي حمته من القمع من قبل السلطات المحليّة، وهو أول من كتب كتابات مسيحية باللغة اللاتينية، كان مهمًا في الدفاع عن المسيحية ومعاداة الهرطقات بحسب العقيدة المسيحيّة، ربما أكبر سبب لشهرته صياغته كلمة الثالوث وإعطاء أول شرح للعقيدة، بعد فترة ترتيليان، اتخذت المسيحيّة طابعًا أفريقيا أمازيغيا في المنطقة، حيث حاول عدد من المفكرين المسيحيين من الأمازيغ مثله تقديم إيمانهم بشكل له المزيد من النظام والعقلانية مستخدمين صفات ثقافة عصرهم؛ نبع ذلك من إدراك أنه إن لم ترد الكنيسة البقاء كشيعة على هامش المجتمع يترتب عليها التكلم بلغة معاصريها المثقفين[2]، الذين نشروا مؤلفات مشابهة حوالي العام 180م أمثال مؤلفات الدفاع "هبرابوليس"، "أبوليناروس" و"ميلتون" وجهوها للإمبراطور "ماركوس أوريليوس"، و"أثيناغوراس" و"مليتاديس" ، وقد ساهمت الشخصيات المثقفة مثل: "أوريجانوس"، "ترتليان"، و"قبريانوس القرطاجي" في تسهيل دخول المسيحية ضمن المجتمع السائد.

بدأ تنظيم الكنيسة الإفريقيَّة في منتصف القرن الثالث الميلاديّ على يد القدِّيس "قبريانوس القرطاجي"، وانتشرت المسيحيَّة بين كثير من أهالي البلاد الذين كانوا يلتمسون المبادئ التي تُحقق لهم ما يصبون إليه من سيادة العدل والإنصاف، وقد تعارضت التعاليم المسيحيَّة مع المفاهيم الرومانيَّة القائمة على تأليه الأباطرة

1 -History of the Catholic Church in Libya : على موقع 2013 ديسمبر 31.

2- جورج مينوا، الكنيسة والعلم، ط1. دار الأهالي، دمشق 2005، ص.81

وعبادتهم إلى جانب آلهة روما، واستشعرت الإمبراطورية بالخطر لما رفض النصارى الالتحاق بالجيش الروماني والمشاركة في حُروب الدولة، فقام الإمبراطور "ديكيوس " وطلب في سنة 250م من جميع رعاياه أن يُعلنوا عن وطنيَّتهم بإعلانهم التمسك بالديانة الوطنية والتنصُّل من كل العبادات الأُخرى وخاصةً المسيحية والمانوية.

وصلت المسيحية إلى تونس منذ العصور الأولى لانتشارها على يد مبشرين عبروا إليها من فلسطين والدول المجاورة فاعتنق العديد من السكان خاصةً من الأمازيغ الديانة المسيحية وقد بُنيت الكنائس على مساحة المنطقة، وأنتجت المنطقة العديد من الشخصيات الذين كان لهم تأثير كبير في العالم المسيحي، بما في ذلك "أرنوبيوس" و"ترتليان"، و"قبريانوس القرطاجي"، و"كودفولتداوس القرطاجي"، و"فولجانس دي روسبي"، وبدأ تنظيم كنيسة قرطاج في منتصف القرن الثالث الميلادي على يد القدِّيس "قبريانوس القرطاجي"، وانتشرت المسيحيَّة بين كثيرٍ من أهالي البلاد، لكن بدأ الانتشار المسيحي بالانحسار وعدد المسيحيين ينخفض مع وصول الفتوحات الإسلامية إلى تونس بقيادة عقبة بن نافع حوالي سنة 681م، واختفت الجماعات المسيحيّة الأمازيغية التونسيَّة في القرن 15م.

أُعيد إحياء المسيحية في تونس مرّة أخرى في القرن التاسع عشر مع قدوم عدد كبير من المستوطنين والمهاجرين الأوروبيين، وكانت تونس موطناً لعدد كبير من السكان من أصول فرنسيّة وإيطالية ومالطية مسيحية، ولعل أبزر الشخصيات من هذه الفئة الاجتماعية جوزيف رافو وزير الخارجية لدى المملكة التونسية زمن المشير "أحمد باي الأول"، وقدّرت أعداد المسيحيين في تونس بحوالي 250 ألف نسمة غداة الاستقلال بعد 20 مارس 1956، إلا أنه عقب استقلال تونس هاجرت أعداد كبيرة من مسيحيين واليهود المنطقة بسبب سياسة التأميمات التي تعرضوا لها.

تتواجد اليوم في تونس تجمعات من المسيحيين غالبيتهم من أصول أوروبية حيث أن العديد منهم متعهّدون أو موظّفو شركات عالميّة، ويعود وجودهم في البلاد إبان الاحتلال ويتجمعون في العاصمة أو المدن الكبرى، أغلبية مسيحيو تونس هم من الكاثوليك، إلى جانب بعض البروتستانت، وهناك أيضًا مجموعات من المسيحيين المواطنين التوانسة اعتنقت المسيحية وهي أم عربية أو أمازيغية.

تمكن القائد الأموي حسان بن النعمان من دخول مدينة قرطاج بعد حصارها حيث قام بهدم أسوارها، ولم يبق من مدينة قرطاج إلا قرية صغيرة تعرف في المصادر العربية باسم "المعلقة" أو "قرطاجنة المعلقة"، وكان في مدينة تونس أسقفية وفي مركز المدينة كانت توجد بازيليكا القديسة " أوليفيا " حيث قام حسان بن النعمان

باتخاذ مسجد جوارها الذي ما لبث أن وُسّع على حسابها ليأخذ سمها مترجماً إلى العربية " جامع الزيتونة " وذلك زمن ولاية عبيد الله بن الحبحاب، ولم تنقرض المسيحية من البلاد مباشرةً حيث كان الديانة الأولى في البلاد، وظل الأمر كما هو إلى القرن العاشر.[1]

بقيت المسيحية في زمن حكم الولاة العباسيين على إفريقية الديانة الأولى في المنطقة حيث صنف البابا "أدريان الأول" (772 -795م) في إحدى رسائله كنيسة شمال إفريقيا من بين الكنائس الحية مثل "كنيسة إسبانيا" الأندلس، وكنيسة "إيطاليا" وكنيسة "بلاد الغال" فرنسا، وهذا ما يفسر سماح الوالي العباسي على إفريقية "الفضل بن روح المهلبي" تأسيس كنيسة في القيروان سنة 794 م ، ويؤيد هذا أيضا ما ذكره القاضي عياض في المدارك نقلا عن أبي الحسن القابسي أن كنيسة القيروان زمن سحنون كانت كنيسة بارزة ورؤسائها كثر.[2]

مع حلول القرن العاشر أي مع تأسيس الخلافة الفاطمية لم يبق من عشرات الأسقفيات في شمال إفريقيا سوى بضعة أسقفيات موزعة على كامل مجال إفريقية، ويرجّح العديد من الباحثين أن ذلك كان بسبب ثورة صاحب الحمار العنيفة، ويذكر ابن الصغير أن الرستميين قرّبوا مسيحيي مجانة إلى عاصمتهم تاهرت حيث ازدهرت كنيستهم هناك إلى سقوط الدولة الرستمية حيث قاموا بالهجرة مع من بقي من أمرائها إلى مدينة ورقلة واستقروا هناك طيلة القرن العاشر ولما أسس الحماديون دولتهم واتخذوا القلعة عاصمة لهم وذلك سنة1007 م انتقلت هذه الجماعة المسيحية للعيش هناك طيلة ما يزيد عن نصف قرن ليهاجروا بعد ذلك إلى مدينة بجاية، ويرأس هذه الأسقفيات رئيس أساقفة قرطاج زمن القائم بأمر الله الفاطمي.[3]

في القرن الثالث عشر والقرن الرابع عشر، بدأ المذهب الروماني الكاثوليكي بالانتشار بين الأمازيغ المسيحيين، وعلى الرغم من استمرار الأمازيغ المسيحيين في العيش في تونس ونفزاوة في جنوب تونس حتى أوائل القرن الخامس عشر، إلا أنهم لم يعترفوا بالكاثوليكية الجديدة. وعلى عكس الشرق الأوسط، بدأت

1 - Valérian, Dominique. Islamisation et arabisation de l'Occident musulman médiéval (VIIE-xIIE siècle). Paris: Éditions de la Sorbonne2015. 131 .–149 .

2- القاضي عياض. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. ط 2. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب. 1983 ج4 ، ص 83.

3 - Prevost, Virginie. "Les dernières communautés chrétiennes autochtones d'Afrique du Nord". Revue de l'histoire des religions. 2007.P. (461 – 483)

الأرثوذكسية المسيحية في الاختفاء تدريجياً في القرن الحادي عشر في المنطقة المغاربية. وأصبحت المجتمعات المسيحية المغاربية معزولة وأصغر من أي وقت مضى. واختفت الكنيسة في القيروان في تونس.

بقي الأمر على ماهو عليه زمن دخول العثمانيين للبلاد سنة 1574م بالنسبة للتجار والقناصلة الذين مازال عدد فنادقهم يزيد مع تقدم الزمن، أما الجنود المرتزقة فلا نعلم عن مصيرهم شيء بعد قدوم العثمانيين، وفي سنة 1772م، تم ضم الولاية الرسولية بتونس إلى إدارة المندوبية الرسولية بالجزائر، قبل أن يتم رفعها إلى المندوبية الرسولية بتونس مستقلةً بذلك عن إدارة أسقفية الجزائر وذلك سنة 1843 زمن البابا غريغوري السادس عشر، وتم خلال هذه الفترة (1624- 1843م) تأسيس كنيسة الصليب المقدس بالمدينة العتيقة بتونس وكنيسة الطوباوي "أنطوان نايرو" وعديد المصليات. وفي سنة 1696م بنى " رمضان باي" كنيسة القديس جورج" الإنجليكانية" بتونس خارج أسوار المدينة عند باب قرطاجنة من أجل دفن جثمان أمه "مريا" الإيطالية زوجة والده "مراد باي الثاني"، وأعاد بناءها بعد ذلك المشير أحمد باي بشكلها الحالي سنة 1848م.[1]

وبعد الاحتلال الفرنسي لتونس واستقرار الوضع فيها، عادت المسيحية للانتشار مجددا، فبعد تولي الكاردينال " لافيجري" لمنصبه قام مباشرة بالشروع في بناء كاتدرائية القديس لويس "والقديس سبريانوس" على هضبة "بيرصا بقرطاج" والتي تم تكريسها رسميا ككاتدرئية لرئاسة أسقفة قرطاج يوم 15 ماي 1890، مباشرة بعد الانتهاء من بناء كاتدرائية قرطاج .، وضع الكاردينال لافيجري يوم 19 ماي 1890، حجر أساس "كو-كاتدرائية" أي كاتدرائية مساعدة للكاتدرائية الأم "القديس فنسون دو بول والقديسة أوليفيا" بتونس وكانت رئاسة أسقفية قرطاج منقسمة إلى ثلاثة جهات : قرطاج وتونس وصفاقس.[2]

اثر استقلال البلاد يوم 20 مارس 1956 تقلص النشاط الكنسي بعد رحيل الكثير من المسيحيين مع المحتل، وانفصلت الطوائف عن بعضها، وهي اليوم ثاني أكبر الديانات، ويصل عدد المواطنين المسيحيين إلى حوالي 35 ألف نسمة، وهم من الناطقون بالعربية ويتألف المجتمع المسيحي من السكان الأصليين من العرب والأمازيغ، وأيضًا من المنحدرين من أصول أوروبية وينتشر المسيحيون التوانسة في جميع أنحاء تونس[3]، حيث

1 - Hamilton, The Christian World, 174.

2- François Dornier. Les catholiques en Tunisie au fil des jours Imprimerie Finzi.2000 .P 167.

3 -International Religious Freedom Report 2010: Tunisia. United States Bureau of Democracy, Human Rights and Labor (November 17, 2010)

يأتي الرومان الكاثوليك في مقدمة الطوائف المسيحيَّة بأكثر من 30 ألف مواطن كاثوليكي عام 2017، وتشرف عليهم أبرشية تونس والتي يرأسها المطران "إيلاريو أنطونيازي"، وتشرف هذه الأبرشية على حوالي اثني عشرة مكان عبادة منتشر في جميع أنحاء البلاد.[1]

ج- المسيحية في الجزائر بعد الفتح الإسلامي

يعود تاريخ دخول المسيحية لشمال أفريقيا إلى العصر الروماني، ثم شهدت تراجعا في الفترة الفوضوية بسبب الغزوات، لكنها عادت بقوة في العصر البيزنطي، و قد حظيت مقاطعة نوميديا باهتمام دعاة المسيحية الأوائل فأنتجت المنطقة العديد من الشخصيات الذين كان لهم تأثير كبير في العالم المسيحي، بما في ذلك أوغسطينوس وهو أحد آباء الكنيسة البارزين وأمه مونيكا و"دوناتوس" و"ماريوس فيكتورينوس" و"ماكسيميليان" و"أليبيوس الطاغاسطي" و"فيكتور موريس" و"زينو الفيروني"، ثم بدأت تختفي بالتدريج بعد الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي، وصمدت بعض الجماعات المسيحية الأمازيغية في البلاد حتى القرن الخامس عشر[2].

تحالف الإدارة الرومانية والكنيسة المركزية ضد المذهب الدوناتي إلى أن أصبح المذهب رمز المقاومة الشعبية، وازداد انتشاره بِزيادة انتشار الفقر والبُؤس بين الأهالي الذين ثاروا ضد الحكومة والطبقة الغنية، ودعوا إلى المساواة، وحاولت الحكومة مجادلة أصحاب هذا المذهب، فكان القديس أوغسطين ألد أعدائه، حيث شهّر به وهاجم أساليبه العنيفة، وأباح للدولة استعمال العنف ضدَّ أصحاب هذا المذهب لِكسر شوكتهم وإعادتهم إلى حظيرة الكنيسة النيقيَّة. لكنَّ النتيجة جاءت عكسيَّة، إذ تحالف الكادحون والفُقراء مع الدوناتية، واستمر الصراع إلى وفاة دونات سنة 355م، واتخذ شكل الثورة الوطنية في طرابُلس ونوميديا إلى سنة 375م.

أستمر أوغسطين ابن طاغاست في محاربة المنشقين عن الكنيسة الوطنية والهراطقة حتى انتصرت الكنيسة الإفريقية على أعدائها، ورغم ذلك فقد استمرت بعض جماعات الدوناتية إلى القرن السادس الميلادي .

1 -"Tunis Latin (or Roman Archdiocese) [Catholic-Hierarchy]" مؤرشف من www.catholic-hierarchy.org . 2019 اطلع عليه بتاريخ 18 مايو.

2 - Deeb, Mary Jane. "Religious minorities" Algeria (Country Study). Federal Research Division, Library of Congress; Helen Chapan Metz, ed. December 1993

ولما استولت قبائل الوندال الجرمانية على بلاد المغرب ، بدأ فصل جديد من فصول الصراع الديني، فقد فرض الوندال على الناس مذهبهم "الآريوسي" الذي يقول بطبيعة المسيح البشرية، واضطهدوا النصارى النيقيين وصادروا أملاك الكنيسة وأموالها وحوَّلوها إلى الآريوسيين، ولما استعاد الروم البلاد المغربيَّة من الوندال، أخذت الدولة تعمل على حسم الخلافات الدينيَّة، فاستعاد البيزنطيّون الكنائس المغتصبة، وثأروا من الآريوسيين أشد الثأر، واضطهدوا الدوناتيَّة وكذلك اليهود، ولكن ذلك لم يمنع انتشار مذاهب جديدة مثل النسطورية القائلة بثنائية طبيعة المسيح؛ اللاهوتية والناسوتية[1].

في القرن التاسع عشر بعد احتلال فرنسا للجزائر أُعيد إحياء المسيحية في الجزائر مرة أخرى، بقدوم عدد كبير من المستوطنين والمهاجرين الأوروبيين والذين أطلق عليهم لقب المعمرين، وانحدر أغلبيتهم من أصول فرنسية أو إيطالية أو إسبانية أو مالطية، فهدمت العشرات من المساجد، وحولت بعضها إلى كنائس وبعضها إلى إسطبلات، فحولت جامع كتشاوة مباشرة بعد 1830 إلى كاتدرائية القديس فيليب، وفي 1839 حولت جامع البليدة إلى كنيسة كاثوليكية، وأطلقت العنان للمبشرين لتحل المسيحية الراعية لمصالح المحتل محل الإسلام، فإلى سنة 1854 شيدت الدولة الفرنسية في الجزائر 60 كنيسة ومعبدا، و16 مؤسسة دينية، منها 37 كنيسة كاثوليكية، ومعبدين بروتيستانيين، وخصصت ميزانية لها، وفي القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، انتعشت المسيحية في الجزائر فبُنيت الكنائس والمدارس والمؤسسات المسيحية، ودخل عدد من السكان المحليين المسلمين إلى المسيحية خصوصًا في المدن الكبرى.[2]

ولما استقر الأمر للمحتل في الجزائر قطع معظم المسيحيين القاطنين فيها منذ الجيل الثاني، صلتهم مع أوطانهم الأم بعد ا، استولوا على الأراضي والممتلكات، ومنحتهم فرنسا الجنسية فأصبحوا مواطنيها، وتجذروا في الأرض وبنوا بيوتًا وقرى وكنائس إلى جانب أو وسط التجمعات السكنية العربية، وقد نقلوا معهم إلى وطنهم الجديدة كل تقاليدهم الاجتماعية والفكرية ومؤسساتهم الثقافية والدينية، حيث كانت الكنيسة قد نظمت خدمنها تجاه رعاياها في الجزائر، ومارست نشاطاتها الدينية والاجتماعية والثقافية بصورة طبيعية وقد كان توجه الكنيسة كاثوليكياً فرنسيًا للوافدين من إتباعها من الأقطار كاثوليكية لارتباط الفكري والمعنوي بكنيسة فرنسا،

1- نورمان بينز. الإمبراطورية البيزنطية. تر: حسين مؤنس.لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة – مصر. 1950. ص 103 -107.

2- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي. ط1. دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان. 1998. ج6. ص 105- 112

فأنشأ الكاردينال الكاثوليكي "شارل مارسيال لافيجري" في عام 1868، جمعية تبشيرية في الحراش عُرفت باسم " الآباء البيض- Pères Blancs"، وسبب تسميتهم بهذا الاسم أنهم قرروا أن يلبسوا أردية بيضاء بهدف التناغم مع البيئة الاجتماعية، فأُطلِق عليهم هذا الاسم، وكان الآباء البيض ينشطون بين مناطق الأمازيغ، وفي مدينة وهران حيث أنشئوا مدارس كاثوليكيَّة ضمن أنشطة أخرى[1].

ركز الأسقف الأول للجزائر "ديبيش" نشاطه التنصيري على المدن الكبرى كالجزائر، وقسنطينة، و وهران، لكن بتولي الأسقف الثاني بالجزائ "لويس انطوان أوغسطين بافي" مهامه بين عامي (1846-1866م)، حرص على تلبية احتياجات المستعمرين الفرنسيين الذين يعيشون في المدن الكبرى كالجزائر العاصمة، حيث كان مسئولا عن بناء كاتدرائية "السيدة الإفريقية"وعمل على تحويل العرب إلى الكاثوليكية،كما حاول تدارك الخسارة التي مني بها سابقوه، فقرر الخروج لتنصير القرى والمداشر وأعماق الجزائر.[2]

وقد بدأت البعثات التبشرية بين الأمازيغ في منطقة القبائل بمبادرة من الكاردينال لافيجري في عام 1870 الذي قاد حملة تبشيرية في منطقة القبائل الجبلية، فأنشأ مدارس ومراكز لاحتضان المتحولين للمسيحية وأبنائهم وتوفير مناخ اجتماعي مريح لهم وتربيتهم على مبادئ الديانة المسيحية، ما سمح بتشكيل نواة صلبة لمجتمع مسيحي في المنطقة، يعود سبب تنامي ظاهرة التنصير في أوساط الجزائريين بشكل مضطرد، في بداية القرن العشرين ظهرت الجمعيات الرياضية الكاثوليكية للشباب في الجزائر الفرنسية " Patronages d l'Algérie française" لأول مرة في المدن الكبرى في شمال الجزائر وكانت مخصصة أساسًا للشباب الأوروبيين في الجزائر.[3]

1 - Marcel Emerit, "Le problème de la conversion des musulmans d'Algérie sous le Second Empire : LE CONFLIT ENTRE MAC-MAHON ET LAVIGERIE". Revue Historique. 1960.223 (1):P 63–84.

2 - Christian Delorme,L'émir Abd-el-Kader à Lyon: 12-13 décembre 1852. Lyon: M. Chomarat. 2008. P 59

3- كريمة ديرش سليماني، "مسيحيو منطقة القبائل 1873 – 1954" دراسة تاريخية وأنثروبولوجية عن الحركة التبشيرية في منطقة القبائل. معهد البحث والدراسات حول العالم العربي والإسلامي".نسخة محفوظة 27 سبتمبر 2016.

في عام 1901 قدم القس "شارل دو فوكو" إلى الجزائر أقام أولا في بني عباس بالقرب من الحدود المغربية، حيث بنى صومعة يها باسم "الأخوية"، فيما بعد انتقل للعيش مع الطوارق في تمنراست في جنوب الجزائر حيث توجد بها جبال الهقار، حيث اختار منطقة "أسكرام " للعيش ونشر المسيحية بين الطوارق فقضى عشر سنوات يدرس لغة الطوارق وتقاليدهم وثقافتهم. وتعلم اللغة الطارقية وشرع في تأليف قاموس للمفردات وقواعد اللغة بترجمة فرنسية، وصار القاموس معروفا من بين القواميس الأمازيغية الأخرى، كما صاغ "شارل دو فوكو" فكرة تأسيس معهد ديني، والذي أصبح حقيقة فقط بعد وفاته، تحت اسم "أخوة يسوع الصغار".

في حين وحسب العديد من الإحصائيات المختلفة يتراوح عدد البروتستانت في الجزائر من أصول أمازيغيَّة أو عربيَّة في الجزائر حوالي 100 ألف، في الفترة الأخيرة زاد عدد معتنقي الديانة المسيحية سواء بسبب العاملين الأجانب المتوافدين على الجزائر أو المسلمين الذين اعتنقوا الديانة المسيحية. أهم التجمعات المسيحيّة البروتستانتية تتواجد في منطقة القبائل، ويقيم المسيحيون البروتستانت في الغالب في مدن مثل الجزائر العاصمة، وبجاية، وتيزي وزو، وعنابة، ووهران.[1]

أنشأت الكنيسة الكاثوليكية في الجزائر المستشفيات والمدارس والكنائس والمقابر، تحت وصاية وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائرية التي تتولى منح رواتب رجال الدين المسيحيين الجزائريين الذين حصلوا على الجنسية الجزائرية بعد الاستقلال، وبعد تحويل كاتدرائية القديس فيليب إلى جامع كتشاوة وأكتمل بناء الكاتدرائية "القلب الأقدس" في الجزائر العاصمة في عام 1965، أصبحت مقر أبرشية الجزائر، لتصبح الكاتدرائيَّة الحاضنة لأبرشية الجزائر، يتوزع أتباع هذه الطائفة على أبرشية الجزائر وأبرشية وهران (كاتدرائية "القديسة مريم" الكاتدرائية المسيحيَّة الرئيسية في مدينة وهران) وأبرشية قسنطينة وأبرشية الأغواط.[2]

قدّرت أعداد المسيحيين الكاثوليك في الجزائر بأكثر من مليون نسمة كانت نسبتهم تمثل أكثر من 12% من سكان الجزائر عشية استقلال الجزائر في 5 جويلية 1962، أغلبهم ينتمي إلى أبرشية وهران، وأبرشية الجزائر، وأبرشية قسنطينة، وأبرشية الأغواط، وعقب استقلال الجزائر هاجرت اعداد كبيرة من كاثوليك الجزائر مع تعرضهم موجات العنف للتضائل أعدادهم في البلاد، وفي عام 1993قدرَّت شعبة البحوث

1 - Report on International Religious Freedom: Algeria.2018

2 - Maurice Borrmans, Tendances et courants de l'islam arabe contemporain: Egypte et Afrique du Nord. Mainz.1982 . P 251

الاتحادية أعداد الكاثوليك بالجزائر بحوالي 45 ألف شخص، تتكون الجماعة الكاثوليكيَّة في الجزائر من بقايا الأوربيين الذين لم يغادروا البلاد بعد الاستقلال، بالإضافة إلى جماعات مسيحية جديدة تكونت منذ 15 سنة الأخيرة، وهي جماعات تتكون من الطلبة الأفارقة الوافدين للدراسة في الجزائر، وهم من حوالي 30 دولة أفريقية، كما أن هناك جماعات مسيحية جديدة تكونت خلال السنوات الخمس الأخيرة تتكون من بعض العمال الأوربيين للشركات الفرنسية والأوربية العاملة في الجزائر[1].

د- المسيحية في المغرب الأقصى بعد الفتح الإسلامي

خلال القرون اللاحقة للفتح الإسلامي، ظلّت بعض المناطق النائية، تضم جيوباً صغيرة من المسيحيين، ويتجه الرأي المعاصر، بالاستناد إلى بعض الأدلَّة، إلى القول بأنَّ المسيحيَّة الإفريقيَّة صمدت في المنطقة الممتدَّة من طرابُلس إلى المغرب الأقصى طيلة قُرونٍ بعد الفتح الإسلاميّ، وأنَّ المسلمون والمسيحيّون عاشوا جنبًا إلى جنب في المغرب طيلة تلك الفترة، ويبدو أنَّ المسيحيَّة استمرَّت في إفريقية على الأقل حتَّى العصرين المرابطية والموحدية في القرن الحادي عشر كان هناك سبعة وأربعون أسقفية في المغرب واختفت الجماعات المسيحيّة الأمازيغية في تونس والمغرب والجزائر في القرن الخامس عشر [2].

وصل عدد كبير من المسيحيين إلى مكانة اجتماعية مرموقة في عهد المُرابطون؛ وأصحاب لهم نفوذ وجاه، وحظوا برعاية الدولة خاصة في عهد علي بن يوسف، حتى إن إحدى الوثائق المسيحية أكدت أن تعلُّقه بالنصارى فاق تعلُّقه برعيَّته، وأنه أنعم عليهم بالذهب والفضة وأسكنهم القصور، وشارك المسيحيين المسلمين في استغلال المرافق الاجتماعية حيث سمح لهم باستقاء المياه مع المسلمين من بئر واحدة، ونظرا للتسامح الديني معهم سمح للمسيحيين بالخروج مع المسلمين في صلاة الاستسقاء، وحرص الأمراء المرابطين على حفظ الحقوق الاجتماعية للمسيحيين والضرب على أيدي كل من حاول المس بهم، وخصصت لهم الدولة المرابطية مقابر خاصة، تماشيا مع عاداتهم وتقاليدهم في دفن موتاهم وتعرف هذه المقابر باسم مقابر الذميين، ورغم أن المسيحيين كانوا يرتدون لباسا خاصا بهم، إلا أنهم كانوا يلبسون أزياء المسلمين، ويعد الأمير علي بن يوسف،

---

1 -" Pieds-noir" :ceux qui ont choisi de rester, La Dépêche du Midi, March 2012 نسخة محفوظة 20 2017 سبتمبر

2- مُحَمَّد الفاسي و إيفان هربك، تاريخ أفريقيا العام- أفريقيا من القرن السابع إلى القرن الحادي عشر- إصدارات اليونسكو. ط2. مؤسسة حبيب درغم وأولاده، بيروت. 1997 مج 3. ص82.

المولود من أم مسيحيَّة، أول من استخدام الروم وأدخلهم المغرب، حيث لم يقتصر استخدامهم على العمل في الجيش بل تعدى إلى مجالات أخرى كجباية الأموال من سكان الجبال في المغرب [1].

كان عدد الأوروبيين المسيحيين المقيمين بالمغرب عند نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين محدودًا، فكانوا في سنة 1830 حوالي 250 شخصًا منهم 220 في طنجة، ثم ارتفع العدد إلى 700 في سنة 1858، ثم 1,400 في سنة 1864، فصاروا 3,000 عام 1884، ليصلوا إلى 10 ألاف في عام 1910 دون احتساب قوات الغزو والاحتلال الفرنسية والإسبانية وسكان مدينتي سبتة ومليلية .كما قدم عدد من المسيحيين اللبنانيين، الموارنة منهم على وجه الخصوص، الذين استقدمتهم الكنائس المسيحية المستقرة في طنجة، في جانفي 1924 وصلت أعداد المسيحيين في المغرب إلى حوالي 88 ألف شخص؛ قطن 11 ألف منهم في طنجة وحوالي 40 ألف في مدينة الدار البيضاء، وفي سنة 1927 وصل عدد الكاثوليك في المغرب حوالي 100 ألف وقبيل الاستقلال وصلت أعداد الكاثوليك وحدهم إلى 550 ألف إلا أنه عقب استقلال المغرب اضطّر عدد كبير من المسيحيين ورجال الدين الهجرة بسبب أعمال العنف.[2]

أسست أول مطبعة عربية إسبانية بتطوان والتي أسسها الأب " ليرشوندي " عام 1867 كما أسس عام 1877بطنجة مستشفى وإعدادية للذكور ومعهدًا لتعليم العربية للمبشرين الفرنسيسكان بتطوان، ورغم وجود مبشرين مسيحيين بالمغرب بين 1839 و1847 فإن البروتستانت والأنجليكان إنما ظهروا بالصويرة منذ 1875 وفي عام 1900 كان بالمغرب سبع جمعيات تبشيرية موزعة على مركزا بفاس ومكناس وصفرو ومراكش، وفي عام 1921بلغ عدد المبشرين اثنين وثلاثين موزعين في بركان، الدار البيضاء، وجدة، كرسيف، القنيطرة، مراكش، الجديدة، مكناس، الرباط، آسفي وغيرها. ولم تخف البعثات المسيحية منذ 1915 رغبتها في تنصير المغاربة، مستعينة بأمثال "ميشو بيلير"، ومن هنا بدأ الشعور بضرورة تمسيح الأمازيغ المتمردين الذين لا يمكن استيعابهم إلا بتمسيحهم، وقد كان للأستاذ ماسينيون دور في ذلك، فقد تشجعت الكنيسة بتنصر "مُحَّد ابن عبد الجليل" عام 1928 مما فسح المجال للظهير البربري، وبرنامج الإصلاحات المغربية

1- إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ط1، دار الطليعة، 1998م، ص 74.

2 - De Azevedo, Raimondo Cagiano, Migration and development co-operation.Council of Europe. (1994) . p. 25. 20 أكتوبر 2017 على موقع .

عام 1934 مما حدا الكنيسة إلى مضاعفة نشاطها التمسيحي عام 1935، في خدمة المعمرين الاستعماريين.[1]

وعشية استقلال المغرب تراجعت نسبة المسيحيين في المغرب منذ استقلال المغرب عن الاستعمار الفرنسي والإسباني عام 1956وكان المغرب يضم آنذاك أكثر من 200 كنسية كاثوليكية وأكثر من 300 ألف مسيحي، وتحولت بعض الكنائس إلى مساجد أو مراكز ثقافية ، وبدأت بعد الاستقلال (1956-2005) مرحلة الحوار أو التسامح وقد بلغ عدد المسيحيين في أسقفتي الرباط وطنجة حوالي 478,000 نسمة أي 5.2% من عدد السكان؛ علمًا أنه عقب استقلال المغرب اضطّر عدد كبير من المسيحيين خصوصًا من الأقدام السوداء ورجال الدين إلى الهجرة. ثم تقرر عام 1983 وضع نظام رسمي للكنيسة المسيحية بالمغرب في رسالة وجهها الملك الحسن الثاني يوم 30 ديسمبر 1983 إلى البابا يوحنا بولس الثاني، من المسيحيين المغاربة الذين اشتهروا في بداية القرن العشرين :الأب جون مُحَمَّد بن عبد الجليل، والمبشر مهدي قصارة.[2]

وبحسب كتاب "حقائق وكالة الاستخبارات الأميركية عن العالم" بنسخته الصادرة العام 2014 ، تشكل المسيحية في المغرب أقل من 1% ، هي ثاني أكبر الديانات، وتشمل هذه الأرقام والنسب كل من السكان ذوي الأصول الأوروبية والمقيمين الأجانب والمهاجرين من دول أفريقيا جنوب الصحراء والمغاربة المتحولين للمسيحية.

1 - Jamaa Balda ,& Vincent Feroldi "Présence chrétienne au Maroc :XIXème-XXème siècles" , préface de Brahim Boutaleb.Ed : Bouregreg , Rebat. septembre 2016 . P 46- 90 .

2 - Présence chrétienne au Maroc. P 53

المحور الرابع– الإسلام في شمال إفريقيا

أولا– الفتح الإسلامي لمصر

كان أغلب المصريين قبل الفتح الإسلامي يدينون بالمسيحية، وكانت مصر في طليعة البلدان الشرقية التي وصلتها إليها المسيحيَّة في القرن الأول الميلادي، وانتشرت تدريجيا في جميع أنحاء البلاد في القرن الثاني، والقلة الضئيلة من المصريين تدين باليهودية، و وجودهم في مصر قديم، يرجع إلى زمن النبي يوسف عليه السلام ، وقد وردت قصة انتقالهم إليها وخروجهم منها في التوراة والقرآن، ويظهر بأن جمهرة من اليهود عادت إلى مصر آتية من فلسطين خِلال العهد البطلمي، فاستوطنت الإسكندرية وضواحيها، إذ أن المصادر التاريخيَّة العائدة لتلك الفترة تنص على تمركزهم في هذه النواحي.[1]

استأذن عمرو بن العاص من الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بالسير إلى مصر لما فيها من قوة وعون للمسلمين، وتأمين حدود الدولة من الناحية الغربية، ومازال يلح عليه حتى أذن له بقصدها، وعقد له على أربعة ألاف رجل، فتوالت انتصارات عمرو وأخذ بفتح المدينة تلو الأخرى، وكان أو أول حصن لمصر شرقا هو الفرماء "بلوسيوم"، ومن سيناء إلى حصن بابليون إلى الإسكندرية آخر معاقل الروم المسيحيين، وأصبح واليا عليها، وقام بتأمين حدود مصر الغربية بفتح برقة وطرابلس عام 22هـ.[2]

رأى المصريون في قوة المسلمين الفاتحين سبيل للتخلص من الاضطهادات التي عانوا منها على يد البيزنطيين، فساندوها، ورحبوا بدخول المسلمين أرض مصر، كما شكلت انتصارات المسلمين وإخضاعهم البلاد نصرا دينيا للمصريين المسيحيين حيث غادر البلاد عدد كبير من البيزنطيين، ولما استقرت الأوضاع، و وصلت العهدة العمرية الخاصَة ببيت المقدس ونصارى الشَام إلى مصر، لقي المصريّون من الحكم الجديد مما جعلهم يشعرون بكثير من الحرية.[3]

بعد استقرار الأوضاع الداخلية قام به عمرو بن العاص أعلن بين الناس جميعا أن لا إكراه في الدين، وأن حرية العقيدة أمر مقدس، فلن يتعرض لأحد في حريته أو في ماله بسبب دينه أو مذهبه، وخيرهم بين الدخول

---

1 -Aryeh Kasher, The Jews in Hellenistic and Roman Egypt;The Struggle for Equal Rights, Mohr Siebeck, 1985 p.107,108

2- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام. ط6. دار التراث العربي، بيروت، لبنان. 1964. ج1. ص 234- 264

3- إبراهيم بيضون،ملامح التيَّارات السياسية في القرن الأوَّل الهجري. ط1.دار النهضة العربية، بيروت، لُبنان. 1979.ص67 68.

في الإسلام والبقاء على دينهم، فمن يدخل في الإسلام يكون له ما للمُسلمين وعليه ما عليهم، ومن يبقى على المسيحية أو اليهودية فعليه الجزية، ولا يفرض عليه الإسلام بالقوة، وتذكر المصادر أن كثيرا من كنائس الملكانيين بقيت موجودة واستمرت في إقامة الشعائر الدينية وأن عددا كبيرًا من الملكانيين فضلوا البقاء في مصر؛ وأن أُسقفا ملكانيا بقي على مذهبه حتى مات لم يمسه أحد بأذى، وأن البطريرك القبطي بنيامين الذي عاد إلى الإسكندريَّة بعد أن قضى ثلاثة عشر سنة لاجئا متخفيا خشية أن يقبض عليه من قبل البيزنطيين، أُعيد إلى مركزه.[1]

يعتبر الباحثون في التاريخ أن العصر الإسلامي من أهم العصور التي مرت بها مصر عبر التاريخ لما أحدثه من تحولات عقدية وسياسية واجتماعية عميقة في بنية مصر دولة وشعبا، حيث بدأ مع الفتح الإسلامي لمصر على يد عمرو بن العاص عام 641 م إبان خلافة عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين، لتصبح مصر ولاية إسلامية تابعة للمدينة عاصمة الدولة الإسلامية، قبل أن تنتقل العاصمة إلى الكوفة في خلافة علي بن أبي طالب، ثم دمشق في حقبة الدولة الأموية، ثم مكة أيام الخلافة الزبيرية القصيرة، ثم دمشق ثانيةً، وأخيرًا إلى الكوفة وسامراء وبغداد في حقبة الدولة العباسية، إلى أن أصبحت مصر هي مقر الخلافة العباسية في عصر المماليك البرجية حتى سقطت دولة المماليك مع الغزو العثماني عام 1517 م.

أدى دخول المصريين في الدين الإسلامي ونزوح كثير من القبائل العربية من شبه الجزيرة العربية وتوطنهم في الريف المصري واستقرارهم على جانبي الشريط الخصب في الدلتا ووادي النيل وما تبعه من اختلاطهم بأهل مصر من القبط إلى تعريب الوجه الاجتماعي والثقافي لمصر والمصريين، ونتيجة التأثير والتأثر بين مصريين والفاتحين المسلمين وما اقتضته تعريب مصر وانتشار الإسلام بين معظم أهلها هي أهم الظواهر التاريخية الاجتماعية في مصر خلال العصر الإسلامي، حيث أصبح الإسلام الدين الرسمي لها.

1- جيرار تروبو، المسيحية عبر تاريخها في المشرق. ط1.مجلس كنائس الشرق الأوسط، بيروت، لبنان. 2001. ص 451-457.

ثانيا– الفتح الإسلامي لبلاد المغرب

البدايات الأولى لفتح بلاد المغرب كانت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ عام 21هـ، إذ بعد فتح مصر توجه عمرو بن العاص إلى برقة التي كان أهلها من قبيلة "لواتة" التي تنتسب إلى البتر، فصالح أهلها على جزية، ثم تمكن من فتح طرابلس، بينما تمكن عقبة ابن نافع أحد قواد الفاتحين من استمالة برابرة فزاز للإسلام، فاستأذن عمرو الخليفة عمر لغزو إفريقية (تونس)، فنهاه عن ذلك،[1] وفي خلافة عثمان قام بعزل عمرو واسند ولاية مصر لـ عبد الله بن سعد ابن أبي سرح، وكان ذلك من سبب الخلاف بين الخليفة عثمان ﷺ وعمرو بن العاص.

فاسند أمر غزوها لعقبة بن نافع الذي أتم فتحها في عام 27هـ، ثم أسس مدينة فيها مدينة القيروان عام (51هـ، 670م) وأصبحت مركزا حصينا للانطلاق لفتح باقي بلاد المغرب، وتمكن عقبة ومن جاء من بعده من استمالة البربر إلى الإسلام، وأصبحوا جزءا مهما من جيوش الفتح الإسلامي، وكان منهم القادة، فأتموا فتح بلاد المغرب، وتم لهم فتح الأندلس بقيادة طارق ابن زياد في أقل من نصف قرن.[2]

لما تولى معاوية بن أبي سفيان الخلافة ولى معاوية بن حديج كأول وال على إمارة إفريقية تابع مباشرة لسلطة الخليفة، وقد دام التحضير لفتح باقي بلاد المغرب بين 27– 45هـ، ولما تم تعيين عقبة بن نافع وال على إفريقية عام 46هت خلفا لمعاوية بن حديج، فتخذ مدينة القيروان مقرا لجيشه، فاستعان بالبربر المسلمين للقضاء على الوجودي البيزنطي المسيحي في المنطقة، ولما عيّن معاوية بن أبي سفيان سلمة بن مخلد الأنصاري واليا على مصر وباقي بلاد المغرب، قام بدوره بعزل عقبة بن نافع وعيّن مكانه أبا المهاجر واليا على إفريقية عام 51هـ، فاطلق لفتح بلاد المغرب الأوسط(الجزائر) فتوغل إلى أن وصل إلى تلمسان، وفي ولايته أسلم "كسيلة" رئيس قبيلة "أروبة" التي كانت على دين النصرانية.[3]

لما تولى يزيد بم معاوية الخلافة عام 61هـ قام بعزل أبا المهاجر وعيّن عقبة بن نافع على ولاية إفريقية عام 62هـ، فواصل الفتوحات إلى المغرب الأقصى وكان لدخول الأمير الغماري جوليان في طاعة عقبة أثره في إتمام

1- إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ. دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب. 2000. ج1، ص 71
2- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام. ج2. ص 207
3- إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ. ج1، ص 77

في فتح ربوع بلاد المغرب والتفكير في غزو "الجزيرة الخضراء" التي أصبحت في ما بعد جزء من الأندلس.[1]

في العصر الأموي (661م – 750م) منذ تولي معاوية سدة الخلافة اتخذ من مصر القاعدة الأساسية التي تنطلق منها الجيوش الإسلامية باتجاه إفريقيا ثم إلى الأندلس فيما بعد، لكن مصر لم تكن موالية دائماً لبني أمية فقد وقف المصريون بعد وفاة يزيد سنة (64هـ– 683م) إلى جانب عبد الله بن الزبير في مواجهة عبد الملك بن مروان، غير أنهم ما لبثوا أن دخلوا في طاعة عبد الملك بعد أن لجأ إلى استمالتهم وتأليف قلوبهم وخصوصاً حينما وليها أخوه عبد العزيز بن مروان، وانتهى حكمهم لمصر بمقتل مروان بن مُحَمَّد سنة (132هـ– 750م)

حاول العباسيون في بداية دولتهم قدر المستطاع الحفاظ على شكل الدولة الإسلامية كما ورثوها من بني أمية، وإن كانت لهم صولات جهادية مع الروم في الثغور الشامية وآسيا الصغرى؛ حيث توقفت حركة الفتوح الإسلامية فلم يقوموا بضم الأقاليم وفتح أقطار جديدة، وذلك راجع إلى الانقسامات والصراعات السياسية المستفحلة التي عرفها عهدهم، مما أدى إلى اختلال الكثير من الموازين السياسية في عصرهم.

في العهد العباسي تحولت حاضرة مصر إلى مدينة المعسكر التي أنشأها الفضل بن صالح بن علي العباسي، ولم يستقم أمرها لبني العباس كما كان متوقعاً، إذ شهدت العديد من حركات التمرد، كتلك التي قادها دحية بن مصعب بن الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان، وهو من بقايا بني أمية، كما وقف المصريون إلى جانب العلويين في كثير من المناسبات وخصوصاً في أثناء الثورة التي قادها مُحَمَّد بن عبد الله المعروف "بالنفس الزكية"، وعُدت مصر ملاذاً آمناً لبعض من هاجر إليها منهم كإسحاق بن جعفر الصادق الذي لجأ إليها مع زوجه نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي، وفي الوقت ذاته كانت مصر معبراً آمناً للهاربين إلى المغرب والأندلس سواء كانوا من الأمويين (عبد الرحمن الداخل) أم العلويين (إدريس بن عبد الله) اللذين تمكنا من إقامة دولتين مناهضتين للدولة العباسية في الأندلس والمغرب، ففي ظل الخلافة العباسية تأسست دولة في الآدارسة في المغرب الأقصى عام (172هـ، 788م)، كما ساعدت الآغالبة على تأسيس دولتهم في تونس عام (184هـ، 800م) ظنا منهم أنهم سيكونون عونا لهم ضد المد الشيعي الذي انتشر في الأرجاء.[2]

في ظل الفوضى التي ضرب الدولة الإسلامية بسبب الصراع على السلطة بين الأمويين والعباسيين؛ استولى عبد الرحمان بن حبيب على السلطة في إفريقية ودخل القيروان متطلعا إلى إقامة دولة مستقلة، في هذا الأثناء برز الخوارج على مسرح الحياة السياسة في المنطقة، ونجحوا في استقطاب بع قبائل البربر فأسسوا دولة لهم.

1- إبراهيم حركات ، المرجع نفسه. ج1، ص 78

2- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام. ج2. ص 207

بينما ظهرت إمارتين خارجيتين قامتا في مناطق البربر في المغرب واستقلتا استقلالا شبه تام عن السلطة العباسية، فالإمارة الأولى هي إمارة سلجماسة، وهي دولة بني مدرار (بني واصول الصفرية) عام (140هـ، 757م)، في جنوب المغرب، في عهد الخليفة المنصور، وعمرت مائة وأربعون عاما، أما الإمارة الثانية فقد قامت في المغرب الأوسط (الجزائر)، عام (144هـ، 761م) وهي الإمارة الإباضية، نسبة إلى عبد الله بن إباض المري، أسسها عبد الرحمان بن رستم، واتخذ لها مدينة تاهرت عاصمة للإمارة عام (150هـ، 766م)، ودام وجوها مائة وثلاثون سنة.[1]

1- العصر الفاطمي (297- 567هـ) (909- 1171م)

يذكر المؤرخون في نسب الفاطميين أكثر من رأي، فمنهم من ينسبهم إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، لذلك يسمون بـ "الإسماعيلية". ومنهم من يرجع نسبهم إلى " عبد الله بن ميمون القداح الأهوازي" من الأهواز في بلاد فارس، وقد وصل أول دعاة الفاطميين إلى شمال أفريقيا وهو عبيد الله المهدي، الذي وصلها في الخليفة العباسي المقتدر، الذي عرف بخفايا دعوته فألقى عليه القبض وبقي أتباعه يدعون بدعوته حتى بلغت أرض المغرب، وأس أتباعه جيشا لمحاربة العباسيين وتمكنوا من تأسيس دولتهم في القيروان في عام 300هـ، 912م، وفي عام 301هـ انطلق جيش الفاطميين للتوسع إلى أراضي مصر، فاستولت جيوش المهدي على برقة ثم الإسكندرية نجح الفاطميون أيام المعز لدين الله على رأس جيش يقوده جوهر الصقلي سنة 358هـ- 968م الذي نأمر فور دخوله إليها بإنشاء مدينة القاهرة والجامع الأزهر، ولحق به الخليفة المعز الذي كان في مقدمة أعماله نشر المذهب الفاطمي بين المصريين ومنعهم من لبس السواد شعار العباسيين، غير أن مظاهر الضعف بدأت تظهر في مفاصل الدولة منذ بداية حكم المستنصر بعد أن أطلق أيدي الوزراء في الإدارة، وبدأت تتلاشى ملامح الأمجاد التي حققها الخلفاء من قبله لتتحول الأوضاع في مصر إلى فوضى عارمة أسهمت في إضعاف بنيتها، فأعلن "الحسن بن علي بن باديس الصنهاجي" استقلاله ببلاد المغرب .[2]

كان للدعاية الفاطمية أثر في انتشار النفوذ الشيعي في مصر والشام والعراق، ونشر العقائد الاسماعيلية الشيعية، فجعلوا من ذلك قاعدة لنشر عقائدهم المخالفة للمذهب السني ، فأنشئوا الأزهر لتخريج الدعاة

1- محمد سهيل طقّوش، تاريخ الدولة العباسية. ط7. دا النفائس، بيروت، لبنان. 2009.ص 60، 61

2- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام. ط6. دار التراث العربي، بيروت، لبنان. 1964. ج3. ص 144، 145

الشيعة، وأسسوا جهازا للدعاة العلنيين والسريين وفق ترتيب هرمي على رأسه داعي الدعاة بأتباع منشرين في كل أنحاء مصر وخارجها ، ثم التفتوا للنظم الإدارية في مصر فحولوها إلى ما يتفق مع دعوتهم ، فأحلوا التشريع الشيعي مكان التشريع السني في القضاء والفتوى، وغيروا في نظام المواريث على أساس مبدأ الشيعة، وعاقبوا الفقهاء السنيين، وجعلوا الأذان (بحي على خير العمل بدلا من) (حي على الفلاح) واسقطوا شرط رؤية الهلال في بداية شهر رمضان.[1]

2- العصر الأيوبي

بعد الفاطميين ظهر الأيوبيون، فبعد وفاة نور الدين زنكي 570 هـ-1174م أصبح صلاح الدين الأيوبي الذي قدم مصر مع عمه أسد الدين شيركوه سلطاناً عليها فاستقل مع التبعية للخليفة العباسي، فزحف صلاح الدين إلى الشام لبناء قاعدته الداخلية وضمها إلى مصر ثم بلغ الموصل شرقاً، وعاد إلى الغرب فاتجه إلى إفريقية فأرسل حملة مكنته من الاستيلاء على سواحلها الشمالية واسترداد قابس من النورمانديين، ثم وجه اهتمامه إلى تحرير بلاد الشام من القوى الصليبية وتم على يديه تحقيق النصر الكبير في حطين سنة (583هـ، 1187م).[2]

في مقال لعبد العزيز كحيل بعنوان "موجز تاريخ المغرب الإسلامي" سرد فيه تاريخ بلاد المغرب الإسلامي بصورة مختصرة مفيدة، وهذا بعض ما جاء فيه.

وأهمُّ هذه الدول المحلية التي قامت في المغرب الإسلامي هي:

أ- الدولة الرستمية: قامت للإباضيّين، (وكانوا فرعًا من الخوارج)، دولة في القيروان في العقود الأولى التي تلت الفتح، وبعد سقوطها فرت بعض قياداتها إلى تيهرت (غرب الجزائر الحاليَّة)، وهناك أسَّس عبدالرحمن بن رستم الدولة الرستميَّة، الَّتي امتدَّت من 160هـ إلى 296هـ.

ب- **الدولة الإدريسية:** موطنها الأول بالمغرب الأقصى، وهي تنتسب إلى الشيعة الزيدية، في عهدها أسِّست مدينة "فاس"، وبني جامع القرويين الَّذي يُعَدُّ أول جامعة في العالم الإسلامي، وقد بنتْه فاطمة الفهرية بنت إدريس الأكبر من مالها الخاص، سقطت الدولة على يد الفاطميّين، بعد أن ظلَّت قائمة من 172إلى 309هـ.

1- عبد المنعم ماجد الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر. 1982. ص 74- 76

2- أحمد مختار العبادي، في التاريخ الأيوبي والمملوكي مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر . 1992. ص 46- 53

ج– الدولة الأغلبية: قامت في تونس، واستقلَّت عن الخلافة العبَّاسيَّة، امتازت بنشر الثقافة العربيَّة، لكن بعض حكامها كانوا على جانب كبير من القَسْوة على الرعيَّة، سقطت هي الأخرى على يد الفاطميّين، وقد دامت من 184 إلى 296 هـ.

د– الدولة الفاطمية: أسَّسها أبو عبد الله الداعي الشيعي الإسماعيلي، بعد أن مكثَ في المغرب الإسلامي عشر سنوات يبشِّر بالمهدي المنتظر، المتمثِّل في أبي عبدالله المهدي أوَّل قائد للدولة، واتَّخذت من القيروان عاصمةً لها، وقضت – كما ذكرنا – على دول بني رُستم، والأدارسة، والأغالبة، ثم وجَّهت قواتِها نحو مصر، فغزاها "المعزُّ لدين الله"، وفي عهدها أسَّس "جوهر الصقلي" مدينة القاهرة، وتَمَّ تشييد الجامع الأزهر بها. وبقيت هذه الدولة قائمةً حتَّى أطاح بها صلاح الدين الأيوبي رحمه الله أي: من 297 إلى 567هـ.

هـ– **دولة بني زيرى:** قامت إثر رحيل الخليفة الفاطمي عن المغرب، وتعيينه "بلكين بن زيرى" نائبًا عنه، فأسَّس هذا الأخير ثاني دولة مستقلَّة عن الخلافة العباسيَّة بالمغرب الأوسط (الجزائر الحاليَّة)، واتَّخذت "بجاية" عاصمةً لها.

و– دولة بني حماد: أقاموا حضارةً متألِّقة، وجعلوا من "بجاية" حاضرة علميَّة يقصدها طلبة العلم من الأقاصي، وعلى سبيلِ المثال: تخرَّج في مدارسها عبد المؤمن بن علي الذي قاد دولة الموحِّدين بعد مؤسِّسها الأول ابن تومرت دامت الدولة الحمادية من 398 إلى حوالي 540هـ،

ي– دولة المرابطين: بدأ تأسيسها انطلاقًا من موريتانيا الحاليَّة على يد عبدالله بن ياسين، ووطَّد أركانها القائد الكبير يوسف بن تاشفين، كانت دولة مجاهدةً قويَّةً حاربت الإسبان، ووحَّدت المغرب الإسلامي، دامت من 487 إلى 558هـ، وبسبب الخلافات المذهبية أتيح للمهدي بن تومرت أن يقوِّض أركانها بدهائه وحنكته.

ز– دولة الموحِّدين: هي أوَّل دولة وحَّدت المغرب الإسلامي على يد السُّكان الأصليّين، وضمَّت إليه الأندلس، أسَّسها ابن تومرت سنة 513هـ، ووطَّد دعائمها خليفته عبد المؤمن بن علي، امتازت هذه الدولة بنشر العلم على أوسع نطاق، ففي مدارسها تخرَّج ابنُ رشد الحفيد، وابن طفيل الفيلسوف المشهور، وغيرهما من العلماء، انهارت سنة 609هـ بعد أن هزمتها جيوشُ الصليبيّين في معركة "حصن العقاب" بالأندلس.[1]

3– انقسام المغرب الإسلامي:

بعد انهيار دولة الموحِّدين انقسم المغرب الإسلامي إلى ثلاث دول مستقلَّة عن بعضها، ومن أهمها:

أ– الدولة الحفصية في تونس: (625– 962هـ) (1227– 1574م)

سلالة من سلالات قبائل البربر حكمت إفريقية (تونس) ما يزيد على ثلاثة قرون، ينتسب الحفصيون إلى الشيخ أبي حفص عمر بن يحي الهَنْتاتي، وهنتاتة من أعظم قبائل المصامدة، وهم السابقون للقيام بدعوة

1– موجز تاريخ المغرب الإسلامي، مقال لعبد العزيز كحيل. تاريخ النشر 2014/04/05–01:32 . موقع النشر بتاريخ 10 جوان 2020 في الساعة 18.55 https://islamstory.com/ar/artical/20949/

المهدي بن تومرت (مؤسس حركة الموحدين)، فلما توفي ابن تومرت وبايع الموحدون عبد المؤمن بن علي أصبح أبو حفص أحد كبار قادته المخلصين، تولى أبو مُحَمَّد عبد الواحد بن أبي حفص الحكم سنة 603هـ/1206م، وبعد أن استقل أبو زكريا يحيى الأول في الديار التونسية عام (625هـ، 1227م) قام بحملات ناجحة، فضم قسنطينة وبجاية، وفي سنة 632هـ ضم الجزائر والزاب، وأخضع قبيلة هوارة المقيمة على الحدود الجزائرية التونسية واستولى على تلمسان سنة 639هـ ولكنه ترك الحكم فيها لبني عبد الواد لقاء ولائهم للحكم الحفصي، واتسعت سلطته لتشمل المغرب الأقصى والأندلس، حقق قيام دولة الحفصيين لإفريقية سنوات من الازدهار والاستقرار وأصبحت مدينة تونس عاصمة للدولة ومركزاً ثقافياً وسياسياً وكان للمهاجرين المسلمين من الأندلس في القرن (7هـ،13م)، مشاركة قيمة في النهوض بدراسات الأدب وفقه المالكية، منهم قاضي القضاة ابن الغماز وابن الأبَّار.[1]

سادت الفوضى ي إفريقية بعد موت أبي يحيى أبي بكر عام 747هـ، 1346م مما أدى إلى انحلال سلطان الحفصيين، فما انتهى القرن 15م حتى كانت قسنطينة وبجاية وبونة قد استعادت استقلالها، واستولى عروج شقيق خير الدين بربروس على الجزائر، واستولى الإسبان على بجاية وطرابلس سنة 1510م ، ثم استولى خير الدين بربروس على تونس سنة 940هـ /1533م، وتمكن سنان باشا من إخضاع تونس والقلعة وجعل تونس سنة 962هـ/1574م ولاية عثمانية ملحقة بالجزائر يحكمها باشا ثم صارت تابعة للباب العالي مباشرة[2].

ب- الدولة المرينية في المغرب الأقصى: (680-831 هـ) (1269- 1415 م)

ينحدر المرينيون من قبيلة زناتة، وهي من أكبر القبائل الأمازيغية، تشكيل قوة عسكرية وسياسية مكنتهم من الإطاحة بدولة الموحدين، فاستولوا على العديد من المدن، مكناس، وفاس: 1248 م. مع حلول سنة 1269 م استطاعوا التخلص من آخر الموحدين في مراكش، وتوسعوا إلى الجزائر (الاستيلاء على وهران ومدينة الجزائر)، واستطاعوا صد سلاطين عبد الواد والاستيلاء على عاصمتهم تلمسان، ثم واصل في غزواته حتى بلغ تونس واحتلها على حساب الحفصيين، حكم المرينيون المغرب لمدة ما يقارب قرنيين من الزمن، وبدأت

1- حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته. العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت. 1992م

2- روبارير نشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي. ترجمة حمادي الساحلي. دار الغرب الإسلامي، بيروت. 1988م

سلطتهم تتقلص إلى حدود المغرب الأقصى ستتميز نهاية حكمهم بانقسام المغرب إلى مملكتين مملكة فاس ومملكة مراكش1415م.

ج- الدولة الزيانية في الجزائر: (627- 962هـ)، (1229- 1554م)

كان بنو عبد الواد من القبائل الرحل التي كانت تجوب صحراء المغرب الأوسط، وكانوا ينتجعون المراعي الخصبة، ويترددون على المناطق التي تقع ما بين فجيج ومديونة وجبل راشد، وفي عهد المرابطين انتقل بني عبد الواد إلى غرب المغرب الأوسط تحت ضغط الهلاليي، هذه الدولة أسسها إيغمراسن زيان ، واتخذت مدينة "تلمسان" عاصمة لها في 633هـ ،كلها حروب مع الجيران والإسبان، أقام بها ابن خلدون، وألف مقدمته، استنجدت بالأخوين: خير الدين، وبابا عروج؛ لمواجهة حملات الإسبان والبرتغاليين سنة 926هـ، وبذلك ألحقت الجزائر بالخلافة العُثمانية، وكانت نهايتها، حيث استولي الأتراك على غرب الجزائر وانتهى حكم الزيانيين (1227هـ، 1554م)، ودامت ثلاثة قرون.[1]

1- مُحَمَّد بن عبد الله التنسي، نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان.تحقيق: محمود بو عياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص109

ثالثا– شمال أفريقيا تحت الحكم العثماني

1– العثمانيون في الجزائر:

بعد سقوط الأندلس في يد الحلف الصليبي الإسباني البرتغالي، أصبحت مناطق شمال أفريقيا عرضة لحملاتها، فوجهت إسبانيا حملاتها بالخصوص إلى الجزائر وتونس، في حين تركزت حملات البرتغاليين على المغرب الأقصى، وكانت مضامين هذه الهجومات إلى جانب المآرب الاقتصادية، كان غاية الانتقام وملاحقة المسلمين الفارين من البطش الصليبي في الأندلس، ففي عام 1505م تولى فرديناند ملك إسبانيا وبدأ بتوجيه حملات منظمة إلى الشمال الأفريقي، ففي 10 سبتمبر 1505م رست الحملة الإسبانية أمام المرسى الكبير، فاحتلوها وعاثوا فيها فسادا وتقتيلا، وكان ذلك فاتحة حرب صليبية جديدة على المسلمين في المنطقة.[1]

في هذا الأثناء بدأت قوة عسكرية جديدة بالظهور في البحر المتوسط تحت لواء العثمانيين الأتراك، يقودها الأخوان عروج وخير الدين، حيث وصل عروج إلى السواحل المصرية في شتاء (919هـ، 1513م) و وجد ترحابا من سلطانها، اتخذها مأوى لأعماله البحرية، ومنها انتقل ليستقر في جزية جربة التونسية التي اتخذها مركزا خاصا به وأخذ في مهاجمة السواحل المسيحية.

نتيجة البطولات التي حققها في عض البحر المتوسط على حساب سفن الضفة المسيحية ذاع سيطه وشجاعته بين الناس، وأصبح يُعرف بالبطولات التي تروى عنه، ي هذه الأثناء استنجد به عبد الرحمان لإعادة حقه في بجاية بعد أن استولى عليها الإسبان، فاستجاب على الفور وتوجه لنجدته، وبعد حصار لحصون بجاية تعذر عليه فتحها، فاضطر للعودة إلى تونس، وفي عام (922هـ، 1515م) عاود مهاجمة القوات الإسبانية في بجاية ومعه أخوه خير الدين، وفي 1516م تمن من استرجاع الجزائر العاصمة من الإسبان بعد أن استنجد به أهلها لرفع التسلط الصليبي عليهم. لم يعجب الإسبان ولا بعض متمردي الداخل، ما حتّم على خير الدين وأعيان المدينة، سنة 1518، أن يربطوا الجزائر بالدولة العثمانية ويدخلوها ضمن أملاكها حتى تكسب نوعا من الحماية الدولية، فعيّن السلطان سليم الأول خير الدين أول حاكم تركي على الجزائر بلقب "بايلر باي"،

1– الأتراك العثمانيون في شمال أفريقيا، عزيز سامح التِر. تر: محمود علي عامر. ط1. دار النهضة العربية، بيروت، لبنان. 1989. ص 17

ولحقت باقي مناطق الجزائر بالحكم العثماني على مراحل، بينما استولي الأتراك عام (963هـ، 1554م) على غرب الجزائر وانتهى حكم الزيانيين.[1]

بقيت الجزائر تحت الحكم العثماني إلى غاية عزوها من قبل الاحتلال الفرنسي عام (1245هـ، 1830).

2- تونس تحت الحكم العثماني

بداية توجّه العثمانيين إلى تونس كانت سنة (941هـ، 1533م)، حيث فتحها البحار خير الدين بربوس في تلك السنة، بأمر من الخليفة العثماني سليمان البحار، وحرّرها من ملكها حسن الحفصي، الذي تحالف مع الدول الأوروبية، وعيّن مكانه أخاه الحسن بن مُحَمَّد على تونس، معلنا ضمها للدولة العثمانية.

غير أن الحكم العثماني في ذلك الحين لم يدم أكثر من سنتين، فقد عمدت إسبانيا على غزو تونس عام 1535، واحتلال ميناء حلق الواد، وبقيت المهدية عند العثمانيين، وأعاد الإسبان تنصيب حليفهم حسن الحفصي بايا على تونس، على أن يكون حليفهم ومساعدا لفرسان القديس يوحنا بطرابلس، وأن يقوم بمعاداة العثمانيين وأن يتحمل نفقات ألفي أسباني على الأقل يتركون كحامية في قلعة حلق الواد.

في سنة 1573، عادت الإسبان مجددا إلى تونس بعد أن استدعاهم السلطان الحفصي أبي العباس الثاني، ونزلوا بقلعة حلق الواد، واحتلوا مدينة تونس، ما دفع الحاكم العثماني حيدر باشا إلى الانسحاب إلى مدينة القيروان وسط البلاد.

لم تمض سنة واحدة حتّى أمر السلطان سليمان القانوني وزيره سنان باشا بالتوجه إلى تونس وفتحها، فكان لهم ذلك بمساعدة قوة من الجزائر بقيادة رمضان باشا وأخرى من طرابلس بقيادة مصطفى باشا وتم إلحاق تونس بصفة نهائية بالسلطة العثمانية عام 1574م.

انتهت تبعية تونس للباب العالي مع بداية الاحتلال الفرنسي للبلاد سنة 1881م.

3- الأتراك العثمانيون في مصر

ظهرت القوة العثمانية في فترة كانت مصر مقر الخلافة العباسي تحت حكم المماليك، وكانت تتعرض للغزو الصليبي البرتغالي خاصة من الناحية الجنوبية عبر البحر الأحمر، فاستنجدوا بالدولة العثمانية التي كانت قواتها تجوب البحر المتوسط لتقوم بواجبها الإسلامي والتصدي للغزو الصليبي خاصة لم انهزمت دولة المماليك

1- الأتراك العثمانيون في شمال أفريقيا، المرجع السابق. ص 46- 52

في معركة "ديو" عام (914هـ، 1508م) أمام البرتغاليين، ورغم الخلافات القائمة بين العثمانيين والأتراك فقد تدخلت القوات العثمانية في مصر أنهت حكم المماليك في مصر عام (923هـ، 1517م)، وانتهت بذلك الدولة العباسية في مصر، وأصبحوا تابعين لمركز الخلافة الجديد "إستانبول"، ورغم كل هذه التغيرات أبقوا الحكم في مصر للمماليك، الذين بقوا في حكمها إلى غاية الحملة الفرنسية على مصر عام (1213هـ، 1801م)[1]

بعد إجلاء القوات الفرنسية بقيت مصر في صراعات داخلية إلى أن استولى الإنجليز عليها وأصبحت تحت حمايتهم عام (1299هـ، 1887م),

4- ليبيا تحت الحكم العثماني

بعد الضعف الذي أصاب دول المغرب بسبب الانقسامات الداخلية، احتل فسان مالطة (فرسان القديس يوحنا الأورشليمي) منطقة برقة، كما احتل الإسبان طرابلس عام (916هـ، 1511م)، وبقوا فيها إلى أن تمكنت القوات البحرية العثمانية من طردهم منها عام (958هـ، 1551م)، وأصبحت تابعة للسلطان العثماني إلى أن اجتاحتها القوات الإيطالية عام (1329هـ، 1912م)، فاحتلت طرابلس وبنغازي، ثم برقة، إلى أن وصلت إلى طبرق.[2]

5- العثمانيون في المغرب الأقصى

بعد تجزؤ دولة الموحدين حكم بنو مرين في المغرب الأقصى، وكانت نفوذهم تمتد حتى المشرق، وفي عام (823هـ، 1417م) خلفهم بنو وطاس في حكم المغرب الأقصى، واستمر حكم حتى عام (916هـ، 1511م) أين احتل البرتغاليون شواطئ المغرب، ولم يتمكن حكام بني وطاس من الوقوف في وجه المد البرتغالي الصليبي لبلادهم، فاستنجد الأهالي بإمارة السعديين الذين كانوا في وادي درعة جنوب بلاد السوس في جنوب المغرب، وكان حينها العثمانيون حلفاء السعديين، يقدمون لهم المساعدات لقتال الصليبيين، وهو ما مكن السعديين من استرجاع فاس عام (955هـ، 1548م)، وسرعان ما دب الخلاف بين العثمانيين والسعديين بإيعاز من إسبانيا التي أوهمت المغاربة ان العثمانيين يريدون الاستيلاء على بلادهم، بعدما احتلوا

1- محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، الجزء 8 العهد العثماني.المكتب الإسلامي، بيروت. لبنان. 2000 . ص 464- 468

2- محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، المرجع السابق. ج8، ص 510، 511

تلمسان في حدودهم عام (952هـ، 1545م)، فقام السعديون بطرد العثمانيين من وجدة، ثم من تلمسان عام (955هـ، 1548م)، فأصبحت المغرب تحت حكم السعديين بمساعدة الإسبان.[1]

وبعد خمس سنوات من الاستعداد تقدم العثمانيون من الشرق (الجزائر)، وأعلنوا ضم المغرب الأقصى إلى الدولة العثمانية، و وصلوا إلى فاس، عام (961هـ، 1554م)، لكن مُحَمَّد باسم المتوكل على الله السعدي وقع معاهدة مع البرتغاليين لحماية المغرب من العثمانيين مقابل إعادته للحكم، كم سلم السلطان السعدي مدينة القص الصغير الواقع بين سبتة وطنجة للفرنسيين عام (966هـ، 1559م) ثم ألحق لهم جزيرة باديس التي كانت تحت سلطة القوات العثمانية مقابل دعمه ضد الأتراك، مما دفع بالعثمانيين إلى الانسحاب من المغرب الأقصى وبقي على هذا الحال إلى أن احتلته فرنسا عام (1329هـ، 1912م).[2]

1- محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، المرجع السابق. ج8، ص 523

2- محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، المرجع السابق. ج8، ص 525

مصادر ومراجع

- **القرآن الكريم– رواية حفص**
- **الكتاب المقدس– الطبعة الكاثوليكية**

أولا– قواميس ومعاجم

1. أحمد بن فارس بن زكريا معجم مقاييس اللغة المحقق: عبد السلام مُحَّد هارون دار الفكر بيروت، لبنان. 1979.
2. مُحَّد ابن مكرم "ابن منظور"لسان العرب. ط3. دار صادر، بيروت. 1994. ج13، ص170.
3. مُحَّد بن يعقوب الفيروز آبادى، القاموس المحيط. ط8. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان. 2005 م.

ثانيا– مراجع عربية

1. **أحمد عبد اللوي علوي، مدغرة وادي زيز: إسهام في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال العصر الحديث، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1416 هـ / 1996 م.**
2. **أحمد مختار العبادي، في التاريخ الأيوبي والمملوكي مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر . 1992.**
3. **بابا شنودة الثالث، الاستشهاد في المسيحية ، نيافة الأنباء بوأنس.**
4. **حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته. العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت. 1992م**
5. **روباربر نشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي. ترجمة حمادي الساحلي. دار الغرب الإسلامي، بيروت. 1988م**
6. **كامل سعفان، اليهود تاريخ وعقيدة. ط1. دار الاعتصام. بيروت. بنان. 1996**
7. **بينز، نورمان، الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة. ترجمة: حسين مُؤنس. لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة، مصر 1950.**
8. **أ.ف.غوتييه، ماضي شمال أفريقيا ترجمة : هاشم الحسيني. مؤسسة تاوالت الثقافية. 2010 .**
9. **إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ط1، دار الطليعة، 1998م**
10. **إبراهيم بيضون،ملامح التيَّارات السياسية في القرن الأوَّل الهجري. ط1.دار النهضة العربية، بيروت، لُبنان. 1979.**
11. **إبراهيم تركي، علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ط1، 2002.**
12. **إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ. دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب. 2000.**
13. **–إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العهد السعدي، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء 1987.**
14. **أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر. تحقيق :أسعد داغر. ط1. دار الهجرة. قُم، إيران.**
15. **أبو العبَّاس تقيُّ الدين المقريزي، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار،ط1. دار الكُتُب العلميَّة، بيروت – لُبنان. 1998.**
16. **أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي. ط1. دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان. 1998.**
17. **أحمد توفيق المدني: قرطاجنة في أربعة عصور، طبعة تونس، 1926م.**
18. **أحمد داود، العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود، دار المستقبل،ط1، دمشق،1991م.**
19. **أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ط2، العربي للنشر والطباعة، بيروت.**

20. أحمد شحلان، اليهود المغاربة من منبت الأصول إلى رياح الفرقة. ط1. دار أبي رقراق للطباعة والنشر. الرباط، المغرب.2009.
21. أحمد شلبي، مقارنة الأديان– المسيحية– القاهرة 1967.
22. أحمد عبد اللوي علوي، مدغرة وادي زيز، ج1، م. س..
23. أحمد هيكل الشحات، يهود المغرب تاريخهم وعلاقتهم بالحركة الصهيونية. سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية. مركز الدراسات الشرقية، القاهرة. 2007.
24. إدوارد جيبون، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية، تر:مُحَمَّد علي أبو درة، ط2. الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة، 1997 .
25. اصطيفان اقصيل، تاريخ شمال أفريقيا القديم. تر: مُحَمَّد التازي مسعود. مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب. 2007.
26. الأب ديلي،تاريخ شعب العهد القديم، المطبعة الكاثوليكية،مطران، بيروت،1961م.
27. الأتراك العثمانيون في شمال أفريقيا، عزيز سامح التِر. تر: محمود علي عامر. ط1. دار النهضة العربية، بيروت، لبنان. 1989.
28. الأنبا بيشوي، مجمعا أفسس وخلقيدونية – مقال في كتاب المسيحيَّة عبر تاريخها في المشرق – ط1. بيروت– لُبنان :مجلس كنائس الشرق الأوسط 2001 .
29. الحسن بن مُحَمَّد الوزان، وصف إفريقيا، ج2، م. س.
30. الشريف الإدريسي، وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية، الجزائر، 1957.
31. الطبرى ,تاريخ الرسل والملوك . ط4. دار المعارف. بيروت ، لبنان. .
32. العربي اكنينح: في المسألة الأمازيغية،أصول المغاربة. ط1. مطبعة آنفو– برانت، فاس، المغرب، 2003م، ص:24.
33. ألفرد بتلر، فتح العرب لِمصر. تر وتح: مُحَمَّد فريد أبو حديد بك ط1. مكتبة مدبولي، القاهرة. 1990.
34. القاضي عياض. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. ط 2. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب. 1983.
35. أنجلوغريلي :أسلمة وتعريب بربر شمال المغرب، ترجمة عبد العزيز شهبر،منشورات وزارة الثقافة، مطبعة دار المناهل، الرباط،2009.
36. أندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية. ترجمة: مُحَمَّد مزالي والبشير بن سلامة. مؤسسة تاوالت الثقافية، الرباط . 2011 .
37. إيريس حبيب المصري، قصة الكنيسة. المكتبة القبطية، ص.21 . بتاريخ 15 أيار 2011.
38. باسيليوس المقاري، دراسة في أباء الكنيسة. مطبعة القديس أنبا مقار. شبرا. مصر.
39. تاريخ الحضارات العام. مجموعة من المؤلفين.إشراف موريس كروزي. منشورات عويدات، بيروت. 1989
40. جميل حمداوي ، الديانة عند الأمازيغيين. بحث نشره موقع الألوكة. 2014
41. جورج مينوا، الكنيسة والعلم، ط1. دار الأهالي، دمشق 2005.
42. جيرار تروبو، المسيحية عبر تاريخها في المشرق. ط1.مجلس كنائس الشرق الأوسط، بيروت، لبنان.2001..
43. جيمس هنري برستيد. تطور الفكر والدين في مصر القديمة. ترجمة زاكي سوس. دار الكرنك للنشر والطبع. 1961
44. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام. ط6. دار التراث العربي، بيروت، لبنان. 1964.
45. حسن حافظي علوي، سجلماسة وإقليمها، م. س. ص. 147.
46. حسن علي مصطفى، نشأة الدين بين التصور الإنساني والتصور الإسلامي. ط1. مؤسسة الإسراء للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر. 1991.
47. خيرية قاسمية، يهود البلاد العربية. ط1. مركز الدراسات العربية، بيروت. 2015.
48. رجا عبد الحميد عرّابي،سفر التاريخ اليهودي، ط1، دار الأوائل، دمشق، سورية،2004م.
49. روبين دانيال، أصول التراث المسيحي في شمال أفر يقيا، دراسة عن القرنين الأولين.

50. روبين دانيال، أصول التراث المسيحي في شمال إفريقيا (دراسة تاريخية من القرن الأول إلى القرون الوسطى) تر: سمير مالك، دار منهل الحياة، بيروت، 1999 .
51. سعدون محمود الساموك، موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة. ط1. دار المناهج للنشر والتوزيع. عمان، الأردن. 2002
52. سعدون محمود السموك، مقارنة الأديان، ط1. دار وائل، الأردن.
53. سعود بن عبد العزيز الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية. ط4. مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية. 2004.
54. شارل أندري جوليان، تاريخ شمال أفريقيا، تعريب مُحَمَّد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر.
55. شارل سنيوبوس، تاريخ حضارات العالم. ترجمة: مُحَمَّد كرد علي. ط1. العالمية للكتب والنشر، الجيزة.2012 .
56. عادل فرج عبد المسيح، موسوعة آباء الكنيسة، ج2 . (كنيسة شمال أفريقيا، دار الثقافة، القاهرة، 1999 .
57. عاشور سعيد عبد الفتاح، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك. ط1. دار النهضة العربية، القاهرة. 1992.
58. عبد الرازق أحمد قنديل، المواريث في اليهودية والإسلام – دراسة مقارنة. مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة. 2008 .
59. عبد الرازق قنديل، أثر الشعر العربي في الشعر العبري الأندلسي. مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة. 2002.
60. عبد الرحمن بشير، اليهود في المغرب العربي. ط1. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة. 2001.
61. عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، العصر الإسلامي. دار النهضة العربية للطباعة والنشر. بيروت 1981 .
62. عبد العزيز كحيل موجز تاريخ المغرب الإسلامي، مقال. تاريخ النشر 2014/04/05–01:32 . موقع النشر بتاريخ 10 جوان 2020 في الساعة 55.18 https://islamstory.com/ar/artical/20949/
63. عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم البلدان. ط2. دار صادر، بيروت، لبنان. 1995.
64. عبد المنعم ماجد الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر. 1982.
65. عبد الوهاب المسيري ، الموسوعة اليهود واليهودية الصهيونية، دار الشروق. 1999.
66. عز الدين المناصرة: المسألة الأمازيغية في الجزائر والمغرب، دار الشروق، الأردن،الطبعة الأولى، 1999م.
67. عزيز سريال عطية، تاريخ المسيحية الشرقية. تر: إسحاق عبيد. ط1. المجلس الأعلى للثقافة. مصر. 2005.
68. علي سامي النشار، نشأة الدين: النظريات التطورية والمؤلهة، ط1، دار السلام، القاهرة. 2009.
69. علي عيسى،الليبيون من خلال المصادر الأثرية والتاريخية القديمة، قسم التاريخ جامعة الفاتح، طرابلس.
70. علي مُحَمَّد مُحَمَّد علي الصلابي، إعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحدين،الشارقة،2001.
71. علي ين يوسف الحكيم:" الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة "، م. س.
72. عيسى دياب، مدخل إلى تاريخ اليهودية وتعاليمها، ط1، دار المشرق، بيروت،لبنان،2013م.
73. فاطمة بوعمامة،اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين (7، 8 هـ)– (14، 15) مؤسسة كنوز الحكمة، الأبيار، الجزائر.2011.
74. فتحي مُحَمَّد الزغبي، تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، دار البشير،ط1، طنطا،مصر،1994م.
75. فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان. تر: عبد الرزاق العلي ومحمود منقذ الهاشمي. دار التنوير، بيروت. 2018.
76. فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان–الشرق القديم– مجموعة من المترجمين.ط4. دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر. دمشق. 2017.
77. فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون. ط2. دار الأمة للطباعة والنشر. الجزائر. 2004.
78. قاسم عبده قاسم اليهود في مصر، ط1. دار الشروق، بيروت، لبنان. 1993م.
79. كريمة ديرش سليماني، "مسيحيو منطقة القبائل 1873 – 1954" دراسة تاريخية وأنثروبولوجية عن الحركة التبشيرية في منطقة القبائل. معهد البحث والدراسات حول العالم العربي والإسلامي".نسخة محفوظة 27 سبتمبر 2016.
80. كلود ريفيير، الأنثروبولوجيا الاجتماعية للأديان. ترجمة أسامة نبيل. ط1. المركز القومي للترجمة. القاهرة. مصر. 2015 .

81. لجنة التأريخ القبطي، خلاصة تاريخ المسيحية في مصر. ط2. مطبعة خيرات، مصر. 1932.
82. لودفيغ فيورباخ، أصل الدين. ترجمة: أحمد عبد الحليم عطية.ط1.المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان.1991.
83. ليون الأفريقي: وصف أفريقيا، ترجمة: مُحَمَّد حجي ومُحَمَّد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية 1983م.
84. مُحَمَّد أحمد الخطيب، مقارنة الأديان، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 2008.
85. –مُحَمَّد الطالبي وإبراهيم العبيدي، البرغواطيون في المغرب،الدار البيضاء، ط 1، 1999.
86. مُحَمَّد البشير شنيتي ، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984
87. مُحَمَّد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم،(بحوث ودراسات)، دار الحكمة، الجزائر، 2003 .
88. مُحَمَّد الطالبي وإبراهيم العبيدي، البرغواطيون في المغرب،الدار البيضاء، ط 1، 1999.
89. مُحَمَّد الفاسي و إيفان هربك، تاريخ أفريقيا العام– أفريقيا من القرن السابع إلى القرن الحادي عشر– إصدارات اليونسكو. ط2. مؤسسة حبيب درغم وأولاده، بيروت. 1997.
90. مُحَمَّد الهادي حارش،التاريخ المغاربي القديم السياسي و الحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي،المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر 1995.
91. مُحَمَّد أمين فكري، جغرافية مصر. ط1، مطبعة واد النبل، القاهرة، مصر. 1976.
92. مُحَمَّد بن عبد الله التنسي، نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان.تحقيق: محمود بو عياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
93. مُحمَّد سُهيل طقّوش، تاريخ الخُلفاء الرَّاشدين– الفُتوحات والإنجازات السياسيَّة – ط1. دار النفائس، بيروت، لبنان.2002.
94. مُحَمَّد سهيل طقّوش، تاريخ الدولة العباسية. ط7. دا النفائس، بيروت، لبنان. 2009.
95. مُحَمَّد شفيق، لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين،دار الكلام، الرباط المغرب، الطبعة الأولى سنة 1989م.
96. مُحَمَّد عبد الله دراز، دار القلم، بيروت، لبنان، دط.
97. مُحَمَّد عطا عبد الرحيم، عيسى المسيح والتوحيد، تر: عادل حامد مُحَمَّد.
98. مُحَمَّد عفيفي، الأقباط في مصر في العصر العثماني. ط1. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة. 1992.
99. مُحَمَّد علي دبوز، المغرب العربي الكبير. مؤسسة توالت الثقافية، الرباط. 2010.

100. مُحَمَّد كمال جعفر، الإنسان والأديان دراسة مقارنة، ط1. دار الثقافة، الدوحة، قطر. 1985.
101. مُحَمَّد محبي الدين المشرفي: أفريقيا الشمالية في العصر القديم، دار الكتب العربية، الطبعة الرابعة 1969م.
102. مُحَمَّد مصطفى بازامة، ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، مؤسسة تواليت الثقافية ، بلا، تا.
103. محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، الجزء 8 العهد العثماني.المكتب الإسلامي، بيروت. لبنان. 2000 .

104. مراد فرج، القراءون والربانون. دار العالم العربي. القاهرة. 1918.
105. مرتضى الزيدي، تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق مصطفى حجازي. ط2. طبعة الكويت. 2008.
106. مصطفى أمُحَمَّد الشعباني، يهود ليبيا. ط1. دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا. 2006.
107. مصطفى كمال عبد الحليم، ليبيا في التاريخ، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي. 1968.
108. موريس بوكاي،القرآن الكريم والتوراة والأنجيل والعلم، ط1، مكتبة مديولي، القاهرة،1996م.

109. مؤنس، حسين، تاريخ المغرب وحضارته من قُبيل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر. ط1. الدار السعودية للنشر والتوزيع. جدة، السُعودية. 1990.
110. نورمان بينز. الإمبراطورية البيزنطية. تر: حسين مؤنس.لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة – مصر. 1950.
111. هيرودوت: أحاديث هيرودوت عن الليبيين(الأمازيغ)، ترجمة: مصطفى أعشي.ط1. منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، دار المعارف، الرباط، 2009م.
112. هيرودوت، أحديث هيرودوت عن الليبيين. ترجمة وتعليق: مصطفى أعشي. مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب. 2008.
113. ول ديورانت، قصة الحضارة، تق:محي الدين صابر،تر: زكي نجيب وحمود، دار الجيل، لبنان،بيروت،1988م.
114. ول وايرايل ديورانت، قصة الحضارة. ترجمة: زاكي نجيب محمود.دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع.بيروت. 1988.
115. ول وايرايل ديورانت، قصة الحضارة. ترجمة: زاكي نجيب محمود.دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع.بيروت. 1988.
116. وليم وهبه بباوي، دائرة المعارف الكتابية، دار الثقافة،القاهرة.
117. ياروسلاف تشربن، الديانة المصرية القديمة. ترجمة أحمد قدري. ط1. دار الشروق، القاهرة. 1996.
118. يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، تر.، مرقص داود، مكتبة الحكمة، مصر،1999.
119. يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصور الوسطى. دار الحياة للنشر والتوزيع. 2008 .

ثالثا– مراجع أجنبية

1. A.C. Bouquet,Comparative Religion. Apelican book, Library of Constructive Theology; Nisbet, London, 1958.
2. -Aude (B), Les Chrétiens dans L'empire Romain, des Antonins au milieu du **3eme** siècle (180 249), Paris ,1881.
3. -Audollent , Carthage romaine(146AJC-698 JC),éd., A, Fontiémoing ,Paris, 1901.
4. Aryeh Kasher, The Jews in Hellenistic and Roman Egypt;The Struggle for Equal Rights, Mohr Siebeck, 1985.
5. Bel Meki (A) , Variation du parler arabe marocain du Sud (Cas de Tafilalet) , Mémoire de D.E.A, en linguistique , Université René Descartes , Paris , Année universitaire 1988 – 1989.
6. –Berthier (P), Les anciennes sucreries du Maroc et les réseaux hydrauliques, Imprimerie francise et marocaine , Rabat , 1966
7. Ch.A.Julien , Histoire de L' Afrique du Nord Paris 1956 .
8. Christian Delorme,L'émir Abd-el-Kader à Lyon: 12-13 décembre 1852. Lyon: M. Chomarat. 2008.
9. De Azevedo, Raimondo Cagiano, Migration and development co-operation.Council of Europe. (1994) .
10. De Lachappelle:"Esquisse d'une histoire du Sahara Oriental du VI au XIV siècle" .H.T.XI, 1930.
11. De Foucauld (ch.) , Reconnaissances au Maroc , Paris , 1888.

12. Deeb, Mary Jane. "Religious minorities" Algeria (Country Study). Federal Research Division, Library of Congress; Helen Chapan Metz, ed. December 1993
13. -Dominique Arnauld, Histoire du Christianisme en Afrique , les sept (7) premiers siècles, éd.,Kantada , Paris, 1996
14. Elisee Reclus, Africa, edited by A. H. Keane, B. A., Vol. II, North-WestAfrica, Appleton and company, 1880, New York.
15. –Faure (R) , Le Tafilalet: Etude d'un secteur traditionnel d'irrigation , Paris , 1968.
16. -François Décret, Le Christianisme en Afrique du Nord Ancienne, éd., du Seuil , Paris, 1996
17. François Dornier. Les catholiques en Tunisie au fil des jours Imprimerie Finzi.2000 .
18. -Gaid.M et Aguellids - Romains en Berbèrie,SNED,Alger,1972
19. Gautier ,Le passé de l'Afrique du Nord, Paris, Payot, 1942,
20. Gsell .S . H.A.A.N T5, paris: Libraire Hachette, 1927.
21. Gsell .S,textes relatifs à l'Histoire de l'Afrique du nord (Hérodote),Topographie (1) A -.Jourdan ,Alger,1915.
22. Haïm Zafrani,Mille ans de vie juive au Maroc Histoire et culture, religion et magie, Paris, 1983.
23. Hamman (A.), La geste du sang, Paris, 1953.
24. Hamilton, The Christian World.
25. Hanoune : Aperçu sur les Israélites Algériens et sur la Communauté d'Alger, Alger 1922.
26. Hérodote, Histoires (texte établi et traduit par Ph. E. Legrand), Paris: société d'édition Les belles Lettres, 1945.
27. -Hérodote, HistoireII,32,texte établie par Ph.Le grand,Ed.Les Belles Lettres,Paris,1960
28. -International Religious Freedom Report 2010: Tunisia. United States Bureau of Democracy, Human Rights and Labor (November 17, 2010)
29. Jamaa Balda ,& Vincent Feroldi "Présence chrétienne au Maroc :XIXème-XXème siècles" , préface de Brahim Boutaleb.Ed : Bouregreg , Rebat. septembre 2016 .
30. Jean Deniel , Jewish Futur in Algeria ; Dissenting view Commentary , vol 34 (September 1966).
31. Le grand (Hervé) , Donatismes .In Encycl Unives paris .1984.
32. M.Simon , Le Judaïsme berbère dans l'Afrique ancienne, R.H.P.R ,

33. Marcel Emerit, "Le problème de la conversion des musulmans d'Algérie sous le Second Empire : LE CONFLIT ENTRE MAC-MAHON ET LAVIGERIE". Revue Historique. 1960.
34. -Martial (Doűel) , l'Algérie romaine (forums et Basiliques) , Société d 'éditions
35. Mark R. Cohen , Jewish Self -Goverment in Medieval Egyp . Princeton University Press,1980.

36. - Maurice Borrmans, Tendances et courants de l'islam arabe contemporain: Egypte et Afrique du Nord. Mainz.1982 .
37. Meunier (D.J) , Le Maroc Saharien des origines à 1670,Paris,1980.
38. Monteil (CH) ; « Problème de Soudan Occidental: Juifs et judaïsme » , H, 3 – 4 trimestre. 1976.
39. -Monceaux(P. "l'église Donatiste avant Saint Augustin " .
40. -Monceaux (P.) , H.L.A.C, T,1 .Monceaux(P) ,H.L.A.C.,T.,III,(le III ° siècle d'Arnobe a Victorin),éd., Ernest Leroux , Paris, 1905
41. Prevost, Virginie. "Les dernières communautés chrétiennes autochtones d'Afrique du Nord". Revue de l'histoire des religions. 2007.
42. " Pieds-noir" :ceux qui ont choisi de rester, La Dépêche du Midi, March 2012 .
43. Report on International Religious Freedom: Algeria.2018
44. Sleuch (N) , Etude sur l'histoire des juifs au Maroc , Archive marocaine , vol. 4 , 1906.

45. Strabon Géographie, trad Tardieu A, édit Hachette et Cie.1909, vol II,5,33,XVII,3,15.
46. The Disappearance of Christianity from North Africa in the Wake of the Rise of Islam C. J. Speel, II Church History, Vol. 29, No. 4 (Dec., 1960).
47. -Tertullien, Apologétiques , XXXVII.
48. The Wisconsin Jewish Chronicle , Newspaper, Vol 81,no 21- July 1961.
49. The Wisconsin Jewish Chronicle , Newspaper, Vol 89,no 20- June 1962
50. The Wisconsin Jewish Chronicle , Newspaper, Vol 87,no 22- July 1961.
51. Tunis Latin (or Roman Archdiocese) [Catholic-Hierarchy] مؤرشف من www.catholic-hierarchy.org . 2019 مايو 18 اطلع عليه بتاريخ.
52. Valérian, Dominique. Islamisation et arabisation de l'Occident musulman médiéval (VIIE-xIIE siècle). Paris: Éditions de la Sorbonne2015 .

فهرس موضوعات المقياس

عناصر الدراسة	الصفحة
مقدمـة	أ– د
المحور الأول: مفاهيم ومصطلحات	1– 9
أولا: الدين	1
ثانيا: شمال إفريقيا	9
المحور الثاني: الأديان في مصر	10– 41
أولا: الديانة المصرية القديمة	12
ثانيا: الديانة اليهودية في مصر	18
ثالثا: الديانة المسيحية في مصر	33
المحور الثالث: الأديان في بلاد المغرب	42– 102
أولا: الدين في المغرب القديم	47
ثانيا: الديانة اليهودية في بلاد المغرب	51
ثالثا: الديانة المسيحية في بلاد المغرب	73
المحور رابعا: الإسلام في شمال أفريقيا	102– 114
أولا: الفتوحات الإسلامية لمصر	102
ثانيا: الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب	104
ثالثا: شمال أفريقيا تحت الحكم العثماني	111
مصادر ومراجع	115
فهرس المواضيع	122